الوابل الصيب

ورافع الكلم الطيب

لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية

٦٩١ - ٧٥١هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

بشير محمد عيون

الناشر

مكتبة دار البيان

التوزيع

مكتبة المؤيد

ابن قيم الجوزية

الوابل الصيب

مكتبة دار البيان



لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية

٦٩١ - ٧٥١هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

بشير محمد عيون

الناشر
مكتبة دار البيان
ص.ب ٢٨٥٤ - دمشق

التوزيع
مكتبة المؤيد
ص.ب: ١٠ - الطائف

الوَابِـلُ الصَّـيِّب
وَرَافِعُ الكَلِمِ الطَّيِّب



هذه رسالة كتبها شيخنا الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ، المعروف بـ « ابن القيم » قدس الله روحه ونور ضريحه ، وجمع بيننا وبينه في دار كرامته . قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا باللّهِ العلي العظيم . الله سبحانه وتعالى المسؤول المرجوُّ الاجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة ، وأن يسبغَ عليكم نِعَمَه ظاهرةً وباطنةً ، وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر ، وإذا ابتلي صبر ، وإذا أذنب استغفر ، فإن هذه الأمور الثلاثة هي عنوان سعادة العبد ، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه ، ولا ينفكُّ عبد عنها أبداً ، فإن العبد دائم التَّقَلُّب بين هذه الأطباق الثلاث :

الأول : نِعَمٌ من اللّه تعالى تترادف عليه ، فقيَّدَها : الشكر . وهو مبني على ثلاثةِ أركان : الاعتراف بها باطناً ، والتحدث بها ظاهراً ،

وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها . فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها .

الثاني : مِحنٌ من اللّه تعالى يبتليه بها ، ففرضه فيها الصبرُ والتسلي . والصبرُ: حبسُ النفس عن التَّسخُّط بالمقدور ، وحبسُ اللِّسان عن الشكوى ، وحبسُ الجوارح عن المعصية ، كاللطم ، وشق الثياب ، ونتف الشعر ونحو ذلك .

فمدارُ الصّبر على هذه الأركان الثلاثة ، فإذا قام بها العبد كما ينبغي انقلبت المحنةُ في حقه منحةً، واستحالت البليةُ عطيةً ، وصار المكروه محبوباً . فإن اللّه سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه ، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته ، فإن للّه تعالى على العبد عبوديةً في الضراء ، كما له عليه عبودية في السراءِ ، وله عليه عبودية فيما يكره ، كما له عليه عبودية فيما يحب ، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون ، والشأن في إعطاء العبودية في المكاره ، ففيه تفاوتت مراتب العباد ، وبحسبه كانت منازلهم عند اللّه تعالى(١) .

فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية ، ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية ، ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية ، هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية ، وتركه المعصية التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية ، ونفقته في الضراء عبودية ، ولكن فرق عظيم بين العبوديتين .

فمن كان عبداً للّه في الحالتين ، قائماً بحقه في المكروه والمحبوب ، فذلك الذي تناوله قوله تعالى : ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** ﴾

---

(١) انظر « عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين » للمصنف ، و « تسلية أهل المصائب » لمحمد بن محمد بن محمد المنبجي » وهما من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق .

[الزمر : ٣٥] وفي القراءة الأخرى : ﴿ عبادَه ﴾[1]وهما سواء ، لأن المفرد مضاف ، فيعم عموم الجمع .

فالكفاية التامة مع العبودية التامة ، والناقصة مع الناقصة ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه .

وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان . قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر : ٢٢] . ولما علم عدوُّ اللّه إبليس أن اللّه تعالى لا يُسلِّمُ عبادَهُ إليه ، ولا يسلِّطه عليهم قال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص : ٨٢] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا في شكٍّ ﴾ [سبأ : ٢٠ ـ ٢١] .

فلم يجعل لعدوه سلطاناً على عباده المؤمنين ، فإنهم في حرزه وكلاءته ، وحفظه وتحت كنفه ، وإن اغتال عدوه أحدهم كما يغتال اللص الرجلَ العافلَ ، فهذا لا بد منه ، لأن العبد قد ابتلي بالغفلة والشهوة والغضب ، ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة ، ولو احترز العبد ما احترز، فلا بد له من غفلة، ولا بدَّ له من شهوةٍ، ولا بدَّ له من غضب .

وقد كان آدم أبو البشر ﷺ من أحلم الخلقِ ، وأرجحِهم عقلاً ، وأثبتهم ، ومع هذا فلم يزل به عدو اللّه حتى أوقعه فيما أوقعه فيه ، فما الظن بفراشة الحلم ، ومن عقله في جنب عقل أبيه كتفلة في بحر ؟ ولكن عدو اللّه لا يخلص إلى المؤمن إلا غِيلة على غرةٍ وغفلةٍ ، فيوقعه ،

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر وحمزة والكسائي وخلف ، انظر تقريب النشر ص ١٦٨ وتفسير الطبري ٥/٢٤ .

ويظن أنه لا يستقبل ربه عز وجل بعدها ، وأن تلك الواقعة قد اجتاحته وأهلكته ،وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته من وراء ذلك كله[1] .

فإذا أراد الله بعبده خيراً فتح له من أبواب التوبة ، والندم ، والانكسار ، والذل ، والافتقار ، والاستعانة به ، وصدق اللجأ اليه ، ودوام التضرع ، والدعاء ، والتقرب اليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته ،حتى يقول عدو الله : يا ليتني تركته ولم أوقعه .

وهذا معنى قول بعض السلف : إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ، ويعمل الحسنة يدخل بها النار . قالوا : كيف ؟ قال : يعمل الذنب فلا يزال نصبَ عينيه خائفاً منه مُشفِقاً وَجِلاً باكياً نادماً مُسْتَحِياً من ربه تعالى ، ناكس الرأس بين يديه ، منكسر القلب له ، فيكون ذلك الذنب سبب سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه ، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة

ويفعل الحسنة فلا يزال يمنُّ بها على ربه ، ويتكبر بها ، ويرى نفسه ، ويعجب بها ، ويستطيل بها ، ويقول : فعلت ، وفعلت ، فيورثه ذلك من العجب والكبر ، والفخر والاستطالة ، ما يكون سبب هلاكه . فإذا أراد الله بهذا المسكين خيراً ابتلاه بأمر يكسره به ، ويذل به عنقه ، ويصغر به نفسه عنده ، وان أراد به غير ذلك ، خلاه وعجبه وكبره ، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه[2] .

---

(١) انظر « إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان » للمصنف و « مصائب الإنسان من مكائد الشيطان » لابن مفلح المقدسي . وهو من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق .

(٢) ولهذا قيل أيضاً : معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عجباً واستكباراً .

فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق : أن لا يكِلَكَ اللّه تعالى إلى نفسك ، والخذلان : أن يَكِلَكَ اللّه تعالى إلى نفسك . فمن أراد اللّه به خيراً فتح له باب الذل والانكسار ، ودوامَ اللجأ إلى اللّه تعالى والافتقار إليه ، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وظلمها وعدوانها ، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ، ورحمته ، وجوده ، وبره ، وغناه ، وحمده .

فالعارف سائر إلى اللّه تعالى بين هذين الجناحين ، لا يمكنه أن يسير إلا بهما ، فمتى فاته واحد منهما ، فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه .

قال شيخ الإسلام(١) : العارف يسير إلى اللّه بين مشاهدة المنة ، ومطالعة عيب النفس والعمل(٢) .

وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الصحيح حديث : « سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي ، وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا

---

(١) هو عبد اللّه بن محمد بن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري الهروي ، أبو إسماعيل ، أصولي ، محدث ، حافظ ، مفسر ، مؤرخ ، متكلم ، من كبار الحنابلة ، من ذرية أبي أيوب الأنصاري ، ولد بـ « قندهار » سنة ٣٩٦ ، كان مظهراً للسنة داعياً إليها ، امتحن وأوذي ، وسمع يقول : « عُرضت على السيف خمس مرات ، لا يقال لي ارجع عن مذهبك ، لكن يقال لي : اسكت عمن خالفك ، فأقول : لا أسكت » ، وتوفي بـ « هراة » سنة ٤٨١هـ رحمه اللّه تعالى ، من تصانيفه : « منازل السائرين إلى الحق المبين » وقد شرحه المؤلف ـ ابن القيم ـ بكتاب سماه : « مدارج السالكين » . وله أيضاً « الفاروق في الصفات » و « مناقب الإمام أحمد » و « الأربعين في السنة » وغيرها « الأعلام » ٤/ ١٢٢ .

(٢) مدارج السالكين ١/ ٢٢١ .

صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ »[1] .

فجمع في قوله ﷺ : « أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي » بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل .

فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والاحسان ، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار ، والافتقار ، والتوبة في كل وقت ، وأن لا يرى نفسه إلا مفلساً ، وأقرب باب دخل منه العبد على اللّه تعالى باب الإفلاس ، فلا يرى لنفسه حالاً ، ولا مقاماً ، ولا سبباً يتعلق به ، ولا وسيلة منه يمنُّ بها ، بل يدخل على اللّه تعالى من باب الافتقار الصرف ، والافلاس المحض ، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع ، وشملته الكسرة من كل جهاته ، وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل ، وكمال فاقته وفقره اليه ، وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة ، وضرورة كاملة الى ربه تبارك وتعالى ، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك ، وخسر خسارة لا تجبر ، إلا أن يعود اللّه تعالى عليه ويتداركه

---

(١) رواه البخاري ١١/ ٨٣ في الدعوات : باب أفضل الاستغفار ، و١١/ ١١١ : باب ما يقول إذا أصبح ، وأحمد في « المسند » ٤/ ١٢٢ و١٢٥ ، والترمذي رقم (٣٣٩٠) في الدعوات : باب رقم ١٥ ، والنسائي ٨/ ٢٧٩ في الاستعاذة : باب الاستعاذة من شر ما صنع ، من حديث شداد بن أوس رضي اللّه عنه ، وليس لشداد في « صحيح البخاري » سوى هذا الحديث .

وفي الباب عن أبي هريرة ، وابن عمر ، وابن مسعود ، وابن أبزي ، وبريدة رضي الله عنهم . انظر « الأحاديث الصحيحة » للألباني رقم (١٧٤٨) .

برحمته . ولا طريق إلى اللّه تعالى أقرب من العبودية ، ولا حجاب أغلظ من الدعوى .

والعبودية[١] مدارها على قاعدتين هما أصلها : حب كامل ، وذل تام . ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين ، وهما مشاهدة المنة التي تورث المحبة ، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام ، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى اللّه تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغفلة ، وما أسرع ما ينعشه اللّه عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته[٢] .

* * *

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب « العبودية » ص ٤٧٥ من « مجموعة التوحيد » طبعة دار البيان بدمشق :

العبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ، ولها أصلان :

أحدهما : أن لا يعبد إلاّ الله .

والثاني : أن لا يعبده إلاّ بما أمر وشرع ، ولا يعبده بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحَاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف : ١١٠] وقال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴾ [البقرة : ١١٢] وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيْناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ حَنِيْفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلاً ﴾ [النساء : ١٢٥] .

فالعمل الصالح هو الإحسان ، وهو فعل الحسنات ، والحسنات : هي ما أحبه الله ورسوله وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب .

فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في صحيح السنة ، فإنها وإن قالها من قالها وعمل بها من عمل ليست مشروعة فإنّ الله لا يحبها ولا رسوله ،فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما أن من يعمل ما لا يجوز ، كالفواحش والظلم ليست من الحسنات ولا من العمل الصالح . اهـ . انظر بقية كلامه ثمَّ .

(٢) انظر ما قاله المصنف ص ٢٤ .

فصل [في استقامة القلب](*)

وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه . فاستقامة القلب بشيئين :

أحدهما : أن تكون محبة اللّه تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب ، فإذا تعارض حب اللّه تعالى وحب غيره ، سبق حب اللّه تعالى حب ما سواه ، فرتب على ذلك مقتضاه ، وما أسهل هذا بالدعوى ، وما أصعبه بالفعل ، «فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان» .

وما أكثر ما يقدِّم العبد ما يحبه هو ويهواه ، أو يحبه كبيره وأميره وشيخه أو أهله على ما يحبه اللّه تعالى ، فهذا لم تتقدم محبة اللّه تعالى في قلبه جميع المحاب ، ولا كانت هي الملَكة المؤمَّرة عليها ، وسنَّة اللّه تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكِّد عليه محابه ، وينغِّصها عليه ، ولا ينال شيئاً منها إلا بنكد وتنغيص ، جزاءً له على إيثاره هواه وهوى من يعظمه من الخلق ، أو يحبه على محبة اللّه تعالى .

وقد قضى اللّه تعالى قضاءً لا يردُّ ولا يدفع ، أن من أحب شيئاً سواه عذب به ولا بد ، وأن من خاف غيره سلط عليه ، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤماً عليه ، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه ، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بد .

الأمر الثاني : الذي يستقيم به القلب : تعظيم الأمر والنهي ، وهو ناشىء عن تعظيم الآمر الناهي ، فإن اللّه تعالى ذم من لا يعظمه ولا

(*) عناوين القسم الأول من الكتاب من وضع المحقق وقد وضعت بين حاصرتين .

يعظم أمره ونهيه ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾ [نوح : ١٣] قالوا في تفسيرها : مالكم لا تخافون للّه تعالى عظمة[١].

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي[٢] : هو أن لا يُعَارَضا بترخص جاف ، ولا يعارضا بتشديد غال ، ولا يحملا على علة تُوهِنُ الانقياد .

ومعنى كلامه : أن أول مراتب تعظيم الحق عز وجل : تعظيم أمره ونهيه ، وذلك لأن المؤمن يعرفُ ربَّهُ عزَّ وجلَّ برسالته التي أرسل بها رسول الله ﷺ إلى كافة الناس[٣] ،ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه ، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر اللّه عز وجل واتِّباعه ، وتعظيم نهيه واجتنابه ، فيكون تعظيم المؤمن لأمر اللّه تعالى ونهيه دالاً على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي ، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق ، وصحة العقيدة ، والبراءة من النفاق الأكبر ، فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق ، وطلب المنزلة والجاه عندهم ، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم ، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع على المناهي ، فهذا ليس فعله وتركه صادراً عن تعظيم الأمر والنهي ، ولا عن تعظيم الآمر الناهي .

فعلامة التعظيم للأوامر : رعاية أوقاتها وحدودها ، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها ، والحرص على تحسينها وفعلها في أوقاتها ، والمسارعة إليها عند وجوبها ، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من

---

(١) هذا قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك انظر « تفسير القرآن العظيم » للحافظ ابن كثير ٤/٤٢٥ .

(٢) مدراج السالكين ٢/ ٩ .

(٣) كذا في الأصول .

حقوقها ، كمن يحزن على فوت الجماعة ، ويعلم أنه لو تقبّلت منه صلاته منفرداً ، فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضِعْفاً . ولو أن رجلاً يعاني البيع والشراء يفوته في صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة سبعة وعشرون ديناراً ، لأكل يديه ندماً وأسفاً ، فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف ، وألف ألف ، وما شاء اللّه تعالى ، فإذا فوت العبد عليه هذا الربح خسر قطعاً .

كثير من العلماء يقول : لا صلاة له وهو بارد القلب ، فارغ من هذه المصيبة ، غير مرتاع لها ، فهذا من عدم تعظيم أمر اللّه تعالى في قلبه ، وكذلك إذا فاته أول الوقت الذي هو رضوان اللّه تعالى ، أو فاته الصف الأول الذي يصلي اللّه وملائكته على ميامنه ، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه ، ولكانت قرعة . وكذلك فوت الجمع الكثير الذي تضاعف الصلاة بكثرته وقلته ، كلما كثر الجمع كان أحب إلى اللّه عز وجل ، وكلما بعدت الخطا كانت خطوة تحط خطيئة ، وأخرى ترفع درجة(١) .

وكذلك فوت الخشوع في الصلاة ، وحضور القلب فيها بين يدي الرب تبارك وتعالى الذي هو روحها ولبُّها ، فصلاة بلا خشوع ولا حضور ، كبدن ميت لا روح فيه ، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً ، أو جارية ميتة ؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها ، من ملك ، أو أمير ، أو غيره ، فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على اللّه تعالى

---

(١) انظر كتاب « اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى » للحافظ ابن رجب الحنبلي ص (٢٩ ـ ٣٧) في فضيلة المشي إلى المساجد ، وهو من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق .

فيها = بمنزلة هذا العبد ـ أو الأمة ـ الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك ، ولهذا لا يقبلها اللّه تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا ، ولا يثيبه عليها ،فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منهما، كما في « السنن » و « مسند الإمام أحمد » وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ العَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ وَمَا كُتِبَ لَهُ إلاَّ نِصْفُها ، إلاَّ ثُلُثُها ، إلاَّ رُبْعُها ، إلاَّ خُمْسُها حَتَّىٰ بَلَغَ عُشْرُها »(١) .

وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى ، فتفاضل الأعمال عند اللّه تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان ، والإخلاص ، والمحبة وتوابعها ، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفِّر الذنوب تكفيراً كاملاً ، والناقص بحسبه ، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة ، وهما : تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان ، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه .

وبهذا يزول الإشكال الذي يورده من نقص حظه من هذا الباب على الحديث الذي فيه : « إنَّ صَوْمَ يَوْمَ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَتَيْنِ ،وَصَوْمُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ سَنَةً »(٢) .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٧٩٦) في الصلاة : باب ما جاء في نقصان الصلاة ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٣١٩ و٣٢١ من حديث عمار بن ياسر ، وإسناده حسن ، ولفظه : « إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها » .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٥/ ٢٩٧ ، ومسلم رقم (١١٦٢) في الصيام : باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم عاشوراء ، وأبو داود رقم (٢٤٢٥) في الصوم : باب في صوم الدهر ، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

قالوا : فإذا كان دأبه دائماً أنه يصوم يوم عرفة ، فصامه وصام يوم عاشوراء ، فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة ؟ .

وأجاب بعضهم عن هذا ، بأن ما فضل من التكفير ينال به الدرجات .

ويا للّه العجب ، فليت العبد إذا أتى بهذه المكفِّرات كلها أن تكفّر عنه سيئاته باجتماع بعضها إلى بعض ، والتكفير بهذه مشروط بشروط ، وموقوف على انتفاء موانع في العمل وخارجه .

فإن علم العبد أنه جاء بالشروط كلِّها ، وانتفت عنه الموانع كلُّها ، فحينئذ يقع التكفير ، وأما عمل شملته الغفلة أو شملت أكثره ، وفقد الإخلاص الذي هو روحه ولبه ، ولم يُوْفَّ حقه ولم يقدِّره حق قدره ، فأي شيء يكفِّر هذا ؟

فإن وثق العبد من عمله بأنه وفاه حقه الذي ينبغي له ظاهراً وباطناً ، ولم يعرض له مانع يمنع تكفيره ، ولا مبطل يحبطه من عجب أو رؤية نفسه فيه ، أو يمنُّ به ، أو يطلب من العباد تعظيمه به ، أو يستشرف بقلبه لمن يعظِّمه عليه ، أو يعادي من لا يعظمه عليه ، ويرى أنه قد بخسه حقه ، وأنه قد استهان بحرمته ، فهذا أي شيء يكفِّر ! .

ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر ، وليس الشأن في العمل ، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه .

فالرياء ـ وإن دق ـ محبط للعمل ، وهو أبواب كثيرة لا تحصر ، وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضاً موجب لكونه باطلاً ، والمنُّ به على اللّه تعالى بقلبه مفسد له ، وكذلك المن بالصدقة والمعروف والبر

والإحسان والصلة ، مفسد لها ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بالمَنِّ والأَذَى** ﴾ [البقرة : ٢٦٤] وأكثر الناس ما عندهم خبر من السيئات التي تحبط الحسنات ، وقد قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُم وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** ﴾ [الحجرات : ٢] فحذَّر سبحانه المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول اللّه ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض ، وليس هذا بردَّةٍ ، بل معصيةٌ يحبط بها العملَ وصاحبُها لا يشعرُ بها ، فما الظَّنُّ بمن قدَّم على قولِ الرسولِ ﷺ وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه ؟ أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر ؟ .

ومن هذا قوله ﷺ : « **مَن تَرَكَ صَلَاةَ ٱلْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ** »(١) .

من هذا قول عائشة(*) رضي اللّه تعالى عنها وعن أبيها لزيد بن

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٢٦ في مواقيت الصلاة : باب من ترك العصر ، وباب التبكير بالصلاة في يوم غيم ، والنسائي ١/ ٢٣٦ في الصلاة : باب من ترك صلاة العصر ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٣٥٠ و٣٥٧ و ٣٦٠ و ٣٦١ من حديث بريدة رضي الله عنه .

(*) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد اللّه بن عثمان أبي قحافة التيمي ، وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس ، من بني مالك بن كنانة ، كانت مسماة على جبير بن مطعم ، فخطبها النبي ﷺ ، وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة . وقبل الهجرة بثلاث ، ولها ست سنين ، وقيل غير ذلك ، وأعرس بها بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثماني عشر شهراً ولها تسع سنين ، وقيل : دخل بها بالمدينة بعد سبعة من مقدمه ، وبقيت معه تسع سنين ، ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، واستأذنت رسول اللّه ﷺ في الكنية ، فقال لها : تكني بابن اختك عبد اللّه بن الزبير .

=

أرقم رضي اللّه عنه لما باع بالعِينة[1] : إنه قد أبطل جهاده مع رسول اللّه ﷺ ، إلا أن يتوب .

وليس التبايُعُ بالعِينة ردَّةً ، وإنما غايته أنه معصيةٌ .

فمعرفةُ ما يفسد الأعمال في حال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغي أن يفتش عليه العبد ، ويحرص على عمله ويحذره .

وقد جاء في أثر معروف : وإن العبد ليعمل العمل سراً لا يطلع عليه أحد إلا اللّه تعالى ، فيتحدث به ، فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية ، ثم يصير في ذلك الديوان على حسب العلانية ، فإن تحدث به للسمعة وطلب الجاه والمنزلة عند غير اللّه تعالى أبطله كما لو فعله لذلك .

فإن قيل : فإذا تاب هذا هل يعود إليه ثواب العمل ؟

قيل : إن كان قد عمله لغير اللّه تعالى ، وأوقعه بهذه النية ، فإنه لا

= وكانت فقيهة ، عالمة ، فاضلة ، كثيرة الحديث عن رسول اللّه ﷺ ، عارفة بأيام العرب وأشعارها .

روي عنها جماعة من الصحابة والتابعين . وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ، وقيل سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان ، وأمرت أن تدفن ليلاً ، فدفنت بالبقيع ، وصلى عليها أبو هريرة ، وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية بن أبي سفيان .

(١) العينة : حيلة يفعلها أعداء الله تعالى لاستحلال الربا بأن يبيع رجل سلعة لآخر بثمن إلى أجل مسمى . ثم يشتريها منه نقداً بأقل من الثمن الذي باعها به . فيستحلاّ فضل الثمن يخادعون الله وما يخدعون إلاّ أنفسهم . وفي الحديث « إذا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَة . وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَر . وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْع ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ . سَلَّطَ اللّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ » . رواه أحمد في « المسند » ٢ / ٤٢ وأبو داود رقم (٣٤٦٢) في البيوع : باب في النهي عن العينة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وهو حديث صحيح .

ينقلب صالحاً بالتوبة ، بل حسب التوبة أن تمحو عنه عقابه ، فيصير لا له ولا عليه . وأما إن عمله للّه تعالى خالصاً ، ثم عرض له عجب ورياء ، أو تحدث به ، ثم تاب من ذلك وندم ، فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط . وقد يقال : إنه لا يعود إليه ، بل يستأنف العمل .

والمسألة مبنية على أصل ، وهو أن الردة ، هل تحبط العمل بمجردها ، أو لا يحبطه إلا الموت عليها ؟ فيه للعلماء قولان مشهوران ، وهما روايتان عن الإمام أحمد رضي الله عنه[1] .

فإن قلنا : تحبط العمل بنفسها ، فمتى أسلم استأنف العمل وبطل ما كان قد عمل قبل الإسلام ، وإن قلنا ، لا يحبط العمل إلا إذا مات مُرتَداً ، فمتى عاد إلى الإسلام عاد إليه ثواب عمله .

وهكذا العبد إذا فعل حسنة ، ثم فعل سيئة تحبطها ثم تاب من تلك السيئة ، هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة ! يخرج على هذا الأصل .

ولم يزل في نفسي شيءٌ من هذه المسألة ، ولم أزل حريصاً على الصواب فيها ، وما رأيت أحداً شفى فيها ، والذي يظهر لي واللّه تعالى أعلم وبه المستعان ولا قوة الا به = أن الحسنات والسيئات تتدافع

---

(١) وقد رجح العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله القول الثاني حيث قال : «الصواب أن العمل لا يحبط بالردة بمجردها ، وإنما يبقى معلقاً ، فإن مات عليها حبطت حسناته ، وإن لم يمت عليها بقي له عمله الصالح لقول الله سبحانه ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وأُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارْ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ ﴾[البقرة : ٢١٧] وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾[آل عمران : ٩١] وحديث حكيم « أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنَ الخَيْرِ » اهـ .

وتتقابل ، ويكون الحكم فيها للغالب ، وهو يقهر المغلوب ، ويكون الحكم له ، حتى كأن المغلوب لم يكن ، فإذا غلبت على العبد الحسنات رفعت حسناته الكثيرة سيئاته ، ومتى تاب من السيئة ترتب على توبته منها حسنات كثيرة قد تربي وتزيد على الحسنة التي حبطت بالسيئة ، فإذا عزمت التوبة ، وصحت ، ونشأت من صميم القلب ، أحرقت ما مرت عليه من السيئات ، حتى كأنها لم تكن ، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

وقد سأل حكيم بن حزام رضي الله عنه النبي ﷺ عن عتاقة وصلة وبر فعله في الشرك : هل يُثابُ عليه ؟ فقال النبي ﷺ : « أَسْلَمْتَ عَلَىٰ مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ »(١) فهذا يقتضي أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك ، فلما تاب من الشرك عاد إليه ثوابُ حسناتِهِ المتقدمة ، فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحاً ، صادقة خالصة ، أحرقت ما كان قبلها من السيئات ، وأعادت عليه ثواب حسناته .

يوضح هذا أَنَّ السيئاتِ والذنوب هي أمراضٌ قلبية ، كما أن الحمَّى والأوجاع أمراضٌ بدنية ، والمريض اذا عوفي من مرضه عافية تامة ، عادت إليه قوته وأفضل منها حتى كأنه لم يضعف قط .

فالقوة المتقدِّمة بمنزلة الحسنات ، والمرض بمنزلة الذنوب ،

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٢٣٩ في الزكاة باب من تصدق في الشرك ثم أسلم ، ومسلم رقم (١٢٣) في الايمان باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده . قال ابن بطال وغيره من المحققين : إن الحديث على ظاهره ، وأنه إذا أسلم الكافر ومات على الإسلام يثاب على ما فعله من الخبر في حال الكفر . انظر « شرح صحيح مسلم » ١/ ٧٦ - ٧٧ للإمام النووي رحمه الله تعالى .

والصحة والعافية بمنزلة التوبة سواءً بسواءٍ ، وكما أن من المرضى من لا تعود اليه صحته أبداً لضعف عافيته ، ومنهم من تعود صحته كما كانت لتقاوم الأسباب وتدافعها ، ويعود البدن إلى كماله الأول ، ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض ، حتى ربما كان مرض هذا سبباً لعافيته ، كما قال الشاعر:

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ   وَرُبَّمَا صَحَّتِ الأَجْسَامُ بالعِلَلِ (١)

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث . والله الموفق ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

* * *

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الكندي أحد مفاخر الشعر العربي (٣٠٣هـ - ٣٥٤هـ) .

فصل [في علامات تعظيم المناهي]

وأما علامات تعظيم المناهي : فالحرص على التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها ، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها ، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها ، وأن يدَع ما لا بأس به حذراً مما به بأس ، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروهات ، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسِّنها ويدعو إليها ، ويتهاون بها ، ولا يبالي ما ركب منها ، فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط اللّه تعالى وغضبه ، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم اللّه تعالى وحرماته .

ومن علاماتِ تعظيم الله : أن يغضب للّه عزَّ وجلَّ إذا انتهكت محارمه ، وأن يجد في قلبه حزناً وكسرة إذا عصي اللّه تعالى في أرضه ، ولم يطع بإقامة حدوده وأوامره ، ولم يستطع هو أن يغير ذلك .

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي : أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه جافياً غير مستقيم على المنهج الوسط .

مثال ذلك : أن السُّنَّةَ وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر ، فالترخص الجافي أن يبرد إلى فوات الوقت ، أو مقاربة خروجه ، فيكون مترخصاً جافياً .

وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من

الخشـوع والحضور ، ويفعـل العبادة بتكـرُّه وضجر ، فمن حكمـة الشارع أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر ، فيصلي العبد بقلب حاضر ، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على اللّه تعالى .

ومن هذا نهيه ﷺ أن يصلي الرجل بحضرة الطعام ، أو عند مدافعة البول والغائط ، لتعلق قلبه من ذلك بما يشوش عليه مقصود الصلاة ، ولا يحصل المراد منها ، فمن فقه الرجل في عبادته أن يُقبل على شغله فيعمله ، ثم يُفرغَ قلبه للصلاةَ ، فيقومَ فيها وقد فرغ قلبه للّه تعالى ، ونصب وجهه له ، وأقبل بكلِّيته عليه ، فركعتان من هذه الصلاة يُغفَرُ للمصلي بهما ما تقدم من ذنبه . والمقصود أنه لا يترخص ترخصاً جافياً .

ومن ذلك أنه رخص للمسافر في الجمع بين الصلاتين عند العذر ، وتعذر فعل كل صلاة في وقتها لمواصلة السير ، وتعذر النزول أو تعسره عليه ، فإذا أقام في المنزل اليومين والثلاثة ، أو أقام اليوم ، فجمعه بين الصلاتين لا موجب له ، لتمكنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقة ، فالجمع ليس سنة راتبة كما يعتقد أكثر المسافرين أن سنة السفر الجمع ، سواء وُجِدَ عذر أم لم يوجد ، بل الجمع رخصة عارضة ، والقصر سُنة راتبة ، فسنة المسافر قصر الرباعية ، سواء كان له عذر أو لم يكن ، وأما جمعه بين الصلاتين ، فحاجة ورخصة ، فهذا لون ، وهذا لون .

ومن هذا : أن الشبع في الأكل رخصة غير محرمة ، فلا ينبغي أن يجفو العبد فيها حتى يصل به الشبع إلى حد التُّخَمة والامتلاء ، فيتطلب ما يصرف به الطعام ، فيكون همه بطنه قبل الأكل وبعده ، بل ينبغي للعبد أن يجوع ويشبع ، ويدع الطعام وهو يشتهيه ، وميزان ذلك قول

النبي ﷺ : « ثُلُثٌ لطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لنَفَسِهِ »[1] . ولا يجعل الثلاثة الأثلاث كلها للطعام وحده .

وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي ، فهو كمن يتوسوس في الوضوء مغالياً فيه حتى يفوت الوقت ، أو يردِّد تكبيرة الإحرام إلى أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة ، أو يكاد تفوته الركعة ، أو يتشدد في الورع الغالي حتى لا يأكل شيئاً من طعام عامة المسلمين خشية دخول الشبهات عليه .

ولقد دخل هذا الورع الفاسد على بعض العبَّاد الذين نقص حظهم من العلم ، حتى امتنع ان يأكل شيئاً من بلادالمسلمين ،وكان يتقوَّت بما يحمل إليه من بلاد النصارى ، ويبعث بالقصد لتحصيل ذلك ، فأوقعه الجهل المفرط ، والغلوُّ الزائد في إساءة الظن بالمسلمين ، وحسن الظن بالنصارى ، نعوذ باللّه من الخذلان .

فحقيقة التعظيم للأمر والنهي أن لا يعارضا بترخص جاف ، ولا يعارضا بتشديد غال ، فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى اللّه عز وجل بسالكه .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ١٣٢ ، والترمذي رقم (٢٣٨١) في الزهد : باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ، وابن ماجه رقم (٣٣٤٩) في الأطعمة : باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع من حديث مقدام بن معدي كرب رضي اللّه عنه ، ورواه ابن حبان في « صحيحه » رقم (١٣٤٨) و (١٣٤٩) « موارد » في الأطعمة : باب فيما يكفي الإنسان من الأكل والشرب ، والحاكم ٤/ ١٢١ . صححه ووافقه الذهبي وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الإرواء » رقم (١٩٨٣) . ولفظه : « ما ملأ آدمي وعاءً شرا من بطن ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لِنَفَسِهِ » .

وما أمر اللّه عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان : إما تقصير وتفريط ، وإما إفراطٌ وغُلُوٌ ، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين ، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامه ، فإن وجد فيه تقصيراً أو فتوراً أو توانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة ، فثبَّطه وأقعده ، وضربه بالكسل والتواني والفتور ، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك ، حتى ربما ترك العبدُ المأمور جملة .

وإن وجد عنده حذراً وجداً ، وتشميراً ونهضة ، وأيس أن يأخذه من هذا الباب ، أمره بالاجتهاد الزائد ، وسوَّل له أن هذا لا يكفيك ، وهمتك فوق هذا . وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا ، وأن لا تَفْتُر إذا فَتَرُوا ، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات ، فاغسل أنت سبعاً ، وإذا توضأ للصلاة ، فاغتسل أنت لها ، ونحو ذلك من الإفراط والتعدِّي ، فيحمله على الغلوِّ والمجاوزة وتعدِّي الصراط المستقيم ، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه ، ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم : هذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه ، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه . وقد فتن بهذا أكثر الخلق ، ولا ينجي من ذلك إلا عِلمٌ راسخ ، وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط . واللّه المستعان[١] .

* * *

(١) انظر « ذم الوسوسة » للشيخ موفق الدين أبي محمد ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى وهي من منشوراتنا .

فصل [بيان أكمل مراتب العبودية]

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي : أن لا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر اللّه عز وجل ، بل يسلم لأمر اللّه تعالى وحكمه ، ممتثلاً ما أمر به ، سواء ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه أو لم تظهر ، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه ، حمله ذلك على مزيد الانقياد والبذل والتسليم لأمر الله ، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه جملة ـ كما حمل ذلك كثيراً من زنادقة الفقراء والمنتسبين إلى التصوف ـ فإن اللّه عز وجل شرع الصلوات الخمس إقامةً لذكره ، واستعمالاً للقلب والجوارح واللسان في العبودية ، وإعطاء كل منها قسطه من العبودية التي هي المقصود بخلق العبد ، فوضعت الصلاة على أكمل مراتب العبودية .

فإن اللّه سبحانه وتعالى خلق هذا الآدمي ، واختاره من بين سائر البرية ، وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان والتوحيد والاخلاص ، والمحبة والحياء ، والتعظيم والمراقبة ، وجعل ثوابه إذا قدم عليه أكمل الثواب وأفضله ، وهو النظر إلى وجهه ، والفوز برضوانه ، ومجاورته في جنته .

وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة ، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه ، فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه ، فتميل نفسه معه ، لأنه يدخل عليها بما تحب ، فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد : ثلاثة مسلَّطون آمرون ، فيبعثون الجوارح في قضاء وطرهم ، والجوارح آلة منقادة ، فلا يمكنها إلا الانبعاث ، فهذا شأن هذه

الثلاثة ، وشأن الجوارح ، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أمروا وأين يمموا . هذا مقتضى حال العبد .

فاقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر ، وأمده بمدد آخر يقاوم به هذا الجند الذي يريد هلاكه ، فأرسل إليه رسوله ، وأنزل عليه كتابه ، وأيده بملَك كريم يقابل عدوه الشيطان ، فإذا أمره الشيطان بأمر ، أمره الملك بأمر ربه ، وبينَّ له ما في طاعة العدو من الهلاك ، فهذا يلم به مرة ، وهذا مرة ، والمنصور من نصره الله عز وجل ، والمحفوظ من حفظه الله تعالى .

وجعل له مقابل نفسه الأمَّارة نفساً مطمئنة ، إذا أمرته النفس الأمَّارةُ بالسوء ، نهته عنه النفس المطمئنة ، وإذا نهته الأمّارة عن الخير ، أمرته به النفس المطمئنة . فهو يطيع هذه مرة ، وهذه مرة ، وهو للغالب عليه منهما ، وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهراً لا تقوم معه أبداً ، وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمَّارة نوراً وبصيرة ، وعقلاً يرده عن الذهاب مع الهوى ، فكلما أراد أن يذهب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور : الحذرَ الحذرَ ، فإن المهالك والمتالف بين يديك ، وأنت صيد الحرامية ، وقطاع الطريق إن سرت خلف هذا الدليل .

فهو يطيع الناصح مرة ، فيبين له رشده ونصحه ، ويمشي خلف دليل الهوى مرة ، فيقطع عليه الطريق ، ويؤخذ ماله ، وتسلب ثيابه ، فيقول : ترى من أين أتيت ؟ والعجب أنه يعلم من أين أُتي ، ويعرف الطريق التي قُطِعت عليه وأخذ فيها ، ويأبى إلا سلوكها ، لأن دليلها قد تمكن منه ، وتحكم فيه ، وقوي عليه ، ولو أضعفه بالمخالفة له ، وزجره إذا دعاه ، وحاربه إذا أراد أخذه ، لم يتمكن منه ، ولكن هو مكَّنَهُ من نفسه ، وهو أعطاه يده ، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في يد عدوه ، فيأسره ثم يسومه سوء العذاب ، فهو يستغيث فلا يغاث ، فهكذا العبد يستأسر

للشيطان والهوى ولنفسه الأمارة ، ثم يطلب الخلاص ، فيعجز عنه .

فلما أن بلي العبد بما بلي به ، أُعِينَ بالعساكر والعدد والحصون ، وقيل : قاتل عدوك وجاهده ، فهذه الجنود خذ منها ما شئت وهذه العدد البس منها ما شئت ، وهذه الحصون تحصن بأي حصن شئت منها ، ورابط إلى الموت ، فالأمر قريب ، ومدة المرابطة يسيرة جداً ، فكأنك بالملك الأعظم وقد أرسل إليك رسله ، فنقلوك إلى داره ، واسترحت من هذا الجهاد ، وفرق بينك وبين عدوك ، وأطلقت في دار الكرامة تتقلب فيها كيف شئت ، وسجن عدوك في أصعب الحبوس وأنت تراه في السجن الذي كان يريد أن يودعك فيه قد أُدْخِلَهُ وَأُغْلِقَت عليه أبوابه ، وأيس من الخروج والفرج ، وأنت فيما اشتهت نفسك ، وقرت عينك ، جـزاءً على صبرك في تلك المدة اليسيرة ، ولزومك الثغر للرباط ، وما كانت إلا ساعة ثم انقضت ، وكأن الشدة لم تكن . فإن ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه ، فليتدبر قوله عز وجل : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَـرَوْنَ مَا يُـوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُـوا إلاَّ سَاعَـةً مِنْ نَهَارٍ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] وقوله عز وجل : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات : ٤٦] وقوله عز وجل : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِين ؟ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فاسْأَلِ العَادِّين ، قال : إن لَبِثْتُمْ إلاَّ قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٢] وقوله عَزَّ وجل : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِيْنَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً * يَتَخافَتُون بَيْنَهُمْ إن لَبِثْتُمْ إلاَّ عَشْراً * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُون ، إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طريقَةً إنْ لبثتُم إلاَّ يَوْمَاً ﴾ [طه : ١٠٢ ـ ١٠٤] .

وخطب النبي ﷺ أصحابه يوماً ، فلما كانت الشمس على رؤوس الجبال ، وذلك عند الغروب قال : « إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيا فِيمَا مَضَى إلاَّ

كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هٰذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ »[1] .

فليتأمل العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث ، وليعلم أي شيء حصل له من هذا الوقت الذي قد بقي من الدنيا بأسرها ، ليعلم أنه في غرور وأضغاث أحلام ، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظ خسيس لا يساوي شيئاً ، ولو طلب الله تعالى والدارَ الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئاً موفوراً وأكمل منه ، كما في بعض الآثار : ابن آدم ، بع الدنيا بالآخرة تربحهما جميعاً ، ولا تبع الآخرة بالدنيا تخسرهما جميعاً[2] .

وقال بعض السلف : ابن آدم ، أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج . فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة ، وكنت من نصيب الدنيا على خطر ، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فزت بنصيبك من الدنيا فانتظمته انتظاماً .

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول في خطبته : أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معاداً يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، فخاب وشقي عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التي وسعت كل شيء ، وجنته التي عرضها السموات والأرض ، وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف الله تعالى واتقى ، وباع قليلاً بكثير ، وفانياً بباقٍ ، وشقاوة بسعادة ، ألا ترون أنكم في أصلاب الهالكين ، وسيخلفه بعدكم الباقون ؟ألا ترون أنكم في كل

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ١٣٣ من حديث عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما ، و٣/ ١٩ والترمذي رقم (٢١٩٢) في الفتن : باب ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه . وقال الترمذي : وفي الباب عن حذيفة وأبي مريم وأبي زيد بن أخطب والمغيرة بن شعبة ، وذكروا أن النبي ﷺ حدثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، وقال : وهذا حديث حسن

(٢) هذا الأثر يروى عن الحسن البصري رحمه الله تعالى انظر ترجمته ص ١٤١ .

يوم تشيِّعون غادياً [أو] رائحاً الى الله قد قضى نحبه ، وانقطع أمله ، فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسَّد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب .

* * *

والمقصود أن الله عز وجل قد أمد العبد في هذه المدة اليسيرة بالجنود ، والعدد ، والامداد ، وبين له بماذا يحرز نفسه من عدوه ، وبماذا يَفْتَكُّ نفسه إذا أسر . وقد روى الإمام أحمد رحمه اللَّه ، والترمذي ، من حديث الحارث الأشعري(*) ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ اللَّهَ سُبحانَه وَتَعالَىٰ أَمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ : أَنْ يَعْمَلَ بِهَا ، ويَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا ، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِىءَ بها ، فَقَالَ لَهُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : إِنَّ اللَّهَ تَعالَى أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا ، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ ، وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ ، فَقَالَ يَحْيَىٰ : أَخْشَىٰ إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَو أُعَذَّبَ ، فَجَمَعَ يَحْيَىٰ النَّاسَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ ، فَامْتَلأَ المَسْجِدُ ، وَقَعَدُوْا عَلَىٰ الشُّرَفِ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَهُنَّ ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ . أَوَّلُهُنَّ : أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْداً مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ ، فَقَالَ لَهُ : هٰذِهِ دَارِي ، وَهٰذَا عَمَلِي ، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَىٰ غَيْرِ سَيِّدِهِ ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ

(*) هو الحارث بن الحارث الأشعري ، الشامي . صحابي ، تفرّد بالرواية عنه أبو سلام ، قاله الأزدي ، والحارث هذا يكنّى أبا مالك ، وقد خلطه غير واحد بأبي مالك الأشعري فوهموا ، فإن أبا مالك المشهور بكنيته المختلف في اسمه متقدم الوفاة على هذا ، وهذا مشهور باسمه ، وتأخر حتى سمع منه أبو سلام وقد أُوْضِحَ حاله في تهذيب التهذيب . اهـ. وانظر الإصابة [حرف الحاء / القسم الثالث] رقم ١٣٨١ .

بالصَّلَاةِ ، فإذَا صَلَّيْتُمْ فَلاَ تَلْتَفِتُوا ، فَإنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ ، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ ، فَإنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ ، مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا ، وَإنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَىٰ مِنْ رِيحِ المِسْكِ ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، فَإنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ ، فَأَوْثَقُوا يَدَيْهِ إلَى عُنُقِهِ ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ ، فَقَالَ : أَنَا أَفْتَدِي مِنْكُمْ بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَىٰ ، فَإنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعاً ، حَتَّىٰ إذَا أَتَىٰ عَلَىٰ حِصْنٍ حَصِينٍ . فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، كَذٰلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ : السَّمْعُ ، وَالطَّاعَةُ ، وَالجِهَادُ ، وَالهِجْرَةُ ، وَالجَمَاعَةُ ، فَإنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إلَّا أَنْ يَرْجِعَ ، وَمَن ادَّعَى دَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ ، فَإنَّهُ مِنْ جُثَا[1] جَهَنَّمَ » فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإنْ صَلَّىٰ وَصَامَ ؟ [قَالَ : وَإنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ][2] فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ المُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ» قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح[3] .

فقد ذكر ﷺ في هذا الحديث العظيم الشأن ـ الذي ينبغي لكل مسلم حفظه وتعقله ـ ما ينجي من الشيطان ، وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة في دنياه وأخراه .

* * *

(١) الجثا : جمع جُثوة بالضم ، وهو الشيء المجموع . (٢) الزيادة من « سنن الترمذي » .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ٢٠٢ والترمذي رقم (٢٨٦٧) و (٢٨٦٨) في الأمثال : باب ما جاء في مثل الصيام والصلاة والصدقة ، وهو حديث صحيح ، صححه ابن حبان والحاكم وغيرهما . وانظر ما قاله الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٧٢٠) .

[مثل الموحد والمشرك]

فذكر مثل الموحد والمشرك : فالموحد كمن عمل لسيده في داره ، وأدى لسيده ما استعمله فيه ، والمشرك كمن استعمله سيده في داره ، فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلى غير سيده ، فهكذا المشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى ، ويتقرب إلى عدو الله تعالى بنعم الله تعالى .

ومعلوم أن العبد من بني آدم لو كان مملوكه كذلك لكان أمقت المماليك عنده ، وكان أشد شيء غضباً عليه ، وطرداً له وإبعاداً ، وهو مخارق مثله ، كلاهما في نعمة غيرهما ، فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له ، ولا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يصرف السيئات إلا هو ، وهو وحده المنفرد بخلق عبده ، ورحمته ، وتدبيره ، ورزقه ، ومعافاته ، وقضاء حوائجه ، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب ، والخوف ، والرجاء ، والحلف ، والنذر ، والمعاملة ، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر ، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر ؟ وشواهد أحوالهم - بل وأقوالهم وأفعالهم - ناطقة بأنهم يحبون أنداده من الأحياء والأموات ، ويخافونهم ، ويرجونهم ، ويعاملونهم ، ويطلبون رضاهم ، ويهربون من سخطهم ، أعظم مما يحبون الله تعالى ، ويخافونه ، ويرجونه ، ويهربون من سخطه، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ [النساء : ٤٨ و ١١٦] .

« وَالظُّلْمُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ دَوَاوِينُ ثَلاَثَةٌ : دِيوَانٌ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئاً ، وَهُوَ الشِّرْكُ بِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ . وَدِيوانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنْهُ شَيْئاً ، وَهُوَ ظُلْمُ العِبَادِ بَعْضِهُمْ بَعْضاً ، فَإِنَّ اللَّه تَعَالَى يَسْتَوْفِيهِ كلَّهُ . وَدِيوانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئاً ، وَهُوَ ظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ »[١] .

فان هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً ، فانه يمحى بالتوبة والاستغفار ، والحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة ، ونحو ذلك ، بخلاف ديوان الشرك ، فانه لا يمحى إلا بالتوحيد ، وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها .

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند اللَّه عز وجل ، حرَّم الجنة على أهله ، فلا تدخل الجنةَ نفس مشركة ، وإنما يدخلها أهل والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وصِدْقُ الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، فأي عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحاً صالحاً من التوحيد ، وركَّب فيه أسناناً من الأوامر جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لا يفتح إلا به ، فلم يعقه عن الفتح التوحيد ، فإن التوحيد هو مفتاح بابها ، فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها ، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به ، وأسنان هذا المفتاح هي : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، والجهاد ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٦/ ٢٤٠ ، والحاكم في « المستدرك » ٤/ ٥٧٥ ، من حديث صدقة بن أبي موسى عن أبي عمران الجوني عن يزيد بن بابنوس عن عائشة رضي الله عنها . قال الحاكم : صحيح ، فرده الذهبي بأن صدقة ضعفوه ، وابن بابنوس فيه جهالة ، قال الهيثمي في « المجمع » : في سند أحمد صدقة بن أبي موسى ضعفه الجمهور ، وبقية رجاله ثقات ، ولفظه : « الدواوين عند الله ثلاثة ديوان لا يعبأ الله به شيئاً . . . » الحديث .

عائق ، اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار ، فإنه يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها ، وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده ، فلا بد من دخول النار ليخرج خبثه فيها ، ويتطهر من درنه ووسخه ، ثم يخرج منها ، فيدخل الجنة ، فانها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب . قال سبحانه وتعالى : ﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم المَلاَئِكَةُ طَيِّبِين يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الجَنَّةَ** ﴾ [النحل : ٣٢] وقال تعالى : ﴿ **وسِيقَ الَّذِين اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً ، حَتَّى إِذَا جَاءُوها وفُتِحتْ أَبْوَابُها وقَالَ لهم خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾ [الزمر : ٧٣] ، فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سبب للدخول ، أي : بسبب طيبكم قيل لكم : ادخلوها .

وأما النار ، فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال ، والمآكل والمشارب ، ودار الخبيثين ، قال الله تعالى : ﴿ **ليميز الله الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمْ الخَاسِرُونَ** ﴾ [الأنفال : ٣٧] ، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض ، فيركمه كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعض ، ثم يجعله في جهنم مع أهله ، فليس فيها إلا خبيث .

ولما كان الناس على ثلاث طبقات : طَيِّب لَا يشينه خبث ، وخبيث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خُبث وطِيبٌ ، كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض ، وهاتان الداران لا تفنيان ، ودار لمن معه خبث وطيب ، وهي الدار التي تفنى ، وهي دار العصاة ، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد ، فإنهم إذا عذبوا بقدر أعمالهم أخرجوا من النار ، فأدخلوا الجنة ، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ، ودار الخبث المحض .

* * *

[حضور القلب في الصلاة]

وقوله في الحديث : « وَآمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ ، فَإِذَا صَلَّيْتُم ، فَلاَ تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتَ » .

الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان :

أحدهما : التفات القلب عن اللّه عز وجل إلى غير الله تعالى .

والثاني : التفات البصر . وكلاهما منهي عنه . ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته ، فإذا التفت بقلبه أو بصره ، أعرض الله تعالى عنه . وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال : « اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ الْعَبْدِ »(1) .

وفي أثرٍ : يقول الله تعالى : « إلى خير مني ، إلى خير مني » ؟

ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه ، مثل رجل قد استدعاه السلطان ، فأوقفه بين يديه ، وأقبل يناديه ويخاطبه ، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً ، وقد انصرف قلبه عن السلطان ، فلا

---

(1) رواه البخاري ٢/ ١٩٤ في الأذن : باب الالتفات في الصلاة ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٧ و١٠٦ وأبو داود رقم (٩١٠) في الصلاة: باب الالتفات في الصلاة ، والترمذي رقم (٥٩٠) في الصلاة : باب ما جاء في الالتفات في الصلاة ، والنسائي ٣/ ٨ في السهو : باب التشديد في الالتفات في الصلاة ، من حديث عائشة رضي الله عنها . وذكر الحاكم في « المستدرك » ١/ ٢٣٧ أن الشيخين اتفقا على إخراجه ، وهو سهو منه ، فإن مسلماً لم يروه .

يفهم ما يخاطبه به ، لأن قلبه ليس حاضراً معه ، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان ، أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينيه ؟ فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على اللَّه تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه ، فامتلأ قلبه من هيبته ، وذلت عنقه له ، واستحيى من ربه تعالى أن يقبل على غيره ، أو يلتفت عنه . وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية(*) : إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة ، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض ، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على اللَّه عز وجل ، والآخر ساهٍ غافل . فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله ، وبينه وبينه حجاب ، لم يكن إقبالاً ولا تقريباً ، فما الظن بالخالق عز وجل ؟ وإذا أقبل على الخالق عز وجل ، وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس ، والنفس مشغوفة بها ، ملأى منها ، فكيف يكون ذلك إقبالاً وقد ألهته الوساوس والأفكار ، وذهبت به كل مذهب ؟

والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه ، فانه قد قام في أعظم مقام ، وأقربه وأغيظه للشيطان ، وأشده عليه ، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه ، بل لا يزال به يعده ويمنِّيه وينسيه ، ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهوِّن عليه شأن الصلاة ، فيتهاون بها فيتركها . فان عجز عن ذلك منه ، وعصاه العبد ، وقام في ذلك المقام ، أقبل عدو

(*) ذكر ابن حبان في مشاهير أتباع التابعين بالشام فقال : حسان بن عطية من أفضل أهل زمانه ثقة واتقاناً وفضلاً وخيراً ، وكان يغرب ا هـ . « مشاهير علماء الأمصار » رقم ١٤٢٣ .
وهذا الأثر رواه عبد الله بن المبارك في كتاب « الزهد والرقائق » .

الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه ، ويحول بينه وبين قلبه ، فيذكِّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها ، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة ، وأيس منها ، فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها ، ويأخذه عن اللّه عز وجل ، فيقوم فيها بلا قلب ، فلا ينال من إقبال اللّه تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته ، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله ، لم تخفف عنه بالصلاة ، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها ، وأكمل خشوعها ، ووقف بين يدي اللّه تعالى بقلبه وقالبه .

فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه ، وأحس بأثقال قد وضعت عنه . فوجد نشاطاً وراحة وروحاً ، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها ، لأنها قرة عينه ونعيم روحه ، وجنة قلبه ، ومستراحه في الدنيا ، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها ، فيستريح بها ، لا منها ، فالمحبون يقولون : نصلي فنستريح بصلاتنا ، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ : « يَا بِلَالُ أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ »[1] ولم يقل : ارحنا منها .

وقال ﷺ : « جُعِلَتْ قُرَّة عَيْنِي فِي الصَّلَاة »[2] فمن جعلت قرة عينه في الصلاة ، كيف تقر عينه بدونها ، وكيف يطيق الصبر عنها ؟ فصلاة

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٥/ ٣٦٤ و٣٧١ ، وأبو داود رقم (٤٩٨٥) و (٤٩٨٦) في الأدب ، باب صلاة العتمة من حديث سالم بن أبي الجعد ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٧٦٩) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣/ ١٢٨ و١٩٩ و٢٨٥ ، والنسائي ٧/ ٦١ في عشرة النساء باب حب النساء من حديث أنس رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣١١٩) .

هذا الحاضر بقلبه الذي قرة عينه في الصلاة ، هي التي تصعد ولها نور وبرهان، حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل ، فتقول : « حَفِظَكَ اللَّهُ تَعالى كمَا حَفِظْتَنِي » ، وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها ، فإنها تلفُّ كما يلفُّ الثَّوْبُ الخلَق ، ويضرب بها وجه صاحبها وتقول : « ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي » .

وقد روي في حديث مرفوع ، رواه بكر بن بشر ، عن سعيد بن سنان ، عن أبي الزاهرية ، عن أبي شجرة ، عن عبد اللَّه بن عمر(*) رضي اللَّه عنهما يرفعه أنه قال : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُتِمُّ الوُضُوءَ إِلى أَمَاكِنِهِ ، ثُمَّ يَقُومُ إِلىٰ الصَّلاَةِ في وَقْتِهَا فَيُؤَدِّيهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنْقِصْ مِنْ وَقْتِهَا ، وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَمَعَالِمِها شَيْئاً ، إلاَّ رُفِعَتْ لَهُ إِلىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيْضَاءَ مُسْفِرَة يستضِيءُ بِنُورِهَا مَا بَيْنَ الخَافِقَيْنَ حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهَا إِلىٰ الرَّحْمٰن عَزَّ وَجَلَّ ،وَمَنْ قَامَ إِلَى ٱلصَّلاَةِ فَلَمْ يُكْمِلْ وُضُوءَهَا ،وَأَخَّرَهَا عَنْ وَقْتِهَا ، واسْتَرَقَ رُكُوعَهَا وسُجُودَهَا وَمَعَالِمَهَا ، رُفِعَتْ عَنْهُ سَوْدَاءَ مُظْلِمَةً ، ثُمَّ لاَ

(*) هو أبو عبد الرحمن عبد اللَّه بن عمربن الخطاب القرشي العدوي ، أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير ، وقد ذهب قوم إلى أنه أسلم قبل أبيه ، ولم يصح ، ولم يشهد بدراً ، واختلفوا في شهوده أحداً ، والصحيح أن أول مشاهده الخندق ، وقيل : إنما استصغر يوم بدر ، وأجازه النبي ﷺ يوم أحد . وروى نافع أنه رده يوم أحد لأنه كان له أربع عشرة سنة ، وشهد ما بعد الخندق من المشاهد .

وكان من أهل الورع والعلم والزهد ، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتياه ، وكل ما يأخذ به نفسه .

ولد قبل الوحي بسنة ، ومات بمكة سنة ثلاث وسبعين ، بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر، وقيل : بستة أشهر . ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين ، وقيل : دفن بفخ ، وله أربع وثمانون سنة ، وقيل ست وثمانون .

روى عنه خلق كثير ، منهم ابناه سالم وحمزة ، ونافع مولاه ، والقاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير ، وخلق كثير سواهم .

تُجَاوِزُ شَعْرَ رَأْسِهِ تقولُ : ضَيَّعك اللَّهُ كمَا ضَيَّعتني ، ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَما ضَيَّعْتَني »[1] .

فالصلاة المقبولة ، والعمل المقبول أن يصلي العبد صلاة تليق بربه عز وجل ، فإذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به ، كانت مقبولة .

والمقبول من العمل قسمان :

أحدهما : أن يصلي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق باللَّه عز وجل ، ذاكر للَّه عز وجل على الدوام ، فأعمال هذا العبد تُعْرَض على اللَّه عز وجل حتى تقف قبالته ، فينظر اللَّه عز وجل إليها ، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضية ، وقد صدرت عن قلب سليم مخلص محب للَّه عز وجل متقرب إليه ، أحبها ورضيها وقَبِلَها .

والقسم الثاني : أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة ، وينوي بها الطاعة والتقرب إلى اللَّه ، فأركانه مشغولة بالطاعة ، وقلبه لاهٍ عن ذكر اللّه ، وكذلك سائر أعماله ، فإذا رفعت أعمال هذا إلى اللّه عز وجل ، لم تقف تجاهه ، ولا يقع نظره عليها ، ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال ، حتى تعرض عليه يوم القيامة فتميز ، فيثيبه على ما كان

(١) إسناده ضعيف جداً ، سعيد بن سنان وهو أبو مهدي الحمصي ، متروك ، ورماه الدارقطني وغيره بالوضع ، كما قال الحافظ في « التقريب » . وفي الباب عن أنس ، رواه الطبراني في « الأوسط » ذكره الهيثمي في « المجمع » ١ / ٣٠٢ وقال : وفيه عباد ابن كثير ، وقد اجمعوا على ضعفه ، وقال الحافظ في « التقريب » : متروك ، وقال أحمد : روى أحاديث كذب . وعن عبادة بن الصامت عند الطيالسي رقم (٥٨٥) والطبراني في « الكبير » والبزار ، وفي سنده الأحوص بن حكيم ، وهو مختلف فيه ، وراويه عن عبادة ، وهو خالد بن معدان لم يسمع منه ، فالحديث ضعيف .

له منها ، ويرد عليه ما لم يرد وجهه به منها . فهذا قبوله لهذا العمل : إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشرب والحور العين .

وإثابة الأول رضى العمل لنفسه ، ورضاه عن معاملة عامله ، وتقريبه منه ، وإعلاء درجته ومنزلته ، فهذا يعطيه بغير حساب ، فهذا لون ، والأول لون .

والناس في الصلاة على مراتب خمسة :

أحدها : مرتبة الظالم لنفسه المفرط ، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها .

الثاني : من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها ، لكنه قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة ، فذهب مع الوساوس والأفكار .

الثالث : من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار ، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته ، فهو في صلاة وجهاد .

الرابع : من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها ، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها ، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها ، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها .

الخامس : من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك ، ولكن مع هذا

قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل ، ناظراً بقلبه إليه ، مراقباً له ، ممتلئاً من محبته وعظمته ، كأنه يراه ويشاهده ، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات ، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه ، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض ، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به .

فالقسم الأول معاقب ، والثاني مخاسب ، والثالث مكفَّر عنه ، والرابع مثاب ، والخامس مقرب من ربه ، لأن له نصيباً ممن جعلت قرة عينه في الصلاة ، فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا ، قرت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة ، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا ، ومن قرت عينه باللَّه قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه باللَّه تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات .

وقد روي أن العبد إذا قام يصلي قال اللَّه عز وجل : ارفعوا الحجب بيني وبين عبدي ، فإذا التفت قال : أرخوها ، وقد فسر هذا الالتفات بالتفات القلب عن اللَّه عز وجل إلى غيره ، فإذا التفت إلى غيره ، أرخى الحجاب بينه وبين العبد ، فدخل الشيطان ، وعرض عليه أمور الدنيا ، وأراه إياها في صورة المرآة وإذا أقبل بقلبه على اللَّه ولم يلتفت ، لم يقدر الشيطان على أن يتوسط بين اللَّه تعالى وبين ذلك القلب ، وإنما يدخل الشيطان إذا وقع الحجاب ، فإن فر إلى اللَّه تعالى وأحضر قلبه فر الشيطان ، فإن التفت حضر الشيطان ، فهو هكذا شأنه وشأن عدوه في الصلاة .

وإنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربه

عز وجل إذا قهر شهوته وهواه ، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة ، وأسره الهوى ، ووجد الشيطان فيه مقعداً تمكن فيه = كيف يخلص من الوساوس والأفكار ؟ !

* * *

والقلوب ثلاثة :

قلب خالٍ من الإيمان وجميع الخير ، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه ، لأنه قد اتخذه بيتاً ووطناً ، وتحكَّم فيه بما يريد ، وتمكَّن منه غاية التمكن .

القلب الثاني : قلب قد استنار بنور الإيمان ، وأوقد فيه مصباحه ، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية ، فللشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع ، فالحرب دول وسجال .

وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة ، فمنهم مَن أوقات غلبته لعدوه أكثر ، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر ، ومنهم من هو تارة وتارة .

القلب الثالث : قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان ، وانقشعت عنه حجب الشهوات ، وأقلعت عنه تلك الظلمات ، فلنوره في قلبه إشراق ، ولذلك الاشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به ، فهو كالسماء التي حرست بالنجوم ، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم

فاحترق[1]، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن ، وحراسة اللّه تعالى له أتم من حراسة السماء ، والسماء متعبَّد الملائكة ، ومستقرُّ الوحي ، وفيها أنوار الطاعات ، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإِيمان ، وفيه أنوارها ، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو ، فلا ينال منه شيئاً إلا خطفة .

وقد مثل ذلك بمثال حسن . وهو ثلاثة بيوت : بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره . وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره ، وليس جواهر الملك وذخائره . وبيت خال صفر لا شيء فيه ، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت ، فمن أيِّها يسرق ؟

فإن قلت : من البيت الخالي ، كان محالاً ، لأن البيت الخالي ليس فيه شيء يسرق ، ولهذا قيل لابن عباس رضي اللّه عنهما : إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها ، فقال : وما يصنع الشيطان بالبيت الخراب ؟

وإن قلت : يسرق من بيت الملك ، كان ذلك كالمستحيل الممتنع ، فإن عليه من الحرس واليزَك[2] ما لا يستطيع اللص الدنو منه ، كيف وحارسه الملك بنفسه ، وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجند ما حوله ؟ فلم يبق للّص إلا البيت الثالث ، فهو الذي يشن عليه الغارات .

---

(١) في مخطوطات الشيخ اسماعيل : فلو دنا منه شيطان ليخطف منه لاحترق .

(٢) اليزك والحرس بمعنى .

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل ، ولينزله على القلوب ، فانها على منواله .

فقلب خلا من الخير كله ، وهو قلب الكافر والمنافق ، فذلك بيت الشيطان ، قد أحرزه لنفسه واستوطنه واتخذه سكناً ومستقراً ، فأي شيءٍ يسرق منه وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه ؟ .

وقلب قد امتلأ من جلال اللّه عز وجل وعظمته ومحبته ومراقبته والحياء منه ، فايُّ شيطان يجترىء على هذا القلب ؟ وإن أراد سرقة شيء منه ، فماذا يسرق ، وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخطفة ونهب يحصل له على غرة من العبد وغفلة لا بد له منها ، إذ هو بشر ، وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو والذهول وغلبة الطبع .

وقد ذكر عن وهب بن منبه(*) رحمه اللّه تعالى أنه قال : في بعض الكتب الإلّهية : « لَسْتُ أَسْكُنَ البُيوتُ ، وَلاَ تَسَعْنِي ، وَأَيُّ بَيْتٍ يَسَعُنِي وَالسَّمٰواتُ حَشْوَ كَرْسِي ؟ ولكن أنا في قلب الوادع التارك لكل شيء سواي » وهذا معنى الأثر الآخر « مَا وَسِعَتْنِي سَمٰوَاتِي وَلاَ أَرْضِي ، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنَ »(١) .

وقلب فيه توحيد اللّه تعالى ومعرفته ومحبته والإيمان به والتصديق بوعده ، وفيه شهوات النفس وأخلاقها ودواعي الهوى والطبع .

(*) وهب بن منبه الصنعاني الذماري توفي سنة ثلاث عشرة ومئة وقال أبو زرعة : يماني ثقة . انظر « الجرح والتعديل » ٤/ ٢/ ٢٤ رقم (١١٠) .

(١) قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » ذكره الغزالي في « الإحياء بلفظ : قال الله : لم =

وقلب بين هذين الداعيين . فمرة يميل بقلبه داعي الإيمان والمعرفة والمحبة للَّه تعالى وإرادته وحده ، ومرة يميل بقلبه داعي الشيطان والهوى والطباع ، فهذا القلب للشيطان فيه مطمع ، وله منه منازلات ووقائع ، ويعطي اللَّه النصر من يشاء ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٦] وهذا لا يتمكن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه ، فيدخل إليه الشيطان ، فيجد سلاحه عنده فيأخذه ويقاتله به ، فان أسلحته هي الشهوات والشبهات والخيالات والأماني الكاذبة ، وهي في القلب ، فيدخل الشيطان فيجدها عتيدة فيأخذها ويصول بها على القلب ، فإن كان عند العبد عدة عتيدة من الإيمان تقاوم تلك العدة وتزيد عليها ، انتصف من الشيطان ، وإلا فالدولة لعدوه عليه ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه . فإذا أذن العبد لعدوه وفتح له باب بيته وأدخله عليه ومكنه من السلاح يقاتله به ، فهو الملوم .

فَنَفْسَك لُمْ ولا تَلُمِ المطايا ومُتْ كَمِداً فليس لك اعتذارُ

* * *

= يسعني ، وذكره بلفظ : ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع ، قال السخاوي : وقال العراقي : لم أر له أصلاً ، وكذا قال ابن تيمية : هو مذكور في الاسرائيليات ، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ ، ونقل عن ابن الزركشي أن بعض أهل العلم قال : إنه حديث باطل ، وهو من وضع الملاحدة ، ونقله عنه العجلوني في « كشف الخفاء » وأقره عليه .

فصل [في بيان فضل الصيام]

عدنا إلى شرح حديث الحارث الذي فيه ذكر ما يحرز العبد من عدوه .

قوله ﷺ : « **وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُها ، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ** » .

إنما مثَّل ﷺ ذلك بصاحب الصرة التي فيها المسك ، لأنها مستورة عن العيون ، مخبوءة تحت ثيابه ، كعادة حامل المسك ، وهكذا الصائم صومه مستور عن مشاهدة الخلق ،لا تدركه حواسهم ، والصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام ، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور ، وبطنه عن الطعام والشراب ، وفرجه عن الرفث ، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعاً صالحاً ، وكذلك أعماله ، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها مَن جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته له، وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم .

هذا هو الصوم المشروع ، لا مجرد إمساك عن الطعام والشراب .

ففي الحديث الصحيح : « مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ بِهِ ،

فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ ، فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ »[1] وفي الحديث « رُبَّ صَائِمٌ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الجُوعُ وَالعَطَشُ »[2] .

فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام ، وصوم البطن عن الشراب والطعام ، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده ، فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته ، فتصيِّره بمنزلة من لم يصم .

وقد اختلف في وجود هذه الرائحة من الصائم ، هل هي في الدنيا ، أو في الآخرة ؟ على قولين . وقد وقع بين الشيخين الفاضلين أبي محمد [عز الدين] بن عبد السلام[*] وأبي عمرو بن الصلاح[**] في ذلك تنازل ، فمال أبو محمد إلى أن تلك في الآخرة خاصة ، وصنف فيه مصنفاً . ومال الشيخ أبو عمرو إلى أن ذلك في الدنيا والآخرة . وصنف

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٤٥٢ و ٥٠٥ ، والبخاري ٤/ ٩٩ و ١٠٠ في الصوم : باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ، و ١٠/ ٣٩٤ في الأدب : باب قول الله تعالى : ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾ ، وابن ماجه رقم (١٦٨٩) في الصيام : باب ما جاء في الغيبة والرفق للصائم ، وأبو داود رقم (٢٣٦٢) في الصوم : باب الغيبة للصائم ، والترمذي رقم (٧٠٧) في الصوم : باب ما جاء في التشديد في الغيبة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٣٧٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ، ونسبه لابن خزيمة والحاكم والبيهقي ، وهو حديث صحيح . كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٤٨٤) .

(*) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ، عز الدين ، الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي ، بلغ رتبة الاجتهاد ، ولد بدمشق سنة ٥٧٧هـ ونشأ بها ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ . من تصانيفه : « قواعد الأحكام في إصلاح الأنام » وهو تحت الطبع ، من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق و « ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام » و « الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز » وغيرها .

(**) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي النصر ، الشهرزوري ، الكردي ، أبو عمرو ، تقي الدين ، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث =

فيه مصنفاً رد فيه على أبي محمد . وسلك أبو عمرو في ذلك مسلك أبي حاتم ابن حبان ، فانه في « صحيحه » بوّب عليه كذلك . فقال : « ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم أطيب عنه اللّه تعالى من ريح المسك » ثم ساق حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة(*) عن النبي ﷺ «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلَّا الصِّيامَ ، وَالصِّيَامُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَلَخُلُوفُ فَمُّ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ » ثم قال : « ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم يكون أطيب عند اللّه من ريح المسك يوم القيامة » ثم ساق حديثاً

= والفقه وأسماء الرجال . ولد في « شرخان » قرب شهرزور سنة ٥٧٧هـ ، وانتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان ، فبيت المقدس فدمشق ، فولاه الملك الأشرف تدريس دار الحديث وتوفي فيها سنة (٦٤٣هـ) . من تصانيفه « معرفة أنواع الحديث » المعروف بمقدمة ابن الصلاح ، و« أدب المفتي والمستفتي » و« طبقات الفقهاء الشافعية » وغيرها .

(*) قد اختلف في اسم أبي هريرة ، ونسبه اختلافاً كثيراً ، وأشهر ما قيل فيه أنه كان في الجاهلية عبد شمس ، أو عبد عمرو ، وفي الإسلام عبد اللّه أو عبد الرحمن ، وهو دوسي .

قال ابن عبد البر : لا يصح في اسمه ونسبه مع الخلاف الكثير الذي فيه شيء ، وقال الحاكم أبو أحمد : أصح شيء عندنا في اسم أبي هريرة : عبد الرحمن بن صخر ، وغلبت عليه كنيته ، فهو كمن لا اسم له .

أسلم عام خيبر ، وشهدها مع النبي ﷺ ، ثم لزمه ، وواظب عليه راغباً في العلم ، راضياً بشبع بطنه ، وكان يدور معه حيثما دار ، وكان من أحفظ الصحابة ، ويحضر ما لا يحضره أحد منهم لملازمته النبي ﷺ .

قال البخاري : روي عنه أكثر من ثماني مائة رجل من صحابي وتابعي ، فمنهم ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وأنس ، وواثلة بن الأسقع .

مات بالمدينة سنة سبع وخمسين ، وقيل : ثماني وخمسين ، وقيل تسع وخمسين ، وهو ابن ثمان وسبعين . وإنما سمي أبا هريرة لأنه كانت له هرة .

من حديث ابن جريج عن عطاء عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ ، إلاَّ الصِّيامَ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنا أَجْزِي بِهِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِّ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ ، لِلْصَّائِمِ فَرْحَتَانِ [يَفْرَحُهُمَا][(١)] : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَىٰ فَرِحَ بِصَوْمِهِ »[(٢)] .

قال أبو حاتم[(*)] : شعار المؤمنين يوم القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقاً بينهم وبين سائر الأمم ، وشعارهم في القيامة بصومهم ،

---

(١) الزيادة من « صحيح مسلم » .

(٢) رواه البخاري ١٠/ ٣١٠ في اللباس : باب ما يذكر في المسك ، من طريق معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة ، ورواه بمعناه من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة البخاري ١٣/ ٣٨٩ في التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ، ومسلم رقم (١١٥١) في الصيام : باب فضل الصيام ، و« الموطأ » ١/ ٣١٠ في الصيام : باب جامع الصيام، وأبو داود رقم (٢٣٦٣) في الصوم : باب الغيبة للصائم ، والترمذي رقم (٧٦٤) في الصوم : باب ما جاء في فضل الصوم ، والنسائي ٤/ ١٦٢ ـ ١٦٥ في الصوم : باب فضل الصيام وذكر الاختلاف على أبي صالح في هذا الحديث ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٣٢ و٢٦٦ و٢٧٣ والدارمي رقم (١٧٧٦) و(١٧٧٧) و(١٧٧٨) في الصيام : باب في فضل الصيام .

(*) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي ، أبو حاتم البستي ، ويقال له : ابن حبّان ، محدث ، ومؤرخ ولد في « بست » من بلاد الأفغان وتنقل في الأقطار ، وتولى قضاء سمرقند مدة ، وتوفي ببلده سنة ٣٥٤هـ . قال ياقوت : أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره . من تصانيفه « المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع » ومنه نسخة خطية في مكتبة الشيخ عبد الحي الكنوي ذكرها تقي الدين الهلالي في كتابه الدعوة إلى الله وقال : إنه رآها . و« معرفة المجروحين من المحدثين » و« مشاهير علماء الأمصار » و« الثقات » وقد طبع مؤخراً في الهند ويقع في تسع مجلدات . و« روضة العقلاء » في الأدب .

طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك ، ليُعْرَفوا من بين ذلك الجمع بذلك العمل ، جعلنا اللّٰه تعالى منهم .

ثم قال : « ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم قد يكون أيضاً أطيب من ريح المسك في الدنيا » ثم ساق من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « كُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُها ابنُ آدَمَ بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، يَقُولُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِلَّا الصَّوْمَ ، فَهُوَ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدَعُ الطَّعَامَ مِنْ أَجْلِي ، وَالشَّرَابَ مِن أَجْلِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَلِلْصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ حِينَ يَفْطِرُ ، وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَىٰ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَخُلُوفُ فَمِّ الصَّائِمِ حِينَ يَخْلِفُ مِنَ الطَّعَامِ أَطْيَبَ عِنْدَ اللّٰهِ مِن رِيحِ المِسْكِ »(١) .

واحتج الشيخ أبو محمد بالحديث الذي فيه تقييد الطيب بيوم القيامة .

قلت : ويشهد لقوله الحديث المتفق عليه « وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ـ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ ـ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمِيَ . اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالرِيحُ رِيحَ مِسْكٍ »(٢) .

---

(١) وهو حديث صحيح ، وهو بنحوه عند مسلم رقم (١١٥١) .

(٢) رواه البخاري ٦/ ١٥ في الجهاد: باب من يجرح في سبيل اللّٰه ،وفي الوضوء: باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء، وفي الذبائح : باب المسك ، ومسلم رقم (١٨٧٦) في الامارة : باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ، و« الموطأ » ٢ / ٤٦١ في الجهاد : باب الشهداء في سبيل الله، والترمذي رقم(١٦٥٦) في فضائل الجهاد : باب ما جاء فيمن يكلم في سبيل الله ، والنسائي ٦ / ٢٨ و ٢٩ في الجهاد : باب من كلم في سبيل الله ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٤٢ و ٣٩١ و ٣٩٨ و ٤٠٠ و ٥٣١ و ٥٣٧ ، والدارمي رقم (٢٤١١) في الجهاد : باب في فضل من جرح في سبيل الله جرحاً ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فأخبر ﷺ عن رائحة كلم المكلوم في سبيل اللّٰه عز وجل بأنها كريح المسك يوم القيامة ، وهو نظير إخباره عن خلوف فم الصائم ، فإن الحس يدل على أن هذا دم في الدنيا ، وهذا خلوف له ، ولكن يجعل اللّٰه تعالى رائحة هذا وهذا مسكاً يوم القيامة .

واحتج الشيخ أبو عمرو بما ذكره أبو حاتم في « صحيحه » من تقييد ذلك بوقت إخلاقه ، وذلك يدل على أنه في الدنيا ، فلما قيد المبتدأ وهو خلوف فم الصائم بالظرف ، وهو قوله : حين يخلف ، كان الخبر عنه ، وهو قوله : أطيب عند اللّٰه ، خبراً عنه في حال تقييده ، فإن المبتدأ إذا تقيد بوصف أو حال أو ظرف ، كان الخبر عنه حال كونه مقيداً ، فدل على أن طيبه عند اللّٰه تعالى ثابت حال إخلافه .

قال : وروى الحسن بن سفيان(*) في «مسنده» عن جابر(**) أن النبي

(*) هو الحافظ الإمام شيخ خراسان أبو العباس الشيباني النسوي . سمع اسحاق ويحيى بن معين وخلائق وسمع تصانيف ابن أبي شيبة منه ، وكان على مذهب أبي ثور ، حدث عنه ابن خزيمة وابن حبان . قال الحاكم : كان محدث خراسان في عصره متقدماً في الثبت والكثرة والفهم والفقه والأدب . مات في رمضان سنة ثلاث وثلاث مئة ا هـ . تذكرة الحفاظ ص ٧٠٤ مختصراً .

(**) هو أبو عبد اللّٰه جابر بن عبد اللّٰه بن عمرو بن حرام بن سواد بن سَلِمة الأنصاري السلمي ، ويقال : جابر بن عبد اللّٰه بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة ، من مشاهير الصحابة وأحد المكثرين من الرواية عن رسول اللّٰه ﷺ .

شهد هو وأبوه العقبة الثانية ، ولم يشهد الأولى ، وشهد بدراً ، وقيل : لم يشهدها ، وشهد بعدها مع النبي ﷺ ثماني عشرة غزوة . وقدم الشام ومصر ، وأبوه أحد النقباء الاثني عشر . وكُفَّ بصر جابر في آخر عمره .

روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن ، ومحمد بن علي الباقر ، وعطاء بن أبي رباح ، وأبو الزبير ، فأكثر ، ومحمد بن المنكدر ، وخلق سواهم .

ﷺ قال : « أُعْطِيَتْ أُمَّتِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْساً . . » فذكر الحديث ، وقال فيه : « وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّهُمْ يُمْسُونَ وَرِيحُ أَفْوَاهِهِمْ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ »(١) . ثم ذكر كلام الشراح في معنى طيبه وتأويلهم إياه بالثناء على الصائم والرضى بفعله ، على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة ، حتى كأنه قد بورك فيه ، فهو موكل به ، وأي ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند اللَّه من ريح المسك بالثناء على فاعله والرضى بفعله ، وإخراج اللفظ عن حقيقته ؟ وكثير من هؤلاء ينشىء للفظ معنى ، ثم يدَّعي إرادة ذلك المعنى بلفظ النص من غير نظر منه إلى استعمال ذلك اللفظ في المعنى الذي عينه أو احتمال اللغة له .

ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة على اللَّه تعالى ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت ، فإن لم يكن ذلك معلوماً بوضع اللفظ لذلك المعنى ، أو عرف الشارع ﷺ وعادته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنى أو تفسيره له به ، وإلا كانت شهادة باطلة ، وأدنى أحوالها أن تكون شهادة بلا علم .

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك ، فمثَّل النبي ﷺ هذا الخلوف عند اللَّه تعالى بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم ، ونسبة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه ، فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين ، كما أن رضاه

= مات بالمدينة سنة أربع وسبعين ، وقيل : سنة سبع وسبعين ، وقيل : سنة ثمان وسبعين ، وصلى عليه أبان بن عثمان ، وهو أميرها ، وله أربع وتسعون سنة .
وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة في قول .

(١) وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢/ ٩٢ ونسبه للبيهقي وقال : وإسناده مقارب .

وغضبه وفرحه وكراهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك ، كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات خلقه ، وصفاته لا تشبه صفاتهم ، وأفعاله لا تشبه أفعالهم ، وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطيب ، فيصعد إليه ، والعمل الصالح ، فيرفعه ، وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا .

ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال ، إذ ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله في الرضى ، فإن قال : رضى ليس كرضى المخلوقين ، فقولوا : استطابة ليست كاستطابة المخلوقين ، وعلى هذا جميع ما يجيء من هذا الباب .

ثم قال : وأما ذكر يوم القيامة في الحديث، فلأنه يوم الجزاء ، وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلباً لرضى اللّٰه تعالى ، حيث يؤمر باجتنابها ، واجتلاب الرائحة الطيبة ، كما في المساجد والصلوات وغيرها من العبادات ، فخص يوم القيامة بالذكر في بعض الروايات ، كما خص في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ** ﴾ [العاديات : ١١] وأطلق في باقيها نظراً إلى أن أصل أفضليته ثابت في الدارين .

قلت : من العجب رده على أبي محمد بما لا ينكره أبو محمد ولا غيره ، فإن الذي فسر به الاستطابة المذكورة في الدنيا بثناء اللّٰه تعالى على الصائمين ورضاه بفعلهم ، أمر لا ينكره مسلم ، فان اللّٰه تعالى قد أثنى عليهم في كتابه، وفيما بلَّغه عنه رسوله ﷺ ورضي بفعله، فإن كانت هذه هي الاستطابة ، أفترىٰ الشيخ أبو محمد ينكرها؟!! والذي ذكره الشيخ أبو محمد أن هذه الرائحة إنما يظهر طيبها على طيب المسك في

اليوم الذي يظهر فيه طيب دم الشهيد ، ويكون كرائحة المسك ، ولا ريب أن ذلك يوم القيامة ، فان الصائم في ذلك اليوم يجيء ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك ، كما يجيء المكلوم في سبيل اللَّه عز وجل ورائحة دمه كذلك ، لا سيما والجهاد أفضل من الصيام ، فان كان طيب رائحته إنما يظهر يوم القيامة ، فكذلك الصائم .

وأما حديث جابر : « فَإِنَّهُمْ يُمْسُونَ وَخُلُوفُ أَفْوَاهِهِم أَطْيَبُ مِن رِيحِ المِسْكِ » ، فهذه جملة حالية ، لا خبرية ، فان خبر إمسائه لا يقترن بالواو ، لأنه خبر مبتدأ ، فلا يجوز اقترانه بالواو ، وإذا كانت الجملة حالية ، فلأبي محمد أن يقول : هي حال مقدَّرة ، والحال المقدرة يجوز تأخيرها عن زمن الفعل العامل فيها ، ولهذا لو صرح بيوم القيامة في مثل هذا ، فقال : « يُمْسُونَ وَخُلُوفُ أَفْوَاهِهِم أَطْيَبُ مِن رِيحِ المِسْكِ يَوْمَ القِيَامَةِ » لم يكن التركيب فاسداً ، كأنه قال : « يمسون » وهذا لهم يوم القيامة .

وأما قوله : « لَخُلُوفُ فَمِّ الصَّائِمِ حِينَ يَخْلُفُ » فهذا الظرف تحقيق للمبتدأ ، أو تأكيد له ، وبيان إرادة الحقيقة المفهومة منه ، لا مجازه ولا استعارته ، وهذا كما تقول : جهاد المؤمن حين يجاهد ، وصلاته حين يصلي ، يجزيه اللَّه تعالى بها يوم القيامة ، ويرفع بها درجته يوم القيامة ، وهذا قريب من قوله ﷺ : « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ »[1] .

---

(١) رواه البخاري ٥/ ٨٦ في المظالم : باب النهبي بغير إذن صاحبه ، و ١٠/ ٢٨ في الأشربة : الباب الأول ، و ١٢/ ٥٠ في الحدود : باب الزنا وشرب الخمر ، و ١٢/ ١٠١ في الحدود : باب إثم الزناة وقول الله تعالى : ﴿ولا يزنون﴾ و ﴿ ولا تقربوا =

وليس المراد تقييد نفي الإيمان المطلق عنه حالة مباشرة تلك الأفعال فقط ، بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان ، بل هذا النفي مستمر إلى حين التوبة ، وإلا فما دام مصراً يباشر الفعل(١) ، فالنفي لا حق به ، ولا يزول عنه اسم الذم والأحكام المترتبة على المباشرة ، إلا بالتوبة النصوح ، واللّٰه سبحانه وتعالى أعلم .

قلت : وفصل النزاع في المسألة أن يقال : حيث أخبر النبي ﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة ، فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر ، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك ، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك ، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية ويظهر فيه قبح رائحة دم الكفار وسواد وجوههم ، وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يمسون ، فلأنه وقت ظهور أثر العبادة ، ويكون حينئذٍ طيبها زائداً على ريح المسك عند اللّٰه تعالى وعند ملائكته ، وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد ، فرب مكروه عند الناس ، محبوب عند اللّٰه تعالى ، وبالعكس ، فان الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم ، واللّٰه تعالى يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبته ، فيكون عنده أطيب من ريح المسك

= الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ ومسلم رقم (٥٧) في الإيمان : باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ، وأبو داود رقم (٤٦٨٩) في السنة : باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه والترمذي رقم (٢٦٢٧) في الايمان : باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن، والنسائي ٨/ ٦٤ في السارق : باب تعظيم السرقة ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٣١٧ و ٣٨٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ،ورواه البخاري ١٢/ ٧١ في الحدود : باب السارق حين يسرق، و١٢/ ١٠١ في الحدود: باب إثم الزناة، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(١) في بعض النسخ المطبوعة : وإن لم يباشر الفعل وما أثبتناه هو الصواب إن شاء الله .

عندنا ، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد ، وصار علانية ، وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر .

وإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة ، وقد يقوى العمل ويتزايد ، حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر ، كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة .

قال ابن عباس : إن للحسنة ضياءً في الوجه ، ونوراً في القلب ، وقوة في البدن ، وسَعَةً في الرزق ، ومحبةً في قلوب الخلق ، وإن للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمة في القلب ، ووهناً في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبغضةً في قلوب الخلق .

وقال عثمان بن عفان : ما عمل رجل عملاً إلا ألبسه اللّٰه تعالى رداءه[1] ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم ، حتى إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وإن لم يمس طيباً ، فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه ، والفاجر بالعكس ، والمزكوم الذي أصابه ملأ مسام قلبه[2] لا يشم لا هذا ، ولا هذا ، بل زكامه يحمله على الإنكار ، فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة ، واللّٰه سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

* * *

---

(١) الضمير يعود على العمل .

(٢) في نسخة : « وأصابه الهواء » .

فصل [في فضل الصدقة]

« وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ ، فَقَالَ : أَنَا أَفْتَدِي مِنْكُمْ بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ ، فَفَدَىٰ نَفْسَهُ مِنْهُمْ » .

هذا أيضاً من الكلام الذي برهانه وجوده ، ودليله وقوعه ، فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء ، ولو كانت من فاجر أو ظالم ، بل من كافر ، فإن اللّٰه تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء ، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم ، وأهلُ الأرض كُلُّهم مُقِرُّون به ، لأنهم جرَّبوه .

وقد روى الترمذي في « جامعه » من حديث أنس بن مالك(*) أن

(*) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر ابن غَنْم بن عدي بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري الخزرجي . أمه أم سُلَيْم بنت مِلْحان .

قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن عشر سنين ، وقيل : ابن تسع ، وقيل : ابن ثمان . وخدم النبي ﷺ عشر سنين . وقد جاء في بعض الحديث أنه خدمه لما خرج إلى غزوة خيبر، فانتقل إلى البصرة في خلافة عمر لِيُفَقِّه الناس بها .

وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة إحدى وتسعين ، وقيل : سنة اثنتين ، وقيل : سنة ثلاثة وله من العمر مائة وثلاثة سنين ، أو سنة أو سنتان ، وقيل : تسع وتسعون سنة . وقال ابن عبد البر : وهو أصح ما قيل . =

النبيَّ ﷺ قال : « إنَّ الصَّدَقَةَ تُطْفِىءُ غَضَبَ الـرَّبِّ ، وَتَدْفَـعُ مِيْتَةِ السُّوءِ »(١) وكما أنها تطفىء غضب الرب تبارك وتعالى ، فهي تطفىء الذنوب والخطايا كما يطفىء الماء النار .

وفي الترمذي عن معاذ بن جبل(*) قال : كنت مع رسول اللَّه ﷺ

= يقال : إنه ولد له مائة ولد ، وقيل : ثمانون ، منهم ثمانية وسبعون ذكراً واثنتا اثنى : حفصة وأم عمرو .

روى عنه : الزهري ، وابن سيرين ، وقتادة ، وثابت ، وحميد ، وجماعة من أولاده ، وأولاد أولاده ، وخلق كثير من التابعين .

(١) رواه الترمذي رقم (٦٦٤) في الزكاة : باب نقل الصدقة ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٨١٦) « موارد » في الزكاة : باب ما جاء في الصدقة ، وفي سنده عبد الله بن عيسى الخزاز ، وهو ضعيف . وفيه أيضاً عنعنة الحسن البصري ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وفي بعض النسخ ؛ غريب ، وقد ثبت الحديث من طرق بلفظ : « إن صدقة السر تطفىء غضب الرب ، وإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء » . انظر « الإرواء » رقم (٨٨٥) .

(*) هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو ، من بني جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي الجشمي . وقد نسبه بعضهم في بني سلمة بن سعد ، قالوا : وإنما دعته بنو سلمة لأنه كان أخا سهل بن محمد بن الجد من بني سلمة لأمه .

وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ، وآخى رسول اللَّه ﷺ بينه وبين عبد اللَّه بن مسعود ، وقيل : آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب ، وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد ، وبعثه إلى اليمن قاضياً ومعلماً ، وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن .

روى عنه عمر ، وابن عمر وابن عباس وابن عمرو ، وأنس وغيرهم .

وكان إسلامه وهو ابن ثماني عشرة سنة في قول بعضهم ، استعمله عمر بن الخطاب على الشام بعد أبي عبيدة بن الجراح ، فمات من عامه ذاك في طاعون سنة ثماني عشرة ، وقيل : سبعة عشرة وله ثمان وثلاثون سنة ، وقيل : ثلاثة أو أربع وثلاثون سنة ، وقيل غير ذلك .

في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير ، فقال : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوابِ الخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ المَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ شِعَارُ الصَّالِحِينَ[1] ، ثُمَّ تَلَا ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ [السجدة : ١٦][2] .

وفي بعض الآثار : باكروا بالصدقة ، فإن البلاء لا يتخطى الصدقة .

وفي تمثيل النبي ﷺ ذلك بمن قدم ليضرب عنقه فافتدى نفسه منهم بماله كفاية ، فإن الصدقة تفدي العبد من عذاب الله تعالى ، فإن ذنوبه وخطاياه تقتضي هلاكه ، فتجيىء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه .

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما خطب النساءَ يوم العيد : « يَا مَعْشَرَ النِّساءِ تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ ، فَإنِّي رَأَيْتُكُن أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ »[3] وكأنه حثهن ورغبهن على ما يفدين به أنفسهن من النار .

---

(١) جملة « شعار الصالحين » ليست في نسخ الترمذي المطبوعة التي بين أيدينا ، وقد ذكرها ابن الأثير في « جامع الأصول » ٩/ ٥٣٥ وعزاها للترمذي ، ولعلها من زيادات رزين ، والله أعلم .

(٢) هو جزء من حديث طويل ، رواه الترمذي رقم (٢٦١٩) في الإيمان : باب ما جاء في حرمة الصلاة ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/ ٢٣١ و٢٣٤ و٢٣٥ و٢٣٧ و٢٤٥ و٢٤٦ ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٣) في الفتن : باب كف اللسان في الفتنة ، وهو حديث صحيح بطرقه .

(٣) رواه الترمذي رقم (٦٣٥) و(٦٣٦) في الزكاة ، باب في زكاة الحلي ، وهو حديث صحيح ، وهو في البخاري ومسلم ملفق من حديثين .

وفي « الصحيحين » عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُه رَبُّه ليس بَيْنَه وَبَيْنَه تَرْجُمان ، فينظرُ أَيْمنَ منه ، فلا يرى إلّا مـا قَدَّمَ ، وينظرُ أشأمَ منه ، فلا يرى إلا ما قَدَّمَ ، وينظر بين يديه ، فلا يرى إلَّا النَّار تِلْقَاءَ وجهه ، فاتَّقُوا النَّارَ ولو بشقِّ تمرة »[1] .

وفي حديث أبي ذر أنه قال : سألت رسول الله ﷺ : ماذا ينجي العبد من النار ؟ قال : « الإيمانُ باللَّهِ » ، قلت : يا نبي الله ، مع الإيمان عمل ؟ قال : « أَنْ تَرْضَخَ مِمَّا خَوَّلَكَ اللَّهُ أو تَرْضَخَ مِمَّا رَزَقَكَ اللَّه » قلت : يا نبي الله ، فإن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ ؟ قال : « يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهىَ عَنِ المُنْكَرِ » قلت : إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ؟ قال : « فلْيُعِن الأخْرَقَ » . قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع ؟ قال : « فَلْيُعِن مَظْلُوماً » قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يُعينَ مظلوماً ؟ قال : « مَا تُرِيدُ أَنْ تَتْرُكَ فِي صَاحِبِكَ مِن خَيْرٍ ؟ لِيُمْسِك أذاهُ عَنِ النَّاسِ » ، قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة ؟ قال : « مَا مِن مُؤمِنٍ يُصِيب خصْلَةً مِن هٰذِهِ الخِصَالِ إلا أَخَذَتْ بِيَدِهِ حَتَّىٰ أَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ » ذكره البيهقي في كتاب « شعب الإيمان »[2] .

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٢٢٣ في الزكاة : باب الصدقة قبل الرد ، وباب تصدقوا ولو بشق تمرة ، وفي الأنبياء : باب في علامات النبوة ، وفي الأدب : باب طيب الكـلام ، وفي التوحيد : باب كلام الرب عز وجل ، وفي الرقاق : باب من نوقش العذاب عذب ، وباب صفة الجنة والنار . ومسلم رقم (١٠١٦) (٦٧) في الزكاة : باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة ، والترمذي رقم (٢٤١٧) في صفة القيامة : باب في شأن القصاص ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٢٥٦ و ٣٧٧ .

(٢) وقد رواه أحمد والبخاري ومسلم بأخصر منه . قوله « ترضح » : تعطي ، وقوله « الأخرق » : الأحمق .

وقال عمر بن الخطاب : ذكر لي أن الأعمال تتباهى ، فتقول الصدقة : أنا أفضلكم .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : «ضربَ رسولُ اللَّه ﷺ مَثَلَ البَخِيلِ وَالمُتَصَدِّق كَمَثَلِ رَجُلَيْن عَلَيْهِما جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ ، أَوْ جُنَّتانِ مِنْ حَدِيدٍ قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إلى ثُدِيِّهما وَتَرَاقِيهِمَا ، فَجَعَلَ المُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تُغَشِّي أَنامِلَهُ ، وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ ، وَجَعَلَ البَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ ، قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَها » ، قال أبو هريرة : فأنا رأيتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول باصبعه هكذا في جيبه ، فلو رأيته يُوَسِّعُهَا ولا تُوَسَّعُ » .

وروى البخاري هذا الحديث في كتاب الـزكاة عن أبي هريرة أيضاً ، ولفظه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقُ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِن حَدِيدٍ مِن ثَدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا ، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إلاَّ اتَّسَعَتْ أَوْ فَرَّتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى يَخْفَى أَثَرُهُ ، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيئاً إلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَها فَهُو يُوسِعُها وَلاَ تَتَّسِع »[1] .

وروى عن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ، قَالُوا : يا رسول الله ! فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ ، قالُوا : فَإن لَمْ يَجِد ؟ قال : يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفِ

(١) رواه البخاري ١٠/ ٢٢٧ و٢٢٨ في اللباس : باب جيب القميص من عند الصدر وغيره ، وفي الزكاة : باب مثل البخيل المتصدق، وفي الجهاد : باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب ، ومسلم رقم (١٠٢١) في الزكاة : باب مثل البخيل المتصدق ، والنسائي ٥/ ٧٠ ـ ٧٢ في الزكاة : باب صدقة البخيل .

قَالُوا : فَإن لَمْ يَجِد ؟ قال : فَلْيَعْمَلُ بِالمَعرُوفِ وَلِيُمْسِكِ عَنِ الشَّرِّ فإنَّها لَهُ صَدَقَةٌ »(1) .

ولما كان البخيل محبوساً عن الاحسان ، ممنوعاً عن البر والخير ، كان جزاؤه من جنس عمله ، فهو ضيق الصدر ، ممنوع من الانشراح ، ضيق العطن ، صغير النفس ، قليل الفرح ، كثير الهم والغم والحزن ، لا يكاد تقضى له حاجة ، ولا يعان على مطلوب .

فهو كرجل عليه جبة من حديد ، قد جمعت يداه إلى عنقه بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها ، وكلما أراد إخراجها ، أو توسيع تلك الجبة لزمت كل حلقة من حلقها موضعها . وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فبقي قلبه في سجنه كما هو ، والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه ، وانفسح بها صدره ، فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه ، فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح ، وقوي فرحه ، وعظم سروره ، ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها ، لكان العبد حقيقاً بالاستكثار منها والمبادرة إليها . وقد قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُوْقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر : ٩ ـ والتغابن : ١٦] .

وكان عبد الرحمن بن عوف(*) ـ أو سعد بن أبي

---

(1) رواه البخاري ٤/ ٥٠ في الزكاة : باب على كل مسلم صدقة ، و١٠/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥ في الأدب : باب كل معروف صدقة ، ومسلم رقم (١٠٠٨) في الزكاة : باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف .

(*) هو أبو محمد عبد الرَّحمٰن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب الزهري القرشي .
كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو ، فسماه النبي ﷺ : عبد الرحمن .
وأمه الشفا بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة . أسلمت وهاجرت . =

وقاص(*) - يطوف بالبيت ، وليس له دأب إلا هذه الدعوة: ربِّ قني شُحَّ نفسي ، ربِّ قني شُح نفسي. فقيل له: أما تدعو بغير هذه الدعوة؟

= وأسلم هو قديماً على يد أبي بكر الصديق ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ . وثبت يوم أحد . وصلى النبي ﷺ خلفه في غزوة تبوك وأتم ما فاته .

كان طويلاً ، رقيق البشرة ، مشرباً بحمرة ، ضخم الكفين ، أقنى ، كان ساقط الثنيتين، أعرج أصيب يوم أحد . جرح عشرين جراحة أو أكثر ، فأصابه بعضها في رجله فعرج .

ولد بعد الفيل بعشر سنين ، ومات سنة اثنين وثلاثين . ودفن بالبقيع ، وله اثنتان وسبعون سنة ، وقيل : خمس وسبعون ، وقيل : ثمان وسبعون .

يلقى آباء النبي ﷺ في كعب بن مرة .

روى عنه ابن عباس ، وابنه إبراهيم .

(*) هو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص : مالك بن وهيب ويقال : أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب الزهري القرشي . وأمه حمنة بنت سفيان ، وقيل : بنت أبي سفيان بن عبد شمس بن عبد مناف .

أسلم قديماً على يد أبي بكر الصديق ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وقال : كنت ثالث الإسلام ، وأنا أول من رمى بسهم في سبيل الله .

شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، كان قصيراً غليظاً ، ذا هامة ، شثن الأصابع ، آدم ، أفطس ، أشعر الجسد .

مات في قصره بالعقيق قريباً من المدينة ، فحمل على رقاب الرجال إلى المدينة ، وصلى عليه مروان بن الحكم ، وهو يومئذ والي المدينة ، ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين ، وقيل : سنة سبع وخمسين ، وقيل : سنة ثمانٍ وخمسين ، وله بضع وسبعون سنة ، وقيل : اثنتان وثمانون ، وهو آخر العشرة موتاً ، ولّاه عمر وعثمان الكوفة .

يلقى آباء النبي ﷺ في كلاب بن مرة .

روى عنه عبد الله بن عمر ، وجابر بن سمرة ، وعامر ومحمد ومصعب بنوه ،وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وابن المسيب ، وأبو عثمان النهدي ، وقيس بن أبي حازم .

فقال : إذا وُقِيتُ شح نفسي ، فقد أفلحت .

والفرق بين الشح والبخل ، أن الشح : هو شدة الحرص على الشيء ، والاحفاء في طلبه ، والاستقصاء في تحصيله ، وجشع النفس عليه ، والبخل : منع إنفاقه بعد حصوله وحبه وإمساكه ، فهو شحيح قبل حصوله ، بخيل بعد حصوله ، فالبخل ثمرة الشح ، والشح يدعو إلى البخل ، والشح كامن في النفس ، فمن بخل فقد أطاع شحه ، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووُقِيَ شره ، وذلك هو المفلح : ﴿ **وَمَنْ يُوْقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر : ٩ والتغابن : ١٦] .

والسخي قريب من الله تعالى ، ومن خلقه ، ومن أهله ، وقريب من الجنة ، وبعيد من النار . والبخيل بعيد من خلقه ، بعيد من الجنة ، قريب من النار ، فجود الرجل يحببه إلى أضداده ، وبخله يبغضه إلى أولاده .

وَيُظْهِرُ عَيْبَ المَرْءِ في النَّاسِ بُخْلُهُ	ويَسْتُرُه عَنْهُمْ جَمِيعاً سَخَاؤه
تَغَطَّ بأثوابِ السَّخَاءِ فَإِنني	أَرَى كُلَّ عَيبٍ بِالسَّخَاءِ غِطَاؤُه
وقارِنْ إذا قَارَنْتَ حُرَّاً فَانَّما	يَزِينُ ويُزرِي بالفَتى قُرنَاؤُهُ
وَأَقْلِلْ إذَا ما اسْطَعَتَ قَوْلاً فإنَّه	إذا قَلَّ قَوْلُ المرْءِ قَلَّ خَطَاؤُهُ[1]
إذَا قَلَّ مالُ المرءِ قَلَّ صَدِيقُه	وضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُه وَسَمَاؤه
وأصبح لا يدري وإن كان حازماً	أَقُدَّامه خيرٌ له أمْ مَا وَرَاءَهُ
إذا المرءُ لم يختر صديقاً لنفسهِ	فَنَادِ به في الناس هذا جَزَاؤُهُ

(١) في « اللسان » الخطأ والخطاء : ضد الصواب .

وحدُّ السخاء : بذل ما يُحتاج إليه عند الحاجة ، وأن يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة ، وليس ـ كما قال بعض من نقص علمه ـ : حد الجود : بذل الموجود ، ولو كان كما قال هذا القائل ، لارتفع اسم السرف والتبذير ، وقد ورد الكتاب بذمهما ، وجاءت السنة بالنهي عنهما ، وإذا كان السخاء محموداً ، فمن وقف على حدِّه سمي كريماً ، وكان للحمد مستوجباً ، ومن قصر عنه كان بخيلاً ، وكان للذم مستوجباً ، وقد روي في أثر : إن الله عز وجل أقسم بعزته ألَّا يجاوره بخيل .

والسخاء نوعان :

فأشرفهما : سخاؤك عما بيد غيرك .

والثاني : سخاؤك ببذل ما في يدك .

فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يعطيهم شيئاً ، لأنه سخا عما في أيديهم ، وهذا معنى قول بعضهم : السخاء أن تكون بمالك متبرِّعاً ، وعن مال غيرك متورِّعاً .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية(*) قدس الله روحه يقول : أوحى

(*) هو الإمام المجدد شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي .

ولد بحران سنة ٦٦١هـ ، وشب في كنف والده بدمشق ، ونبغ في الحديث والتفسير والأصلين ، ومحاسنه كثيرة أكبر من أن يُنبّه على سيرته مثلي ، وجمع إلى ذلك الشجاعة والنجدة ، إذ كانت له بطولة وبسالة ضد جيش التتار سنة ٧٠٢هـ ، كما كانت له مواقف إسلامية ضد المبتدعين والمفسدين .

وكانت دعوته إلى الأخذ بكتاب اللّه عز وجل وسنة رسوله ﷺ الصحيحة ، والاعتصام بهما ، وفهمهما على النحو الذي فهمه السلف الصالح وطرح ما يخالفهما ، وتجديد ما درس من معالم الدين ، وتنقيته مما ابتدعه الناس من مناهج =

الله إلى ابراهيم ﷺ « أَتَدْرِي لِمَ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلاً ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : لأَنِّي رَأَيْتُ العَطَاءَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الأَخْذِ » . وهذه صفة من صفات الرب جل جلاله ، فإنه يعطي ولا يأخذ ، ويطعِم ولا يطعَم ، وهو أجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين ، وأحب الخلق إليه من اتصف بصفاته ، فإنه كريم يحب الكريم من عباده ، وعالم يحب العلماء ، وقادر يحب

= زائفة ، وتحذير المسلمين مما تسرب إلى الفكر الإسلامي من خرافات التصوف ، ومنطق اليونان ، وزهد الهند .

فامتحن لذلك وسجن مراراً بمصر والشام ، وكان لا يخاف في اللّه لومة لائم .

وكان رحمه اللّه تعالى عظيم الهمة ، بعيد الغاية ، سام المقصد ، أحاط بزمانه وأحوال أهله وعلوم عصره درساً وتأليفاً ، حتى بلغ مرتبة الاجتهاد ، وتسنم ذروة الإمامة في كل فن مارسه ، وبزَّ فيه فطاحل العلماء ، وفاق فيه الأعيان والنظراء .

توفي رحمه اللّه تعالى في دمشق سنة ٧٢٨هـ مسجوناً في قلعتها ، وشيعته دمشق في جنازة حافلة لم تشهد لها مثيلاً في تاريخها ـ انظر وصفها في « البداية والنهاية » لابن كثير ـ ودفن في مقبرة الصوفية ، وقبره ما زال إلى الآن شمال دار التوليد الجديدة ، رحمه الله ونفع بعلومه . آمين .

انظر البداية والنهاية » ١٤/١٣٥ ، «الأعلام» ١/١٤٤، «فوات الوفيات» ١/٧٤ «الوافي» ٧/١٥، «عيان العصر» ص ٧٤ ، «ذيل طبقات الحنابلة» ٢/٣٨٧، «تذكرة ابن الوردي» ٢/٢٨٤، «النجوم الزاهرة» ٩/٢٧١، «معجم المؤلفين » ١/ ٢٦١ ، « آداب اللغة » ٣/ ٢٤٣ ، « دائرة المعارف » ١/ ١٠٩ ، « الدارس في تاريخ المدارس » ١/ ٧٥ ـ ٧٧ ، « المنهل الصافي » ٣٣٦ ـ ٣٤٠ ، « مرآة الزمان » ٤/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ، « الكواكب الدرية في مناقب الإمام ابن تيمية » ، « من كنوز الأجداد » ٣٦٠ ـ ٣٦٩ ، « ابن تيمية حياته وعصره » لمحمد أبي زهرة، « العقود الدرية في مناقب ابن تيمية » لابن عبد الهادي ، « جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين » ، « حياة شيخ الإسلام » لمحمد بهجة البيطار ، « ابن تيمية » لمحمد يوسف موسى . « الرد الوافر » لابن ناصر الدين ، و « المناقب العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية » للبزار ، « ابن تيمية » لأبي الحسن الندوي ، وغيرها .

الشجعان ، وجميل يحب الجمال .

روى الترمذي في « جامعه »(1) قال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو عامر ، أخبرنا خالد بن الياس ، عن صالح بن أبي حسان ، قال : سمعت سعيد بن المسيب(*) يقول : « إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلاَ تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ » قال : فذكرت ذلك للمهاجر بن مسمار فقال : حدثنيه عامر بن سعد عن أبيه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ مثله ، إلا أنه قال : « فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ » هذا حديث غريب ، خالد بن الياس يُضعف .

وفي الترمذي أيضاً في « كتاب البر » قال : حدثنا الحسن بن

---

(1) رقم (٢٨٠٠) في الأدب : باب ما جاء في النظافة وفي سنده خالد بن إلياس أو إياس وهو متروك الحديث كما قال الحافظ في « التقريب » وله شاهد عند الطبراني في « الأوسط » من حديث سعد بن أبي وقاص ، ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » بلفظ : « طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها » قال المناوي في « فيض القدير » ٤/ ٢٧١ : قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني ، فالحديث حسن . انظر «الأحاديث الصحيحة» للألباني في رقم (٢٣٦) .

(*) هو أبو محمد ، سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي المدني . ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب ، كان سيد التابعين من الطراز الأول ، جمع بين الفقه والحديث والزهد والعبادة والورع ، وهو المشار إليه المنصوص عليه . وكان أعلم الناس بحديث أبي هريرة وبقضايا عمر ، لقي جماعة كثيرة من الصحابة ، روى عنهم .

قال مكحول : طفت الأرض كلها في طلب العلم فما لقيت أعلم من ابن المسيب .

قال ابن المسيب : حججت أربعين حجة .

روى عن علي وعثمان وسعد وابن عمر وأبي هريرة وغيرهم . روى عنه الزهري فأكثر ، وكثير من التابعين وغيرهم .

مات سنة ثلاث وتسعين ، وقيل : أربع ، وقيل خمس .

عرفة ، حدثنا سعيد بن محمد الوراق ، عن يحيى بن سعيد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ ، قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ ، وَالبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ ، بَعِيدٌ مِنَ الجَنَّةِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أحبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ »(١) .

وفي الصحيح : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ »(٢) .

وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء ، وإنما يرحم من عباده الرُّحماء ، وهو سِتِّير يحب من يستر على عباده ، وعفوٌّ يحب من يعفو عنهم ، وغفورٌ يحب من يغفر لهم ، ولطيف يحب اللطيف من عباده ، ويبغض الفظَّ الغليظ القاسي الجعظريَّ(٣) الجَوَّاظ(٤) ، ورفيق يحب

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٩٦٢) في البر ، باب ما جاء في السخاء ، وسعيد بن محمد الوراق هو ضعيف . وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث يحيى بن سعيد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة إلا من حديث سعيد بن محمد ، وقد خولف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد ، إنما يروى عن يحيى ابن سعيد عن عائشة مرسلاً . انظر الأحاديث الضعيفة » للألباني رقم (١٥٤) .

(٢) رواه البخاري ١١/ ١٨٠ و١٩٤ في الدعوات باب لله مائة اسم ، ومسلم رقم (٢٦٧٧) في الذكر : باب في أسماء الله تعالى .
قال الإمام النووي ١٧/ ٦ : الوتر الفرد ومعناه في حق الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا نظير ، ومعنى يحب الوتر تفضيل الوتر في الأعمال وكثير من الطاعات ، فجعل الصلاة خمساً والطهارة ثلاثاً ، والطواف سبعاً ، والسعي سبعاً ، ورمي الحجار سبعاً ، وأيام التشريق ثلاثاً ، والاستنجاء ثلاثاً ، وكذا الأكفان ، وفي الزكاة خمسة أوسق وخمس أواق من الورق ونصاب الإبل وغير ذلك ، وجعل كثيراً من عظيم مخلوقاته وتراً ، منها السموات والأرضون والبحار وأيام الاسبوع وغير ذلك . وقيل : إن معناه منصرف إلى صفة من يعبد الله بالوحدانية والتفرد مخلصاً له ، والله أعلم .

(٣) الفظ الغليظ .

(٤) الجموع المنوع ، وقيل : الضخم المختال في مشيته .

الرفق ، وحليم يحب الحلم ، وبَرٌّ يحب البِرَّ وأهْلَهُ ، وعَدْلٌ يحب العدل ، وقابل المعاذير ، يحب من يقبل معاذير عباده ، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجوداً وعدماً ، فمن عفا عفا عنه ، ومن غفر غفر له ، ومن سامح سامحه ، ومن حاقق حاققه ، ومن رفق بعباده رفق به ، ومن رحم خلقه رحمه ، ومن أحسن إليهم أحسن إليه ، ومن جاد عليهم جاد عليه ، ومن نفعهم نفعه ، ومن سترهم ستره ، ومن صفح عنهم صفح عنه ، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته ، ومن هتكهم هتكه وفضحه ، ومن منعهم خيره منعه خيره ، ومن شاقّ الله شاقّ الله تعالى به ، ومن مكر مكر به ، ومن خادع خادعه ، ومن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة . فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه . ولهذا جاء في الحديث : « مَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللّٰهُ تَعَالَىٰ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّس اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، مِنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ حِسَابَهُ »[1] . و « مَنْ أَقَالَ نَادِماً أَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) في الذكر : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٢٥٢ ، وأبو داود رقم (٤٩٤٦) في الأدب : باب في المعونة للمسلم ،والترمذي رقم (١٩٣١) في البر والصلة : باب ما جاء في السترة على المسلم ، ورقم (٢٩٤٦) في القراءات : باب رقم (١٢) ، وابن ماجه رقم (٢٢٥) في المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ولفظه عند مسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة . والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً الى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا =

عَثْرَتَهُ »(١) ، و« مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أو وَضَعَ عَنْهُ ، أَظَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّ عَرْشِهِ »(٢) لأنه لما جعله في ظل الإنظار والصبر ، ونجاه من حر المطالبة ، وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجزه ، نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش .

وكذلك الحديث الذي في الترمذي وغيره ، عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته يوماً : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإيمانُ إِلَى قَلْبِهِ ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِم ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ »(٣) .

فكما تَدِينُ تُدان : وكن كيفَ شِئْتَ فإنَّ اللَّه تعالى لك كما تكون أنت لَهُ ولعبادِهِ .

ولما أظهر المنافقون الإسلام ، وأسرُّوا الكفر ، أظهر الله تعالى لهم يوم القيامة نوراً على الصراط ، وأظهر لهم أنهم يجوزون الصراط ،

= نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

(١) رواه البيهقي في « السنن » وبمعناه رواه أحمد في « المسند » ٢ / ٢٥٢ ، وأبو داود رقم (٣٤٦٠) في البيوع : باب في الاقالة ، وابن ماجه رقم (٢١٩٩) في التجارات : باب الإقالة وصححه ابن حبان رقم (١١٠٣) والحاكم (٢ / ٤٥) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الارواء : رقم (١٣٣٤) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣ / ٤٢٧ ، ومسلم رقم (٣٠٠٦) في الزهد : باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر .

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٠٣٦) في البر : باب ما جاء في تعظيم المؤمن من حديث ابن عمر رضي الله عنه ورواه أحمد وأبو داود من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه وأبو يعلى من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه . وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « تخريج المشكاة » رقم (٥٠٤٤) .

وأسر لهم أن يطفىء نورهم ، وأن يحال بينهم وبين الصراط من جنس أعمالهم .

وكذلك من يظهر للخلق خلاف ما يعلمه الله فيه ، فإن الله تعالى يظهر له في الدنيا والآخرة أسباب الفلاح والنجاح والفوز ، ويبطن له خلافها .

وفي الحديث : « مَنْ رَآى رآى اللّهُ بِهِ ، وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللّهُ بِهِ »[1] .

والمقصود أن الكريم المتصدق يعطيه الله ما لا يعطي البخيل الممسك ، ويوسع عليه في ذاته ، وخلقه ، ورزقه ، ونفسه ، وأسباب معيشته ، جزاءً له من جنس عمله .

* * *

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٨٦) في الزهد : باب من أشرك في عمله غير الله ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه البخاري ١١/ ٢٨٨ في الرقاق : باب الرياء والسمعة ، ومسلم رقم (٢٩٨٧) في الزهد : باب من أشرك في عمله غير اللّه من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه ، ورواه ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
قال العلماء : معناه من رآى بعمله وسمعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره ، سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه ، وقيل : معناه من سمع بعيوب الناس وأذاعها ، أظهر الله عيوبه ، وقيل : أسمعه المكروه . وقيل : أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه . وقيل : معناه من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس ، وكان ذلك حظه منه .

فصل [في فضل الذكر]

وقوله ﷺ : « وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى ، فَإِنَّ مَثَل ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعاً ، حَتَّىٰ إذا أَتىٰ إِلَى حِصْنٍ حَصِينٍ ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، كَذٰلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إلَّا بِذِكْرِ اللَّه » : فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة ، لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى ، وأن لا يزال لهجاً بذكره ، فانه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر ، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة ، فهو يرصده ، فاذا غفل وثب عليه وافترسه ، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر ، وانقمع ، حتى يكون كالوصع[1] وكالذباب ، ولهذا سمي ﴿ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسِ ﴾ ، أي : يوسوس في الصدور ، فاذا ذكر الله تعالى خنس ، أي : كف وانقبض .

وقال ابن عباس(*) : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها

---

(١) طائر أصغر من العصفور .

(*) هو أبو العباس عبد اللّه بن عباس بن عبد المطلب ، الهاشمي ، القرشي ، ابن عم النبي ﷺ ، وأمه لبابة بنت الحارث ، من بني عامر بن صعصعة ، أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ .

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وتوفي النبي ﷺ وله ثلاث عشرة سنة ، وقيل : خمس عشرة ، وقيل : عشر . وذلك قبل خروج بني هاشم من الشعب ، وهم محصورون فيه . وقيل : ولد قبل الهجرة بسنتين .

كان حبر هذه الأمة وعالمها ، دعا له النبي ﷺ بالحكمة والفقه والتأويل . رأى جبريل عليه السلام مرتين . =

وغفل وسوس ، فاذا ذكر الله تعالى خنس[1] .

وفي « مسند الإمام أحمد » ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، أنه بلغه عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « ما عَمِلَ آدَمِي عَمَلاً قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِن عَذَابِ اللَّهِ مِن ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وقال معاذ : قال رسول اللّه ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَمِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ » ، قالوا : بلى يا رسول اللّه . قال : « ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »[2] .

قال مسروق : كنت إذا رأيت عبد اللّه بن عباس ، قلت : أجمل الناس . قال : فإذا تكلم ، قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدث قلت : أعلم الناس .

وكان عمر بن الخطاب يقربه ويدنيه ويشاوره مع جلة الصحابة . وكف بصره في آخر عمره .

ومات بالطائف سنة ثمان وستين ، في أيام ابن الزبير ، وهو ابن سبعين سنة ، أو إحدى وسبعين ، وصلى عليه محمد بن الحنفية .

روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين .

وكان أبيض طويلاً ، مشرباً صفرة ، جسيماً ، وسيماً ، صبيح الوجه ، له وفرة ، يخضب بالحناء ، وكان قدم مصر ، وغزا أفريقية مع عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح ، في سنة سبع وعشرين .

(١) رواه البخاري مرفوعاً من حديث ابن عباس ٨/ ٥٧٠ تعليقاً في تفسير سورة ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ وأخرجه « الطبري » ٣٠/ ٢٨ من حديث جرير عن منصور عن سفيان عن ابن عباس وهو منقطع ، وذكره الحافظ بنحوه ونسبه لسعيد بن منصور . قال الألباني : صحيح بلفظ آخر . انظر « مشكاة المصابيح » رقم (٢٢٨١) وانظر « جامع الأصول » رقم (٨٩٩) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٥/ ٢٣٩ بطوله عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله ابن عياش مرفوعاً ، وإسناده منقطع ، وكذلك رواه البيهقي وابن عبد البر عن معاذ مرفوعاً ، =

وفي « صحيح مسلم » ، عن أبي هريرة قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ : جُمْدَانَ ، فَقَالَ : سِيرُوا ، هٰذَا جُمْدَانُ ، سَبَقَ المُفَرِّدُونَ » . قِيلَ : وَمَا المفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : ٱلذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ »(١) .

وفي « السنن » عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « مَا مِنْ قَوْمٍ يقومونَ من مجلسٍ لا يذكرون اللَّه تعالى فيه ، إلَّا قاموا عن مِثْلِ جِيْفَةِ حمَارٍ ، وكان عليهم حَسْرَةً »(٢) .

وفي رواية الترمذي : « ما جَلَسَ قوم مجلساً لم يذكروا اللَّه فيه ، ولم يُصَلُّوا على نَبِيِّهِمْ إلا كان عليهم تِرَةً ، فان شاءَ عَذَّبَهم ، وإن شاء

ورواه مالك في « الموطأ » ١/ ٢١١ موقوفاً على معاذ ، وهو منقطع عنده أيضاً . قال المناوي في « فيض القدير » ٥/ ٤٥٧ : وقد رواه الطبراني عن جابر يرفعه بسند رجاله رجال الصحيح .

ورواه مالك في « الموطأ » ١/ ٢١١ موقوفاً على أبي الدرداء ، وإسناده منقطع ، وقد وصله أحمد في « المسند » ٥/ ١٩٥ ، والترمذي رقم(٣٣٧٤)في الدعوات ، وابن ماجه رقم(٣٧٩٠)في الأدب : باب فضل الذكر ، والحاكم في « المستدرك » ١/ ٤٩٦ كلهم من حديث أبي الدرداء ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٥٢٠) وستأتي رواية أبي الدرداء ص ١٣٤ .

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٧٦) في الذكر : باب الحث على ذكر الله ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٣٥٩٦) في الدعوات : باب في العفو والعافية بلفظ : « سبق المفردون » قالوا : وما المفردون يا رسول الله ! قال : « المستهترون في ذكر الله ، يضع الذكر عنهم أثقالهم ، فيأتون يوم القيامة خفافاً » .

(٢) رواه ابو داود رقم (٤٨٥٥) في الأدب : باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/ ٣٨٩ و ٤٩٤ و ٥١٥ و ٥٢٧ وابن السني رقم (٤٤٧) ، وإسناده صحيح . وصححه الحاكم في « المستدرك » ١/ ٤٩٢ ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٧٧) .

تعفر لهم »(١) .

وفي « صحيح مسلم »(٢) ، عن الأغرّ أبي مسلم قال : أشهدُ على أبي هريرة وأبي سعيد(*) ، أنهما شهدا على رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٧) في الدعوات : باب القوم يجلسون ولا يذكرون الله ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٤٤٦ و٤٥٣ و ٤٨١ و ٤٨٤ و ٤٩٥ وابن السني رقم (٤٤٩) والحاكم ١ / ٤٩٦ ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٧٤) . وقال الترمذي : ومعنى قوله : « ترة » : يعنى حسرة وندامة ،

(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٠٠) في الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٣٣٧٥) في الدعوات : باب القوم يجلسون فيذكرون الله ما لهم من الفضل ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٤٤٧ و٣ / ٣٣ و ٩٤ .

(*) هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، وهو خدرة بن عوف بن الحارث الخزرجي الأنصاري الخدري ، اشتهر بكنيته ، كان من الحفاظ المكثرين العلماء الفضلاء العقلاء .

أول مشاهده الخندق ، وذلك أنه قال : عرضت على النبي ﷺ يوم أُحد ، وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، فجعل أبي يأخذ بيدي ، فيقول : يا رسول اللَّه ! إنه عبد الفطام ، وإن كان مؤذناً ـ أي قصيراً ـ فجعل النبي ﷺ يصعد في بصره ويصوبه ثم قال : رده ، فردني ، فخرجنا نلتقي رسول اللَّه ﷺ حين أقبل من أُحد ، فنظر إليَّ ، فقال : سعد ابن مالك ؟! قال : نعم بأبي وأمي ، فدنوت ، فقبلت ركبته ، فقال : آجرك اللَّه في أبيك ، وكان قتل يومئذ شهيداً .

وغزا أبو سعيد مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة .

روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين منهم : ابن عمر ، وجابر ، وزيد بن ثابت وغيرهم .

مات سنة أربع وسبعين ، ودفن بالبقيع ، وله أربع وثمانون سنة .

وفي الترمذي عن عبد اللَّه بن بسر(*) أن رجلاً قال : يا رسول اللَّه ، إِنَّ أَبْوَابَ الخَيْرِ كَثِيرَةً ، وَلاَ أَسْتَطِيعَ القِيَامَ بِكُلِّهَا ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ ، وَلاَ تُكْثِرْ عَلَيَّ فَأَنْسَىٰ . وفي رواية : إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ ، وَأَنَا قَدْ كَبِرْتُ ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ . قال : « لاَ يَزالُ لِسَانُكَ رَطْباً بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ »(١) .

وفي الترمذي أيضاً عن أبي سعيد ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ : أَيُّ العِبَادِ أَفْضَلُ وَأَرْفَعُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ قَالَ : « الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً » قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمِنَ الغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ : « لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الكُفَّارِ وَالمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَماً كَانَ الذَّاكِرُ للَّهِ تَعَالَىٰ أَفْضَلُ مِنْهُ دَرَجَةً »(٢) .

(*) هو أبو صفوان عبد اللَّه بن بسر السلمي المازني من مازن بن منصور ، له ولأبيه بسر وأمه وأخيه عطية ، وأخته الصماء صحبة .

وقيل يكنى أبا بسر . نزل الشام ، ومات بحمص فجأة ، وهو يتوضأ سنة ثمانٍ وثمانين ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام . وقيل : آخر من مات منهم أبو أمامة الباهلي ، وكان صلى إلى القبلتين فيما قيل .

روى عنه خالد بن معدان ، وسليم بن عامر ، وراشد بن سعد ، وغيرهم .

وقد جاء له ولأخيه حديث في أكل التمر والزبد ، مقروناً بين اسميهما ، فقال : ابنا بسر ، ولم يسمهما .

(١) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٢) في الدعوات : باب فضل الذكر ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤/ ١٨٨ و ١٩٠ ، وابن ماجه رقم (٣٧٩٣) في الأدب : باب فضل الذكر ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب ، ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣١٧) « موارد » في الأذكار : باب فضل الذكر والذاكرين ، والحاكم ١/ ٤٩٥ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٣) في الدعوات باب رقم (٥) وإسناده ضعيف . وقال الترمذي : هذا حديث غريب ورواه البيهقي مختصراً .

وفي « صحيح البخاري » ، عن أبي موسى(*) ، عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ ، وَالَّذِي لاَ يَذْكُـرُ رَبَّهُ . مَثَـلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ »(١) .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً ، وإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ

(*) هـو عبد اللّـه بن قيس بن سليم بن حضار بن عامر بن عنز بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجيه بن الجماهر بن الأشعر ، وهو نبت بن أدد الأشعري ، وفي نسبه هذا بعض الاختلاف .

قدم مكة فحالف سعيد بن العاص بن أمية ، ثم أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة ، ثم قدم مع أهل السفينتين ، ورسول اللَّه ﷺ بخيبر ، قيل : إنه أسلم بمكة قديماً ، ثم رجع إلى بلاده ، ولـم يـزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول اللَّه ﷺ فوافق قدوم أهل السفينتين ـ جعفر وأصحابه ـ من الحبشة ، ولاّه عمر ابن الخطاب البصرة حين عزل عنها المغيرة بن شعبة في حين الشهادة عليه ، سنة عشرين، فافتتح أبو موسى الأهواز ، ولـم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ، ثم عزل عنها ، فانتقل إلى الكوفة ، وأقام بها ، فلما دفع أهل الكوفة سعيد ابن العاص عنهم ولّوا أبا موسى عليهم ، فأقره عثمان على الكوفة ، ولـم يزل عليها إلى أن قتل عثمان ، ثم انقبض أبو موسى إلى مكة بعد التحكيم ، وما كان منها ، فلم يـزل بها إلى أن مات سنة اثنتين وخمسين ، وقيل : ستة وأربعين ، وقيل : ستة وخمسين ، وله نيف وستون سنة ، وقيل : إنه مات بالكوفة ، ودفن بالثوية على ميلين من الكوفة .

روى عنه أنس بن مالك ، وابن المسيب ، والأسود النخعي ، وشقيق بن سلمة أبو وائل ، وأبو عثمان النهدي ، وأبو بردة بن أبي موسى وغيرهم .

(١) رواه البخاري ١١/١٧٥ و١٧٦ في الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل ، ورواه أيضاً مسلم رقم (٧٧٩) في صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته بلفظ « مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه ، مثل الحي والميت » .

ذِرَاعاً ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً ، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي ، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »[1] .

وفي الترمذي عن أنس ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا » قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ ؟ قَالَ : « حِلَقُ الذِّكْرِ »[2] .

وفي الترمذي أيضاً عن النبي ﷺ ، عن اللَّه عز وجل أنه يقول : « إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِي الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلاقٍ قِرْنَهُ »[3] .

وهذا الحديث هو فصل الخطاب في التفضيل بين الذاكر والمجاهد ، فإن الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل ، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن اللَّه تعالى .

---

(١) رواه البخاري ١٣/ ٣٢٥ و ٣٢٦ في التوحيد: باب قول اللّه تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ ، وباب قول الله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ، ومسلم رقم (٢٦٧٥) في الذكر : باب الحث على ذكر الله تعالى ، وفي التوبة : باب في الحض على التوبة والفرح بها ، والترمذي رقم (٣٥٩٨) في الدعوات : باب رقم (١٣١) ، وابن ماجه رقم (٣٨٢١) في الأدب : باب فضل العمل ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٢٥١ و ٤١٣ و ٤٨٠ و ٤٨٢ و ٥٢٤ و ٥٣٤ .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٥٠٥) في الدعوات ، باب رقم (٨٧) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ورواه أحمد في « المسند » ٣/ ١٥٠ والبيهقي في « شعب الايمان » ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده . قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٧٩٩) : ضعيف .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٥٧٥) في الدعوات باب من أدعية الإجابة ، وإسناده ضعيف ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده ليس بالقوي ، ولا نعرف لعمارة بن زعكرة عن النبي ﷺ إلا هذا الحديث الواحد ، قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٧٥٠) : ضعيف. ومعنى قوله: « وهو ملاق قرنه » إنما يعني عند القتال ، يعني أن يذكر الله في تلك الساعة .

فأفضل الذاكرين المجاهدون ، وأفضل المجاهدين الذاكرون .

قال اللّه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معاً ، ليكونوا على رجاء من الفلاح ، وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ [الأحزاب : ٤١] وقال تعالى : ﴿ والذَّاكِرِينَ اللّه كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] أي : كثيراً . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ﴾ [البقرة : ٢٠٠] .

ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه ، وعدم استغنائه عنه طرفة عين ، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر اللّه عز وجل كانت عليه ، لا له ، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن اللّه .

وقال بعض العارفين : لو أقبل عبد على اللّه تعالى كذا وكذا سنةً ، ثم أعرض عنه لحظة ، لكان ما فاته أعظم مما حصله .

وذكر البيهقي(*) عن عائشة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « مَا مِنْ

(*) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي البيهقي ، ولد سنة ٣٨٤هـ في « خسروجرد » . وتوفي بنيسابور ودفن ببلده سنة ٤٥٨هـ .
قال الذهبي : لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف . من تصانيفه : « السنن الكبرى » و« الاعتقاد » و«فضائل الصحابة » و« الجامع المصنف في شعب الإيمان » واختصره عمر بن عبد الرحمن القزويني وقد طبعناه محققاً .

سَاعَةٍ تَمُرُّ بِابْنِ آدَمَ لاَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَىٰ فِيهَا إِلَّا تَحَسَّرَ عَلَيْهَا يَـوْمَ الْقِيَامَةِ »[1] .

وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضاً : « لَيْسَ تَحَسُّرُ[2] أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَّا عَلَىٰ سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا »[3] .

وعن أم حبيبة(**) زوج النبي ﷺ قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « كَلاَمُ ابنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لاَ لَهُ ، إِلَّا أَمْراً بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهْياً عَنْ مُنْكَرٍ ، أو ذِكراً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »[4] .

---

(١) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » وزاد نسبته لابن أبي الدنيا وقال : قال البيهقي : في هذا الاسناد ضعف ، غير أن له شواهد .

(٢) في « الترغيب والترهيب » و « مجمع الزوائد » ليس يتحسر ، وهو أصوب .

(٣) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢/ ٤٠١ ونسبه للطبراني . وقال : ورواه البيهقي بأسانيد أحدها جيد .

(*) هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس،وقيل : اسمها هند ، والأول أصح ، وأمها صفية بنت أبي العاص عمة عثمان بن عفان ، كانت تحت عبيد اللَّه بن جحش فولدت له حبيبة فكنيت بها .

وهاجر بها عبيد اللَّه إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ثم تنصر وارتد عن الإسلام ومات هناك ، وثبتت أم حبيبة على الإسلام ، وقد اختلف في وقت نكاح رسول اللَّه ﷺ إياها وموضع العقد ، فقيل: إنه عقد عليها بأرض الحبشة سنة ست ، وزوجه منها النجاشي ، وأمهرها أربعمائة دينار ، وقيل أربعة آلاف درهم من عنده ، وبعث إلى النبي ﷺ شرحبيل بن حسنة فجاء بها إليه ، ودخل بها بالمدينة وقيل: إنه عقد عليها بالمدينة ، وزوجه منها عثمان بن عفان ، وقيل : إنها وكلت خالد بن سعيد بن العاص فزوجها منه ، والأول أصح وأشهر ، وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين ، وقيل: سنة اثنتين وأربعين ، روي عنها أخوها معاوية ، وعنبسة ، وأنس بن مالك ، وزينب بنت أبي سلمة وغيرهم .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٤١٤) في الزهد : باب رقم ٦٣ ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٤) في الفتن : باب كف اللسان في الفتنة . وفي سنده أم صالح بنت صالح لا يعرف حالها . =

وعن معاذ بن جبل قال : سألت رسول اللَّه ﷺ : أي الأعمال أحب إلى اللَّه عز وجل ؟ قال : « أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »(١) .

وقال أبو الدرداء(*) رضي اللَّه تعالى عنه : لِكُلِّ شَيْءٍ جلاءُ ، وَإِنَّ جَلاَءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ .

وذكر البيهقي مرفوعاً من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « لِكُلِّ شَيْءٍ صِقَالَةٌ ، وَإِنَّ صِقَالَةَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنْجَىٰ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » قَالُوا : وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ : « وَلَوْ أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّىٰ يَنْقَطِعَ »(٢) .

= ورواه أيضاً الحاكم والبيهقي في « الشعب » وقال الترمذي : حديث غريب ، وفي بعض النسخ : حسن غريب .

(١) رواه ابن حبان رقم (٢٣١٨) «موارد» في الأذكار: باب فضل الذكر والذاكرين، ورواه أيضاً الطبراني وابن أبي الدنيا والبزار ، وهو حديث حسن .

(*) هو عويمر بن عامر ، ويقال بن قيس بن زيد بن أمية بن عدي بن كعب ، وقيل : عويمر بن زيد بن قيس ، وقيل : عامر، وعويمر تصغيره ، وقيل : عويمر بن ثعلبة بن عامر بن زيد ، إلا انهم مع كثرة اختلافهم في اسمه ونسبه اتفقوا على أنه من بني كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ، واشتهر بكنيته . والدرداء ابنته ، تأخر إسلامه قليلاً ، فكان آخر أهل داره إسلاماً ، وحسن إسلامه ، وكان فقيهاً ، عالماً ، حكيماً ، آخى رسول اللَّه ﷺ بينه وبين سلمان ، واختلف في شهوده أحداً ، وشهد ما بعدها ، سكن الشام ، ومات بدمشق سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل : إحدى ، وقيل : سنة أربع .

روى عنه أبو ادريس الخولاني ، وعلقمة ، وجبير بن نفير ، وأم الدرداء .

(٢) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢ / ٣٩٥ - ٣٩٦ وزاد نسبته لابن أبي الدنيا ، واسناده ضعيف ، وللشطر الثاني منه شاهد عند الطبراني من حديث معاذ ، وجابر رضي الله عنهما .

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما ، وجلاؤه بالذكر ، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء . فإذا ترك الذكر صدىء ، فإذا ذكره جلاه .

وصدأ القلب بأمرين : بالغفلة والذنب ، وجلاؤه بشيئين : بالاستغفار والذكر ، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته ، كان الصدأ متراكباً على قلبه ، وصدؤه بحسب غفلته ، وإذا صدىء القلب ، لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل ، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم ، فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه .

فإذا تراكم عليه الصدأ واسود ، وركبه الران ، فسد تصوره وإدراكه ، فلا يقبل حقاً ، ولا ينكر باطلاً . وهذا أعظم عقوبات القلب . وأصل ذلك من الغفلة، واتباع الهوى ، فانهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره .

قال تعالى : ﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾ [الكهف : ٢٨] .

فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر : هل هو من أهل الذكر ، أو من الغافلين ؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي ؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة ، وأمره فرطٌ ، لم يقتد به، ولم يتبعه فإنه يقوده إلى الهلاك .

ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع ، أي : أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه ، وفسر بالإسراف ، أي :

قد أفرط ، وفسر بالهلاك ، وفسر بالخلاف للحق . وكلها أقوال متقاربة .

والمقصود أن اللّه سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات ، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه ، فان وجده كذلك فليبعِّد عنه ، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر اللّه تعالى واتباع السنة ، وأمره غير مفروط عليه ، بل هو حازم في أمره ، فليتمسك بعروته[1] ، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر ،فمثل الذي يذكر ربه ، والذي لا يذكر ربه ، كمثل الحي والميت .

وفي « المسند » مرفوعاً : « أَكْثِروا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ حَتَّىٰ يُقَالَ : مَجْنُونٌ »[2] .

* * *

(١) في نسخة بغرزه والعروة : يقال عروة الدلو أي مقبضه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى ﴾ [البقرة: ٢٥٦] شبه بالعروة التي يتمسك بها ، قال الزجاج : العروة الوثقى قول لا إله إلا الله وقيل : معناه : فقد عقد لنفسه من الدين عَقْداً وثيقاً . ا هـ .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٦٨/٣ و٧١ والحاكم (٤٩٩/١) وقال صحيح الإسناد، وليس كما قال، بل هو ضعيف. كما قال الألباني في «الأحاديث الضعيفة» رقم (٥١٨) وسيورده المصنف من كلام أبي مسلم الخولاني ص ١٤٢ بلفظ مقارب من حديث دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ، ودراج عن أبي الهيثم ضعيف .

فصل [في فوائد الذكر]

فصل : وفي الذكر نحو من مائة فائدة :

إحداها : أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره .

الثانية : أنه يرضي الرحمن عز وجل .

الثالثة : أنه يزيل الهم والغم عن القلب .

الرابعة : أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .

الخامسة : أنه يقوِّي القلب والبدن .

السادسة : أنه ينوِّر الوجه والقلب .

السابعة : أنه يجلب الرزق .

الثامنة : أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .

التاسعة : أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام ، وقطب رحى الدين ، ومدار السعادة والنجاة . وقد جعل اللَّهُ لكل شيء سبباً ، وجعل سبب المحبة دوام الذكر ، فمن أراد أن ينال محبة اللَّه عز وجل ، فليلهج بذكره ، فإن[1] الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم ، فالذكر باب المحبة ، وشارعها الأعظم ، وصراطها الأقوم .

العاشرة : أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان ، فيعبد اللَّه كأنه يراه ، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان ، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت .

الحادية عشرة : أنه يورثه الإنابة ، وهي الرجوع إلى اللَّه عز وجل ، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره ، أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله ، فيبقى اللَّه عز وجل مفزعه وملجأه ، وملاذه ومعاذه ، وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا .

الثانية عشرة : أنه يورثه القرب منه ، فعلى قدر ذكره للَّه عز وجل

---

(١) في الأصل : فإنه .

يكون قربه منه ، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه .

الثالثة عشرة : أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة ، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة .

الرابعة عشرة : أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله ، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع اللَّه تعالى ، بخلاف الغافل ، فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه .

الخامسة عشرة : أنه يورثه ذكر اللَّه تعالى له ، كما قال تعالى : ﴿ **فاذْكُرُونِي أَذْكُرُكُمْ** ﴾ [البقرة : **١٥٢**] ولو لم يكن في الذكر إلَّا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً .

وقال ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالىٰ : « مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ »(١) .

السادسة عشرة : أنه يورث حياة القلب ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس اللَّه تعالى روحه يقول : الذكر للقلب مثل الماء للسمك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟

السابعة عشرة : أنه قوت القلب والروح ، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته .

وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ، ثم جلس يذكر اللَّه تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ، ثم التفت إليَّ وقال : هذه

---

(١) تقدم تخريجه ص ٧٧ وأوله : « يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أنا عند ظن عبدي بي . . . ﴾ .

غدوتي ، ولو لم أتغذَّ هذا الغداء سقطت قوتي ، أو كلاماً قريباً من هذا . وقال لي مرة : لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر ، أو كلاماً هذا معناه .

الثامنة عشرة : أنه يورث جلاء القلب من صدأه كما تقدم في الحديث(1) .

وكل شيء له صدأ ، وصدأ القلب الغفلة والهوى ، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار ، وقد تقدم هذا المعنى .

التاسعة عشرة : أنه يحط الخطايا ويذهبها ، فإنه من أعظم الحسنات ، والحسنات يذهبن السيئات .

العشرون : أنه يزيل الوحشة بَين العبد وبين ربه تبارك وتعالىٰ ، فإن الغافل بينه وبين اللَّه عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر .

الحادية والعشرون : أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده ، يذكر بصاحبه عند الشدة ، فقد روى الإمام أحمد في « المسند » عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ مَا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ التَّهْلِيلِ والتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ يَتَعاطَفْنَ حَوْلَ العَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِّيِّ النَّحْلِ يُذَكِرُوْنَ بِصَاحِبِهِنَّ ، أَفَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا يُذْكَرُ بِهِ »(2) ؟ هذا الحديث أو معناه .

---

(1) تقدم ص ٨١ .

(2) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ٢٦٨ و٢٧١ ، وابن ماجه رقم (٣٨٠٩) في الأدب : باب فضل التسبيح ، من حديث عون بن عبد اللّه بن عتبة بن مسعود عن أبيه أو أخيه ، هكذا رواه بالشك ، ورواته ثقات ، إلا أن رواية عون بن عبد اللّه عن أبيه مرسلة .

الثانية والعشرون : أن العبد إذا تعرف إلى اللَّه تعالى بذكره في الرخاء، عرفه في الشدة، وقد جاء أثر معناه[1] : أن العبد المطيع الذاكر للَّه تعالى ، إذا أصابته شدة أو سأل اللَّه تعالى حاجة ، قالت الملائكة : يا رب صوتٌ معروفٌ ، من عبدٍ معروفٍ . والغافل المعرض عن اللَّه عز وجل إذا دعاه وسأله ، قالت الملائكة : يا رب ، صوتٌ منكرٌ ، من عبدٍ منكرٍ .

الثالثة والعشرون : أنه منجاة من عذاب اللَّه تعالى ، كما قال معاذ رضي اللَّه عنه . ويروى مرفوعاً : « مَا عَمِلَ آدَمِي عَمَلاً أَنْجَىٰ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ »[2] .

الرابعة والعشرون : أنه سبب نزول السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبر به النبي ﷺ[3] .

الخامسة والعشرون : أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والفحش ، والباطل ، فإن العبد لا بد له من أن يتكلم ، فان لم يتكلم بذكر اللَّه تعالى وذكر أوامره ، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها ، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر اللَّه تعالى .

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك ، فمن عوَّد لسانه ذكر اللَّه ، صان لسانه عن الباطل واللغو ، ومن يبس لسانه عن ذكر اللَّه تعالى ،

---

(١) بل جاء في ذلك حديث ابن عباس الذي رواه الإمام أحمد في « المسند » ١/ ٣٠٧، وغيره وفيه « تَعَرَّفْ إلى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفك فِي الشِدَّةِ » وهو حديث صحيح .

(٢) تقدم تخريجه صفحة(٧٣) رقم (٢) .

(٣) تقدم ص ٧٥ .

ترطّب بكل باطل ولغو وفحش ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه .

السادسة والعشرون : أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين ، فليتخيَّر العبد أعجبهما إليه ، وأولاهما به ، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة .

السابعة والعشرون : أنه يسعد الذاكر بذكره ، ويسعد به جليسه ، وهذا هو المبارك أين ما كان . والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته ، ويشقى به مجالسه .

الثامنة والعشرون : أنه يؤمِّن العبدَ من الحسرة يوم القيامة ، فإن كان مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرةً وتِرةً يوم القيامة .

التاسعة والعشرون : أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال اللّه تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه ، والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف ، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل[1] .

الثلاثون : أن الاشتغال به سبب لعطاء اللّه للذاكر أفضل ما يعطي السائلين ، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب[*] قال : قال رسول اللّه

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة عند مسلم : سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ . . . وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » .

(*) هو أمير المؤمنين أبو حفص ، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد اللّه بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ، العدوي القرشي . وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم ، ويعرف هاشم بذي الرمحين . قال الأمير بن ماكولا : ومن قال فيه : بنت هشام فقد أخطأ .

أسلم سنة ست من النبوة ، وقيل : سنة خمس بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة ، ويقال : به تمت الأربعون .

وظهر الإسلام يوم إسلامه ، وسمي الفاروق لذلك ، وشهد المشاهد كلها مع النبي =

ﷺ : « قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ »[1] .

الحادية والثلاثون : أنه أيسر العبادات ، وهو من أجلِّها وأفضلها ،

ﷺ . وهو أول خليفة دعي بأمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ للمسلمين ، وأول من أشار بجمع القرآن في الصحف ، وأول من جمع الناس على قيام رمضان .

كان أبيض تعلوه حمرة ، وقيل : آدم طوالاً ، أصلع ، شديد حمرة العينين ، في عارضية خفة ، أعسر يسر ، يخضب بالحناء والكتم .

قام بالأمر بعد موت أبي بكر بعهده إليه ونصِّه عليه .

وطعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة مصدر الحاج بالمدينة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة ، سنة ثلاث وعشرين .

ودفن يوم الأحد غرة المحرم ، سنة أربع وعشرين ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وقيل : تسع وخمسون ، وقيل : ثمان وخمسون ، وقيل : ست وخمسون ، وقيل : إحدى وستون .

وكانت خلافته عشر سنين ونصف رضي اللَّه عنه . وصلى عليه صهيب ، ودفن إلى جانب أبي بكر .

يلقى آباء النبي ﷺ في كعب بن لؤي .

روى عنه أبو بكر وباقي العشرة ، وابنه عبد اللَّه ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأنس بن مالك ، وعلقمة بن وقاص الليثي ، ومالك بن أوس بن الحدثان ، وغيرهم من الصحابة والتابعين . انظر في سيرته « سيرة عمر بن الخطاب » للإمام أبي الفرج بن الجوزي من القدماء و« أخبار عمر » للأستاذ علي الطنطاوي من المعاصرين .

(١) رواه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ص **٢٠٥** من حديث عمر رضي الله عنه والدارمي رقم (**٣٣٥٩**) في فضائل القرآن : باب فضل كلام الله على سائر الكلام . ورواه الترمذي رقم (**٢٩٢٧**) في ثواب القرآن : باب رقم **٢٥** من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وعثمان بن سعيد الدارمي في « الرد على الجهمية » ص **٣٢٦** (مجموع عقائد السلف) وذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه أيضاً للبيهقي من حديث عمر وجابر رضي الله عنهما ، ولابن أبي شيبة من حديث عمرو بن مرة مرسلاً ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . لكنه حديث ضعيف كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (**٦٤٥٢**) .

فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها ، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة ، بل لا يمكنه ذلك .

الثانية والثلاثون : أنه غراس الجنة ، فقد روى الترمذي في « جامعه » من حديث عبد اللَّه بن مسعود قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لَقِيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِيَ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَقْرِءْ أُمَّتَكَ [مِنِّي] السَّلاَم ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ الماءِ ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا : سُبحانَ اللَّهِ ، والحَمْدُ للَّه ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ » . قال الترمذي : حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود(1) .

وفي الترمذي من حديث أبي الزبير ، عن جابر عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّة » قال الترمذي : حديث حسن صحيح(2) .

الثالثة والثلاثون : أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال .

ففي « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه

---

(1) رواه الترمذي رقم (٣٤٥٨) في الدعوات : باب رقم (٦٠) وفي سنده عبد الرحمن ابن إسحاق بن الحارث الواسطي وهو ضعيف . وهو حديث حسن بشواهده . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٠٦) .

(2) رواه الترمذي رقم (٣٤٦٠) و (٣٤٦١) في الدعوات : باب رقم (٦١) ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٣٥) « موارد » في الأذكار : باب فضل التسبيح والتهليل والتحميد ، وهو حديث صحيح، وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢ / ٤٢٢ ، وقال : رواه البزار بسند جيد . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٦٤) .

ﷺ قال : « مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذٰلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِي ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ ، وَمَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ »[1] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للَّهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ »[2] .

وفي الترمذي من حديث أنس ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي : اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ ، وَمَلاَئِكَتَكَ ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، أَعْتَقَ اللَّهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ ، أعتقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَها ثَلاَثاً ، أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَهَا أَرْبعاً ، أَعْتَقَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ »[3] .

---

(١) رواه البخاري ١١/ ١٦٨ و١٦٩ في الدعوات : باب فضل التهليل ، وفي بدء الخلق : باب صفة إبليس ، ومسلم رقم (٢٦٩١) في الذكر : باب فضل التهليل والتسبيح ، و« الموطأ » ١/ ٢٠٩ في القرآن : باب ذكر الله تبارك وتعالى ، والترمذي رقم (٣٤٦٤) في الدعوات : باب رقم (٦١) ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٣٠٢ و ٣٧٥ .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٩٥) في الذكر باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، والترمذي رقم (٣٥٩١) في الدعوات : باب رقم ١٣١ .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٤٩٥) في الدعوات : باب رقم (٨١) بلفظ : « من قال حين يصبح : اللهم أصبحنا نشهدك ونشهد حملة عرشك ، وملائكتك ، وجميع خلقك ، =

وفيه عن ثوبان ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « مَنْ قَالَ حِيْنَ يُمْسِي وَإِذَا أَصْبَحَ : رَضِيْتُ باللَّهِ رَبّاً ، وَبالإِسلاَمِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً ، كَانَ حَقّاً على اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ »[1] .

وفي الترمذي : « مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ،كَتَبَ اللَّهُ له أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ ،وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ »[2] .

الرابعة والثلاثون : أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده ، فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها ، قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ** ﴾ [الحشر : ١٩] .

وإذا نسي العبد نفسه ، أعرض عن مصالحها ونسيها ، واشتغل

= بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك إلا غفر الله له ما أصاب في يومه ذلك ، وإن قالها حين يمسي غفر الله له ما أصاب في تلك الليلة من ذنب » والرواية التي ذكرها المصنف في هذا الحديث هي عند أبي داود رقم (٥٠٦٩) في الأدب : باب ما يقول إذا أصبح ، وهو حديث حسن بشواهده وانظر « شرح الأذكار » ٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦ . لكن الألباني قال في « ضعيف الجامع » رقم (٥٧٤٣) : ضعيف .

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤ / ٣٣٧ والترمذي رقم (٣٣٨٦) في الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى وهو حديث حسن ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٧٤٧) : ضعيف .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٤٢٤) في الدعوات : باب ما يقول إذا دخل السوق ، ورواه أيضاً الحاكم ١/ ٥٣٨ و ٥٣٩ ، ابن السني رقم (١٨٢) ووهو حديث حسن بطرقه .

عنها ، فهلكت وفسدت ولا بد ، كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه ، فأهمله ونسيه ، واشتغل عنه بغيره ، وضيع مصالحه ، فإنه يفسد ولا بد .

هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه ، فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها ، واشتغل عن مصالحها ، وعطَّل مراعاتها ، وترك القيام عليها بما يصلحها ؟ فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان ، وهذا هو الذي صار أمره كله فرطاً ، فانفرط عليه أمره ، وضاعت مصالحه ، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك ، ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر اللّه تعالى واللهج به ، وأن لا يزال اللسان رطباً به ، وأن ينزله منزلة حياته التي لا غنى له عنها ، ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك ، وبمنزلة الماء عند شدة العطش ، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد ، وبمنزلة الكن في شدة الشتاء والسَموم[1] .

فحقيق بالعبد أن ينزل ذكر اللّه منه بهذه المنزلة وأعظم ، فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده ؟ هذا هلاك لا بد منه ، وقد يعقبه صلاح الأبد ، وأما هلاك القلب والروح ، فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها، لكفى بها، فمن نسي اللّه تعالى أنساه نفسه في الدنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة. قال تعالى: **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً**

---

(١) السموم : الريح الحارة ، وقيل البادرة ليلاً كان أو نهاراً ، انظر « اللسان » « سمم » .

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصيراً * قَالَ كذلك أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤ - ١٢٦] ، أي تنسى في العذاب كما نسيت آياتنا : فلم تذكرها ولم تعمل بما فيها .

وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذي أنزله، وهو كتابه، وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه ، وأسمائه وصفاته وأوامره وآلائه ، ونعمه ، فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى ، فإن الذكر في الآية إما مصدر مضاف إلى معموله الذي هو المذكور ، وإما اسم مضاف إلى الفاعل ، أو مضاف إضافة الأسماء المحضة ، أي : مَنْ أعرض عن كتابي ولم يَتْلُه ، ولم يتدبره ، ولم يعمل به ، ولا فهمه ، فإن حياته ومعيشته لا تكون إلا مضيقة عليه منكدة معذباً فيها .

والضنك : الضيق والشدة والبلاء . ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة ، وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ ، والصحيح : أنها تتناول معيشته في الدنيا وعذابه في البرزخ ، فإنه يكون في ضنك في الدارين ، وهو شدة وجهد وضيق . وفي الآخرة ينسى في العذاب . وهذا عكس أهل السعادة والفلاح ، فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة ، ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب .

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحَاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] فهذا في الدنيا ، ثم قال : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] فهذا

في البرزخ والآخرة . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤١] . وقال تعالى : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ فهذا في الدنيا ثم قال : ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ [هود : ٣] . فهذا في الآخرة .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمنوا اتَّقُوا ربكم ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

فهذه أربعة مواضع ذكر تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين : جزاءً في الدنيا ، وجزاءً في الآخرة . فالإحسان له جزاءٌ معجَّل ولا بد ، والإساءة لها جزاء معجل ولا بد .

ولو لم يكن إلا ما يجازى به المحْسن : من انشراح صدره وانفساح قلبه وسروره ، ولذته بمعاملة ربه عز وجل ، وطاعته ، وذكره ، ونعيم روحه بمحبته وذكره ، وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه[1] .

وما يجازي به المسيء : من ضيق الصدر ، وقسوة القلب ، وتشتته ، وظلمته ، وحزازاته[1] ، وغمه ، وهمه ، وحزنه ، وخوفه ، وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه[2] ، بل الغموم

---

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : ولو لم يكن إلّا ما يجازى به المحسن . . . [لكان] أعظمُ مما يُفرِح القريب . . . الخ والله أعلم .

(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب : وما يجازى به المسيء . . . أمرٌ لا يكاد من له أدنى . . . الخ على أن لفظ « هذا » زيادة تربك العبارة والله أعلم .

والهموم والأحزان والضيق : عقوبات عاجلة ، ونار دنيوية ، وجهنم حاضرة .

والإقبال على اللّه تعالى ، والإنابة إليه ، والرضى به وعنه ، وامتلاء القلب من محبته ، واللهج بذكره ، والفرح والسرور بمعرفته : ثواب عاجل ، وجنة ، وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة .

وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس اللّه روحه يقول : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة .

وقال لي مرة : ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري ، إن رحت فهي معي لا تفارقني ، إنَّ حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة .

وكان يقول في محبسه في القلعة : لو بذلت لهم ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة ، أو قال : ما جزيتهم على ما تسبَّبوا لي فيه من الخير ، ونحو هذا .

وكان يقول في سجوده وهو محبوس : « اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » ما شاء اللّه .

وقال لي مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى ، والمأسور من أسره هواه .

ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال : **﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فيه الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ ﴾** [الحديد : ١٣] .

وعلم اللّه ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط ، مع ما كان فيه من ضيق العيش ، وخلاف الرفاهية والنعيم ، بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً ، وأشرحهم صدراً ، وأقواهم قلباً ، وأسرَّهم نفساً ، تلوح نضرة النعيم على وجهه .

وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساءت منا الظنون ، وضاقت بنا الأرض ، أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ، ونسمع كلامه ، فيذهب ذلك كله [عنا] ، وينقلب انشراحاً وقوةً ويقيناً وطمأنينةً .

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، فآتاهم من روحها ونسيمها وطِيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها .

وكان بعض العارفين يقول : لو علم الملوك وأبناءُ الملوك ما نحن فيه ، لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : مساكين أهل الدنيا ، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها ؟ قيل : وما أطيب ما فيها ؟ قال: محبةُ اللّهِ تعالى ومعرفته وذِكره ، أو نحو هذا .

وقال آخر : إنه لتمرّ بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً .

وقال آخر : إنه لتمر بي أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب .

فمحبة اللّه تعالى ، ومعرفته ، ودوام ذكره ، والسكون إليه ،

والطمأنينة إليه ، وإفراده بالحب ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والمعاملة ، بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته ، هو جنة الدنيا ، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم ، وهو قرة عين المحبين ، وحياة العارفين .

وإنما تقر أعين الناس بهم على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل ، فمن قرت عينه بالله ، قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله ، تقطَّعت نفسه على الدنيا حسرات .

وإنما يصدِّق بهذه الأمور من في قلبه حياة ، وأما ميت القلب ، فيوحِشُك ثَمَّ ، فاستأنس بغيبته ما أمكنك ، فإنك لا يوحشك إلا حضوره عندك ، فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك ، وترحَّل عنه بقلبك ، وفارقه بسرِّك ، ولا تشتغل به عما هو أولى بك .

واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لا يجرُّ عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل ، وانقطاعك عنه ، وضياع وقتك عليك وشتات قلبك ، وضعف عزيمتك ، وتفرُّق همِّك .

فإذا بليت بهذا ـ ولا بد لك منه ـ فعامل الله تعالى فيه ، واحتسب عليه ما أمكنك ، وتقرَّب إلى الله تعالى بمرضاته فيه ، واجعل اجتماعك به متجراً لك ، لا تجعله خسارة ، وكن معه كرجل سائر في طريقه عرض له رجل أوقفه عن سيره ، فاجتهد أن تأخذه معك وتسير به ، فتحمله ولا يحملك ، فإن أبى ولم يكن في سيره مطمع ، فلا تقف معه بل اركب الدرب ، ودعه ولا تلتفت إليه ، فانه قاطع الطريق ولو كان من كان ، فانج بقلبك ، وضن بيومك وليلتك ، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة ، فتؤخذ أو يَطْلُعُ عليك الفجر وأنت في المنزلة ، فتسير الرفاق

فتصبح وحدك ، وأنَى لك بلحاقهم .

الخامسة والثلاثون : أن الذكر يسيِّر العبد وهو قاعد على فراشه ، وفي سوقه ، وفي حال صحته وسقمه ، وفي حال نعيمه ولذته ، ومعاشه وقيامه وقعوده واضطجاعه وسفره وإقامته ، فليس في الأعمال شيء يعم الأوقات والأحوال مثله ، حتى إنه يسيِّر العبد وهو نائم على فراشه ، فيسبق القائم مع الغفلة ، فيصبح هذا النائم وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه ، ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقة الركب ، وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء .

وحكي : عن رجل من العُبّاد أنه نزل برجل من العباد ضيفاً ، فقام العابد ، ليله يصلي ، وذلك الرجل مستلق على فراشه ، فلما أصبحا قال له العابد : سبقك الركب ، أو كما قال ، فقال : ليس الشأن فيمن بات مسافراً وأصبح مع الركب ، الشأن فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب .

وهذا ونحوه له محمل صحيح ، ومحمل فاسد ، فمن حمله على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت ، فهو باطل ، وإنما محمله أن هذا المستلقي على فراشه عَلِقَ قلبه بربه عز وجل ، وألصق حبَّة قلبه بالعرش ، وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة ، قد غاب عن الدنيا ومن فيها ، وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجع أو برد يمنعه القيام ، أو خوف على نفسه من رؤية عدو يطلبه ، أو غير ذلك من الأعذار ، فهو مستلق على فراشه ، وفي قلبه ما اللّه تعالى به عليم .

وآخر قائم يصلي ويتلو ، وفي قلبه من الرياء والعجب ، وطلب

الجاه ، والمحمدة عند الناس ، ما اللّه به عليم ، أو قلبه في وادٍ ، وجسمه في وادٍ ، فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة ، فالعمل على القلوب ، لا على الأبدان ، والمعوَّل على الساكن ، لا على الأطلال ، والاعتبار بالمحرِّك الأول ، فالذكر يثير العزم الساكن ، ويهيِّج الحب المتواري ، ويبعث الطلب المبيَّت .

السادسة والثلاثون : أن الذِّكر نور للذاكر في الدنيا ، ونور له في قبره ، ونور له في معاده ، يسعى بين يديه على الصراط ، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر اللّه تعالى .

قال اللّه تعالى : ﴿ **أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوْراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا** ﴾ [الأنعام : ١٢٢] . فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان باللّه ومحبته ومعرفته وذكره ، والآخر هو الغافل عن اللّه تعالى ، المعرض عن ذكره ومحبته ، والشأن كل الشأن ، والفلاح كل الفلاح ، في النور ، والشقاء كل الشقاء في فواته .

ولهذا كان النبي ﷺ يبالغ في سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعله في لحمه ، وعظامه ، وعصبه ، وشعره ، وبشره ، وسمعه ، وبصره ، ومن فوقه ، ومن تحته ، وعن يمينه ، وعن شماله ، وخلفه ، وأمامه ، حتى يقول : « وَاجْعَلْنِي نُوراً »[1] فسأل ربه تبارك وتعالى أن

---

(١) قطعة من حديث رواه مسلم رقم (٧٦٣) في المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، وأحمد في « المسند » ١/ ٢٨٤ و٣٤٣ و٣٥٢ و٣٧٣ ، والنسائي في الافتتاح : باب الدعاء في السجود ، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

يجعل النور في ذَرَّاته[1] الظاهرة والباطنة ، وأن يجعله محيطاً به من جميع جهاته ، وأن يجعل ذاته وجملته نوراً .

فدِين اللّه عز وجل نور ، وكتابه نور ، ورسوله نور ، وداره التي أعدها لأوليائه نور يتلألأ ، وهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض ، ومن أسمائه النور ، وأشرقت الظلمات لنور وجهه .

وفي دعاء النبي ﷺ يوم الطائف : « أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ ، أَوْ يَنْزِلَ بِي سَخْطُكَ ، لَكَ العُتْبَى حَتَّى تَرْضَىٰ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِكَ »[2] .

وقال ابن مسعود رضي اللّه عنه ليس عند ربّكم ليل ولا نهار ، نورُ السماوات والأرض من نور وجهه وفي بعض ألفاظ هذا الأثر نور السمٰوات من نور وجهه ، ذكره عثمان الدارمي[3] . وقد قال تعالى : ﴿ **وَأَشْرَقَتْ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها** ﴾ [الزمر : ٦٩] .

فإذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده ، وأشرقت

---

(١) في نسخة : ذاته .

(٢) قال الزرقاني في شرح « المواهب اللدنية » ١/ ٣٠٥ : رواه ابن اسحاق في « السيرة » ، بدون إسناد والطبراني في كتاب « الدعاء » ، وكذا رواه في « معجمه الكبير » عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهذا مرسل صحابي ، لأنه ولد بالحبشة فلم يدرك ما حدث به . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٦/ ٣٥ ، ونسبه للطبراني ، وقال : فيه محمد بن إسحاق ، وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات » فالحديث ضعيف .

(٣) « رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد » ص ٤٩ ضمن مجموع « عقائد السلف » وانظر ما قاله المصنف في كتابه « اجتماع الجيوش » ص ٦ حيث .

بنوره الأرض ، وليس إشراقها يومئذ بشمس ولا قمر ، فإن الشمس تكوَّر ، والقمر يخسف ، ويذهب نورهما ، وحجابه تبارك وتعالى النور .

قال أبو موسى ؛ قام فينا رسول اللّه ﷺ بخمس كلمات فقال : « إِنَّ اللّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، [ولكنه] يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلَ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ »(١)

---

(١) قال الإمام النووي في « شرح مسلم » ٣/ ١٣ - ١٤ :

أما قوله ﷺ : « لا ينام ولا ينبغي له أن ينام » فمعناه أنه سبحانه وتعالى لا ينام وأنه يستحيل في حقه النوم ، فإن النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس ، والله تعالى منزه عن ذلك ، وهو مستحيل في حقه جل وعلا .

وأما قوله ﷺ «يخفض القسط ويرفعه»، فقال القاضي عياض : قال الهروي : قال ابن قتيبة : القسط الميزان ، وسمي قسطاً ، لأن القسط العدل ، وبالميزان يقع العدل . قال : والمراد أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ويوزن من أرزاقهم النازلة ، وهذا تمثيل لما يقدر تنزيله ، فشبه بوزن الميزان ، وقيل : المراد بالقسط : الرزق الذي هو قسط كل مخلوق يخفضه فيقتره ويرفعه فيوسعه ، والله أعلم .

وأما قوله : « حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » السبحات جمع سبحة ، قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين : معنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه . وأما الحجاب ، فأصله في اللغة : المنع والستر ، وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة ، والله تعالى منزه عن الجسم والحد ، والمراد هنا المانع من رؤيته ، وسمي ذلك المانع نوراً أو ناراً لأنهما يمنعان من الادراك في العادة لشعاعهما . والمراد بالوجه الذات ، والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات ، لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات . ولفظة « من » لبيان الجنس لا للتبعيض ، والتقدير : لو أزال المانع من رؤيته ـ وهو الحجاب نوراً أو ناراً ـ وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته ، والله أعلم .

ثم قرأ [أبو عبيدة] ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [النمل : ٨][1] .

فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه ، ولولاه لأحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره . ولهذا لما تجلى تبارك وتعالى للجبل ، وكشف من الحجاب شيئاً يسيراً ، ساخ الجبل في الأرض ، وتدكدك ، ولم يثبت لربه تبارك وتعالى .

وهذا معنى قول ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] قال : ذلك اللّه عز وجل ، إذا تجلى بنوره لم يقم له شيء . وهذا من بديعِ فَهْمِهِ رضي اللّه تعالى عنه ، ودقيقِ فِطْنَتِهِ ، كيف لا وقد دعا له رسول اللّه ﷺ أن يعلِّمه اللّه التأويل .

فالرب تبارك وتعالى يُرى يوم القيامة بالأبصار عَيَاناً ، ولكن يستحيلُ إدراك الأبصارِ له وإن رأته ، فالإدراك أمر وراءَ الرؤية ، وهذه الشمس ـ وللّه المثل الأعلى ـ نراها ندركها كما هي عليه ، ولا قريباً من ذلك ، ولذلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ فقال : ألستَ ترى السماء ؟ قال : بلى ، قال : أفتدركها ؟ قال : لا ، قال : فاللّه تعالى أعظم وأجلُّ .

* * *

وقد ضرب سبحانه وتعالى النور في قلب عبده مثلاً لا يعقله إلا

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ٣٩٥ و٤٠١ و٤٠٥ ، ومسلم رقم (١٧٩) في الايمان ، باب قوله ﷺ : إن الله لا ينام ، وابن ماجه رقم (١٩٥) و(١٩٦) في المقدمة : باب فيما أنكرت الجهمية من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. والزيادات من « المسند » .

العالمون ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ اللّهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ والأرضِ ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، المِصْبَاحُ في زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوْقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُور ، يَهْدِي اللّه لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللّهُ الأمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[النور: ٣٥][(١)] .

قال أُبيُّ بنُ كعب(*) : مَثَلُ نُورِهِ في قلب المسلم ، وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره ، وهو نوره الذي أنزله إليهم ، فأحياهم به ، وجعلهم يمشون به بين الناس ، وأصله في قلوبهم ، ثم تقوى مادته ، فتتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم ، بل وثيابهم ودورهم ، يبصره من هو

---

(١) انظر تفسير الآية في « تفسير سورة النور » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ص ١٦٦ ـ ١٨٦ من طبعة مكتبة دار البيان بدمشق .

(*) هو أبو المنذر وأبو الطفيل ، أبي بن كعب بن المنذر ، وقيل ابن كعب بن قيس بن عبيد ابن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، واسم النجار تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، الأكبر الأنصاري الخزرجي المعاوي ، وبنو معاوية بن عمرو يعرفون بني حديلة وهي امهم ينسبون إليها.شهد أبي العقبة الثانية ، وبايع النبي ﷺ بها فيمن بايعه من سباق الأنصار ، ثم شهد بدراً وما بعدها من المشاهد ، وكان يكتب للنبي ﷺ الوحي ، وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول اللّه ﷺ ، وأحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهد رسول اللّه ﷺ ، وكان أقرأ الصحابة لكتاب اللّه عز وجل كناه النبي ﷺ أبا المنذر ، وكناه عمر بن الخطاب أبا الطفيل ، وسماه النبي ﷺ سيد الأنصار ، وسماه عمر سيد المسلمين ، مات بالمدينة سنة تسع عشرة ، وقيل :سنة عشرين ، وقيل :سنة اثنين وعشرين ، في خلافة عمر ، وقيل :سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان ، والأول اكثر وأصح . روى عنه ابنه الطفيل وعبادة بن الصامت ، وعبد اللّه بن عباس وانس بن مالك وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وأبو عثمان النهدي .

من جنسهم ، وسائر الخلق له منكرون ،فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور ، وصار بإيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه ، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا ، فمنهم من نوره كالشمس ، وآخر كالقمر ، وآخر كالنجم ، وآخر كالسراج ، وآخر يعطي نوراً على إبهام قدمه ، يضيء مرة ، ويطفأ أخرى ، إذا كانت هذه حال نوره في الدنيا ، فأعطي على الجسر بمقدار ذلك ، بل هو نفس نوره ظهر له عياناً ، ولما لم يكن للمنافق نور ثابت في الدنيا ، بل كان نوره ظاهراً ، لا باطناً ، أعطي نوراً ظاهراً مآله إلى الظلمة والذهاب .

وضرب اللّه عز وجل لهذا النور ، ومحله ، وحامله ، ومادته مثلاً بالمشكاة ، وهي الكُوَّة ، في الحائط ، فهي مثل الصدر ، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج ، وحتى شبِّهت بالكوكب الدُّريِّ في بياضه وصفائه ، وهي مثل القلب ، وشبهت بالزجاجة لأنها جمعت أوصافاً هي في قلب المؤمن ، وهي : الصفاء ، والرقة ، والصلابة ، فيرى الحق والهدى بصفائه ، وتحصل منه الرأفة والرحمة ، والشفقة برقَّته ، ويجاهد أعداء اللّه تعالى ، ويغلظ عليهم ، ويشتد في الحق ، ويصلب فيه بصلابته ، ولا تبطل صفة منه صفة أخرى ، ولا تعارضها ، بل تساعدها وتعاضدها ﴿ **أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح : ٢٩] وقال تعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُم ، وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غليظ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّها النَّبِيُّ جَاهِد الكُفَّارَ والمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [التوبة : ٧٣] .

وفي أثر : « القُلوبُ آنِيَةُ اللَّهِ تعالى في أَرْضِهِ ، فَأَحَبُّها إلَيْهِ أَرَقُّها وأَصْلَبُها وَأَصْفَاهَا » .

وبإزاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي نقيض . أحدهما : قلب حجري قاسٍ لا رحمة فيه ، ولا إحسان ولا برَّ ، ولا له صفاء يرى به الحق ، بل هو جبار جاهل ، لا عالم بالحق ، ولا راحم بالخلق . وبإزائه قلب ضعيف مائي ، لا قوة فيه ، ولا استمساك ، بل يقبل كل صورة ، وليس له قوة حفظ تلك الصور ، ولا قوة التأثير في غيره ، وكل ما خالطه أثر فيه ، من قويٍّ وضعيف ، وطيِّبٍ وخبيث . وفي الزجاجة مصباح ، وهو النور الذي في الفتيلة ، وهي حاملته ، ولذلك النور مادة ، وهو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره ، فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر ، حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار ، فهذه مادة نور المصباح .

وكذلك مـادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن ، هو من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة ، وأبعدها من الانحراف ، بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها ، لم تنحرف انحراف النصرانية ، ولا انحراف اليهودية ، بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء ، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن .

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضيء بنفسه ، ثم خالط النار ، فاشتدت بها إضاءته ، وقويت مادة ضوء النار به ، كان ذلك نوراً على نور .

وهكذا المؤمن قلبه مضيء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ، ولكن لا مادة له من نفسه ، فجاءت مادة الوحي ، فباشرت قلبه ، وخالطت بشاشته ، فازداد نوراً بالوحي على نوره الذي فطره الله تعالى عليه ، فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة ، فصار نوراً على نور ، فيكاد ينطق

بالحق وإن لم يسمع فيه أثراً ، ثم يسمع الأثر مطابقاً لما شهدت به فطرته ، فيكون نوراً على نور ، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملاً ، ثم يسمع الأثر جاء به مفصلاً ، فينشأ إيمانه عن شهادة الوحي والفطرة .

فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ، ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة ، فذكر سبحانه وتعالى نوره في السموات والأرض ، ونوره في قلوب عباده المؤمنين ، النور المعقول المشهود بالبصائر والنور الذي استنارت به البصائر والقلوب ، والنور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار العالم العلوي والسفلي ، فهما نوران عظيمان ، أحدهما أعظم من الآخر ، وكما أنه إذا فقد أحدهما من مكان أو موضع ، لم يعش فيه آدمي ولا غيره ، لأن الحيوان إنما يتكوَّن حيث النور ، ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور ، لا يعيش فيها حيوان ، ولا يتكونْ ألبتة ، فكذلك أمة فقد فيها نور الوحي والإيمان ، وقلب فقد منه هذا النور ميت ولا بد ، لا حياة له ألبتة ، كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه .

والله سبحانه وتعالى يقرن بين الحياة والنور ، كما في قوله عز وجل : ﴿ **أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنا لَهْ نُوراً يَمشِي بهِ في النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُه في الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخَارجٍ منهَا** ﴾ [الأنعام : ١٢٢] وكذلك قوله عز وجل : ﴿ **وكَذلك أَوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْري مَا الكِتَابُ وَلَا الإيمانُ ، ولكِنْ جَعَلْنَاهْ نُوراً نَهْدِي بهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ [الشورى : ٥٢] .

وقد قيل : إن الضمير في ﴿ **جَعَلْنَاهُ** ﴾ عائد إلى الأمر ، وقيل : إلى الكتاب ، وقيل : إلى الإيمان ، والصواب : أنه عائد إلى الروح أي : جعلنا ذلك الروح الذي أوحيناه إليك نوراً ، فسماه روحاً لما يحصل

به من الحياة ، وجعله نوراً لما يحصل به من الإشراق والإضاءة ، وهما متلازمان ، فحيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح ، وجدت الإضاءة والاستنارة ، وحيث وجدت الاستنارة والإضاءة ، وجدت الحياة ، فمن لم يقبل قلبه هذا الروح ، فهو ميت مظلم ، كما أن من فارق بدنه روح الحياة فهو هالك مُضْمَحِلّ .

فلهذا يضرب سبحانه وتعالى المثلين : المائي والناري معاً ، لما يحصل بالماء من الحياة ، وبالنار من الإشراق والنور ، كما ضرب ذلك في أول سورة البقرة في قوله تعالى(1) : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ** ﴾ [البقرة : ١٧] وقال : ﴿ **ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ** ﴾ ولم يقل : بنارهم . لأن النار فيها الإحراق [و] الإشراق ، فذهب بما فيه الإضاءة والاشراق ، وأبقى عليهم ما فيه الأذى والإحراق .

وكذلك حال المنافقين : ذهب نور إيمانهم بالنفاق ، وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم ، وقلوبهم قد صليت بحرِّها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا ، فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة ناراً(2) موقدة تطَّلع على الأفئدة .

فهذا مثل من لم يصحبه نور الإيمان في الدنيا ، بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به ، وهو حال المنافق عرف ثم أنكر ، وأقر ثم جحد ، فهو في ظلمات أصم أبكم أعمى ، كما قال تعالى في حق إخوانهم من الكفار : ﴿ **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وبُكْمٌ فِي الظُّلُماتِ** ﴾ [الأنعام : ٣٩] وقال تعالى : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما**

---

(1) وهذا هو المثل الناري وسيأتي تفصيله ص ١٢١ ـ ١٢٩ وسيأتي المثل المائي في الصفحة ١١٠ و١١٣ ـ ١٢٠ .

(2) وهي نار ذهب نورها وبقي حرها كما جاء في الآثار من أنها سوداء مظلمة .

لا يَسْمَعُ الا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧١] ، وشبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله ، لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم ، وصيامهم معهم ، وسماعهم القرآن ، ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره ، قد شاهدوا الضوء ، ورأوا النور عياناً ، ولهذا قال تعالى في حقهم : ﴿ **فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾ [البقرة : ١٨] إليه ، لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبّسوا به واستناروا ، فهم لا يرجعون إليه .

وقال تعالى في حق الكفار : ﴿ **فَهُمْ لَا يَعْقِلُون** ﴾ لأنهم لم يعقلوا الإسلام ، ولا دَخَلُوا فيه ، ولا استناروا به ، بل لا يزالون في ظلمات الكفر ، صم بكم عمي ، فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافياً ، وإلى الإيمان وحقائقه منادياً ، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعياً ، وإلى طريق الرشاد هادياً . لقد أسمع منادي الايمان لو صادف آذاناً واعية ، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوباً من غيها خالية ، ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات ، فأطفأت مصابيحها ، وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة ، فأغلقت أبواب رشدها ، وأضاعت مفاتيحها ، وران عليها كسبها ، فلم ينفع فيها الكلام ، وسكرت بشهوات الغي وشبهات الباطل ، فلم تصغ بعده إلى الملام ، ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنَّة والسهام ، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة ، وأسر الهوى والشهوة ، و « ما لجرح بميِّت إيلام »[١] .

---

(١) هو عجز بيت للمتنبي ، وصدره : من يهن يسهل الهوان عليه .

فصل [في بيان المثل المائي في حياة القلب]

والمثل الثاني المائي قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وبَرْقٌ يَجْعَلُون أصابِعَهُمْ في آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ واللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرين ﴾ [البقرة : ١٩] الصيب : المطر الذي يصوب من السماء ، أي : ينزل منها بسرعة ، وهو مثل القرآن الذي به حياة القلوب ، كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان ، فأدرك المؤمنين ذلك منه ، وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لا خطر لها ، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق ، وهو الوعيد والتهديد ، والعقوبات والمثلات التي حذر الله بها من خالف أمره ، وأخبر أنه منزِّلها بمن كذَّب رسول الله ﷺ ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة ، كجهاد الأعداء ، والصبر على اللأواء ، أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي بخلاف إرادتها ، فهي كالظلمات والرعد والبرق ، ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق ، بل يستأنس لذلك ، ويفرح به لما يرجو من الحياة والخصب .

وأما المنافق ، فإنه لعمىً قلبه ، لم يجاوز بصره الظلمة ، ولم ير إلا برقاً يكاد يخطف البصر ، ورعداً عظيماً وظلمة ، فاستوحش من ذلك وخاف منه ، فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد ، وهاله مشاهدة ذلك البرق ، وشدة لمعانه ، وعظم نوره ، فهو خائف أن يختطف معه بصره ، لأن بصره أضعف أن يثبت معه ، فهو في ظلمة

يسمع أصوات الرعد القاصف ، ويرى ذلك البرق الخاطف ، فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه ، وإن فقد الضوء قام متحيراً لا يدري أين يذهب ، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيِّب الذي به حياة الأرض والنبات ، وحياته هو في نفسه ، بل لا يدرك إلا رعداً ، وبرقاً ، وظلمةً ، ولا شعور له بما وراء ذلك ، فالوحشة لازمة له ، والرعب والفزع لا يفارقه .

وأما من أنس بالصيِّب ، وعلم ما يحصل به من الخيرات والحياة والنفع أنه لا بد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم ، استأنس بذلك ولم يستوحش منه ، ولم يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيِّب .

فهذا مثل مطابق للصيِّب الذي نزل به جبريل ﷺ من عند رب العالمين تبارك وتعالى على قلب رسول الله ﷺ ليحيي به القلوب والوجود أجمع ، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيِّب من الماء حكمةً بالغة وأسباباً منتظمة نظمها العزيز الحكيم .

فكان حظ المنافق من ذلك الصيِّب سحابه ورعوده وبروقه فقط ، لم يعلم ما وراءه ، فاستوحش بما أنس به المؤمنون ، وارتاب بما اطمأن به العالمون ، وشك فيما تيقَّنه المبصرون العارفون ، فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش نحو الظهيرة ، وسمعه في المثل المائي كسمع من يموت من صوت الرعد . وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من صوت الرعد .

وإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية ، وخيالات فاسدة ، وظنون كاذبة ، جالت فيها وصالت ، وقامت بها

وقعدت ، واتسع فيها مجالها ، وكثر بها قيلها وقالها ، فملأت الأسماع من هذيانها ، والأرض من دويانها ، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء ، والقابلين منهم ، والقائمين بدعوتهم ، والمحامين عن حوزتهم ، والمقاتلين تحت ألويتهم ، والمُكَثِّرين لسوادهم عدداً ، وما أقلهم عند الله وأوليائه قدراً .

ولعموم البلية بهم ، وضرر القلوب بكلامهم ، هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهتك ، وكشف أسرارهم غاية الكشف ، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم ، ولم يزل عز وجل يقول : (ومنهم . . . ومنهم . . . ومنهم . . .) حتى انكشف أمرهم ، وبانت حقائقهم ، وظهرت أسرارهم .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أول سورة ﴿ **البقرة** ﴾ أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين ، فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آيات ، وفي أوصاف الكفار آيتين ، وفي أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية ، لعموم الابتلاء بهم وشدة المصيبة بمخالطتهم فانهم من الجلدة، مظهرون الموافقة والمناصرة ، بخلاف الكافر الذي قد تأبد بالعداوة ، وأظهر السريرة ، ودعاك بما أظهره إلى مزايلته ومفارقته .

* * *

فصـل [في تشبيه وحي السماء بماء السماء]

ونظير هذين المثلين المثلان المذكوران في سورة ﴿ **الرعد** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً** ﴾ [الرعد : ١٧] فهذا هو المثل المائي ، شبَّه الوحي الذي أنزله بحياة القلوب ، بالماء الذي أنزله من السماء ، وشبه القلوب الحاملة له ، بالأودية الحاملة للسيل .

فقلب كبير يسع علماً عظيماً ، كوادٍ كبير يسع ماءً كثيراً ، وقلب صغير كوادٍ صغير يسع علماً قليلاً ، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها ، كما سالت الأودية بقدرها .

ولما كانت الأودية ومجاري السيول فيها الغثاء ونحوه مما يمر عليه السيل ، فيحتمله **السيلُ** فيطفو على وجه الماء زبداً عالياً ، يمر عليه متراكباً ، ولكن تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض ، فيقذف الوادي ذلك الغثاء إلى جنبتيه حتى لا يبقى منه شيء ، ويبقى الماء الذي تحت الغثاء يسقي الله تعالى به الأرض ، فيحيي به البلاد والعباد ، والشجر والدواب ، والغثاء يذهب جفاءً يجفى ، ويطرح على شفير الوادي .

فكذلك العلم والإيمان الذي أنـزله من السمـاء في القلوب فاحتملته ، فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة ، فطفا في أعلاها ، واستقر العلم والإيمان والهدى في

جذر القلب وهو أصله ومستقره ، كما قال النبي ﷺ : « نَزَلَ الإِيْمانُ في جَذْرِ قُلُوب الرِّجَالِ » رواه البخاري من حديث حذيفة[1] ، فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاءً ، ويزول شيئاً فشيئاً ، حتى يزول كله ، ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص في جذر القلب يرده الناس ، فيشربون ويسقون ويمرعون[2] .

وفي « الصحيح » من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ مَا بَعَثَني اللَّهُ تَعالى بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْم كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً ، فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ ، قَبلَتِ[3] المَاءَ ، فأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أَجَادِبُ[4] أَمْسَكَتِ المَاءَ ، فَسَقَى النَّاسُ وَزَرَعُوا[5] ، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى ، إِنَّما هِيَ قِيعَانٌ ، لا تُمْسِكُ مَاءً ، ولا تُنْبِتُ كَلأً ، فَذٰلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَىٰ ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ،

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري ١١/ ٢١٦ في الرقاق : باب رفع الأمانة ، و١٣/ ٣٣ـ ٣٤ في الفتن : باب إذا بقي في حثالة من الناس ، ومسلم رقم (١٤٣) في الإيمان : باب رفع الأمانة والإيمان ، والترمذي رقم (٢١٨٠) في الفتن : باب ما جاء في رفع الأمانة ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٣٨٣ وابن ماجه رقم (٤٠٥٣) في الفتن : باب ذهاب الأمانة .

(٢) أي : ويخصبون . يقال : مرع الوادي ، يمرع مراعة : أخصب بكثرة الكلأ ، فهو مريع . وفي نسخة : يزرعون .

(٣) هذه عند مسلم ، وعند البخاري : قيلت ، وهي رواية ابن إسحاق بن راهويه في هذا الحديث . ومعنى قيلت : شربت ، والقيل : شرب نصف النهار ، يقال : قيلت الإبل ، أي : شربت في القائلة .

(٤) أجادب : هي الأرض التي لا تنبت كلأ ، وقال الخطابي : هي الأرض التي تمسك الماء فلا يسرع فيه النضوب .

(٥) عند مسلم : ورعوا .

فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأساً ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ »[1] .

فجعل النبي ﷺ الناس بالنسبة الى الهدى والعلم ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوةً إلى الله عز وجل ورسوله ﷺ ، فهؤلاء أتباع الرسل ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ حقاً ، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت ، فقبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، فزكت في نفسها ، وزكا الناس بها .

وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة ، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء ﷺ الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ **واذْكُرْ عِبَادَنا إبْراهِيمَ وإسْحَاقَ ويَعْقُوبَ أُولِي الأيْدِي والأبْصار** ﴾ [ص : ٤٥] فالأيدي : القوة في أمر الله ، والأبصار : البصائر في دين الله عز وجل : فبالبصائر يدرك الحق ويعرف ، وبالقوى يتمكَّن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه ، فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم في الدين والبصر بالتأويل ، ففجَّرت من النصوص أنهار العلوم ، واستنبطت منها كنوزها ، ورزقت فيها فهماً خاصاً ، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(*) وقد سئل : هل خصَّكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس ؟

---

(١) روه البخاري ١/ ١٦٠ و١٦١ في العلم، باب فضل من علم وعلم، ومسلم رقم (٢٢٨٢) في الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدي والعلم ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٣٩٩ .

(*) هو أمير المؤمنين أبو الحسن وأبو تراب ، علي بن أبي طالب ، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أسلمت وهاجرت . =

فقال : لَا وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرأ النَّسمَةَ ، إلَّا فَهْماً يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْداً فِي كِتَابِهِ(1) .

فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذي أنبتته الأرض ،

= وهو أول من أسلم من الذكور في أكثر الأقوال ، وقد اختلف في سنه يومئذ ، فقيل : كان له خمس عشرة سنة ، وقيل : ست عشرة ، وقيل : أربع عشرة ، وقيل : ثلاث عشرة سنة ، وقيل : ثماني سنين ، وقيل : سبع سنين ، وقيل : عشر سنين .

شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها غير تبوك ، فانه خلفه في أهله ، وفيها قال له : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون بن موسى » .

كان آدم شديداً الأدمة ، عظيم العينين ، أقرب إلى القصر من الطول ، ذا بطن ، كثير الشعر ، عريض اللحية ، أصلع ، أبيض الرأس لم يصفه أحد بالخضاب إلا نادراً .

استخلف يوم قتل عثمان وهو يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين ، ومات بعد ثلاث ليال من ضربته ، وقيل : ضرب ليلة إحدى وعشرين ، ومات ليلة الأحد ، وقيل : يوم الأحد .

وغسله ابناه : الحسن والحسين ، وعبد اللّٰه بن جعفر ، وصلى عليه الحسن ، ودفن سحراً ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وقيل : خمس وستون ، وقيل : سبع ، وقيل : ثمان وخمسون .

وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياماً .

يلقى النبي ﷺ في عبد المطلب .

روى عنه بنوه الحسن والحسين، ومحمد، وعبد اللّٰه بن عباس ، وعبد اللّٰه بن جعفر ، وابن المسيب ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وزيد بن وهب ، وخلق كثير من الصحابة والتابعين .

(1) قطعة من حديث طويل رواه البخاري ١٢/ ٢١٧ في الديات : باب العاقلة ، وباب لا يقتل مسلم بكافر ، والترمذي رقم (١٤١٢) في الديات : باب ما جاء لا يقتل مسلم بكافر ، والنسائي ٨/ ٢٣ في القسامة : باب سقوط القود من المسلم للكافر ، والدارمي رقم (٢٣٦١) في الديات : باب لا يقتل مسلم بكافر ، وأحمد في « المسند » ١/ ٧٩ . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (٥٨٦٣) .

وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية .

[**الطبقة الثانية**][1] : فإنها حفظت النصوص ، وكان همها حفظها وضبطها ، فوردها الناس وتلقَّوْها منهم ، فاستنبطوا منها ، واستخرجوا كنوزها ، واتَّجروا فيها ، وبذروها في أرض قابلة للزرع والنبات ، فاستخرجوا غوامضها وأسرارها ، ووردوها كلٌّ بحسبه ﴿ **قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ** ﴾ [البقرة : ٦٠]وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي ﷺ : « نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعاها ، ثُمَّ أَدَّاها كَمَا سَمِعَها ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غيرُ فَقِيهٍ ، ورُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُو أَفْقَهُ مِنْه »[2] .

وهذا عبد الله بن عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن ، مقدار ما سمع من النبي ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثاً الذي يقول فيه : سمعت ، ورأيت ، وسمع الكثير من الصحابة ، وبورك في فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علماً وفقهاً .

قال أبو محمد بن حزم(*) : وجمعت فتاويه في سبعة أسفار كبار .

---

(١) زيادة ليست في الأصول .

(٢) رواه احمد في « المسند » ٤/ ٨٠ و٨٢ ، وابن ماجه رقم (٣٠٥٦) في المناسك : باب الخطبة يوم النحر ، والحاكم ١/ ٨٧ وصححه ووافقه الذهبي من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/ ١٨٣ ، والترمذي رقم (٢٦٥٨) في العلم : باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ، وأبو داود رقم (٣٦٦٠) في العلم : باب فضل نشر العلم ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٧٢) « موارد » في العلم : باب رواية الحديث لمن فهمه ومن لا يفهمه ، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/ ٢٢٥ من حديث أنس رضي الله عنه . وهو حديث صحيح .

(*) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي ، عالم الأندلس في زمانه ، أصله من فارس ، وولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ ، وتوفي سنة ٤٥٦ هـ . قال =

وهي بحسب ما بلغ جامعها ، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر ، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس ، وقد سمع كما سمعوا ، وحفظ القرآن كما حفظوا ، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع ، فبذر فيها النصوص ، فأنبتت من كل زوج كريم : ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ** ﴾ [الجمعة : ٤] .

وأين تقع فتاوى ابن عباس ، وتفسيره ، واستنباطه ، من فتاوى أبي هريرة وتفسيره ؟ وأبو هريرة أحفظ منه ، بل هو حافظ الأمة على الاطلاق : يؤدِّي الحديث كما سمعه ، ويدرسه بالليل درساً ، فكانت هِمَّته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه ، وهِمَّة ابن عباس مصروفة إلى التفقُّه والاستنباط ، وتفجير النصوص ، وشق الأنهار منها ، واستخراج كنوزها .

وهكذا الناس بعده قسمان :

قسم حفاظ معتنون بالضبط ، والحفظ ، والأداء ، كما سمعوا ، ولا يستنبطون ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه .

وقسم معتنون بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص ، والتفقُّه فيها .

الحافظ ابن كثير : واشتغل بالعلوم النافعة ، وبرز فيها وفاق أهل زمانه ، وكان أديباً شاعراً فصيحاً فقيهاً صاحب تصانيف جليلة إلا أنه كان كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه ، والعجب كل العجب منه أنه كان ظاهرياً في الفروع لا يقول بشيء من القياس الجلي ولا غيره ، ومع هذا من أشد الناس تأويلا في باب الأصول وآيات الصفات . اهـ . « البداية » ١٢ / ٩٢ من تصانيفه : « المحلى بالآثار في شرح المحلى بالاختصار في الكتاب والسنة » و « المغرب في تاريخ المغرب » و « الفصل بين أهل الأهواء والنحل » و«الالتباس فيما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس» وغيرها تقارب (٤٠٠) مجلد. =

فـ[القسم][1] الأول كـأبي زرعة، وأبي حـاتم، وابن وارة . وقبلهم : كبندار محمد بن بشار ، وعمرو الناقد ، وعبـد الرزاق . وقبلهم : كمحمد بن جعفر غندر ، وسعيد بن أبي عَرُوبة ، وغيرهم من أهل الحفظ والإتقان والضبط لما سمعوه من غير استنباط وتصرف ، واستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص .

والقسم الثاني : كمالك ، والليث ، وسفيان ، وابن المبارك ، والشـافعي ، والأوزاعي ، وإسحـاق ، والإمـام أحمـد بن حنبـل ، والبخاري ، وأبي داود ، ومحمد بن نصر المروزي ، وأمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية ، فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ ، وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأساً .

الطبقة الثالثة : وأما الطائفة الثالثة وهم أشقى الخلق الذين لم يقبلوا هدى الله ولم يرفعوا به رأساً ، فلا حفظ ، ولا فهم ، ولا رواية ، ولا دراية ، ولا رعاية .

فالطبقة الأولى : أهل رواية ورعاية ودراية .

والطبقة الثانية : أهل رواية ورعاية ، ولهم نصيب من الدراية ، بل حظهم من الرواية أوفر .

والطبقة الثالثة : الأشقياء ، لا رواية ، ولا دراية ، ولا رعاية . ﴿ **إنْ هُمْ إلاَّ كالأنْعَام بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً** ﴾ [الفرقان : ٤٤] ، فهم الذين يضيقون الديار، ويغلون الأسعار، إنْ[1] هَمَّ[2] أحدهم إلا بطنُه وفرجه ، فإن ترقَّت هِمَّته كان هَمُّه ـ مع ذلك ـ لباسه وزينته ، فإن ترقَّت

---

(١) زيادة ليست في الأصول .

(١) إن : نافية بمعنى ما .

(٢) في نسخة همة .

هِمَّته فوق ذلك، كان [همه][1] في داره وبستانه ومركوبه، فإن ترقت همته فوق ذلك ، كان همه في الرياسة والانتصار للنفس الكلبية ، فإن ارتفعت همته عن نصرة النفس الكلبية ، كان همه في نصرة النفس السبعية ، وأما النفس الملكية فلم يعطها أحد من هؤلاء .

فإن النفوس كلبية وسبعية وملكية .

فالكلبية : تقنع بالعظم ، والكِّسرة ، والجيفة ، والعذرة .

والسبعية : لا تقنع بذلك ، بل بقهر النفوس ، والاستعلاء عليها بالحق والباطل .

وأما الملكية : فقد ارتفعت عن ذلك ، وشمَّرت إلى الرفيق الأعلى ، فَهِمَّتُها العلم والإيمان ، ومحبة الله تعالى ، والإنابة إليه ، والطمأنينة به ، والسكون إليه ، وإيثار محبته ومرضاته ، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربِّها ووليِّها ، لا لتنقطع به عنه .

* * *

---

(١) زيادة ليست في الأصول .

فصل [في تشبيه الوحي بالنور]

ثم ضرب سبحانه وتعالى مثلاً ثانياً ، وهو المثل الناري ، فقال : ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾[الرعد: ١٩] ، وهو الحديد والنحاس ، والفضة والذهب وغيرها ، فانها تدخل الكير لتمحص وتخلص من الخبث ، فيخرج خبثها فيرمي به ويطرح ، ويبقى خالصها ، فهو الذي ينفع الناس .

ولما ضرب الله سبحانه وتعالى هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ، ورفع بهداه رأساً ، وحكم من لم يستجب له ، ولم يرفع بهداه رأساً ، فقال : ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الحُسْنَىٰ ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْض جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ ، أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ ،وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادُ ﴾ [الرعد : ٢٠] .

والمقصود أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور ، والموت حيث الظلمة ، فحياة الوجودين ، الروحي والجسمي بالنور ، وهو مادة الحياة ، كما أنه مادة الإضاءة ، فلا حياة بدونه ، كما لا إضاءة بدونه ، وكما أنه به حياة القلب ، فبه انفساحه وانشراحه وسَعَتُه ، كما في الترمذي عن النبي ﷺ : « إذا دَخَلَ النُّورُ القَلْبَ انْفَسَحَ وَانْشَرَحَ » قالوا : وما علامة ذلك ؟ قال : « الإِنَابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ ، وَالتَّجافي عَنْ

دَارِ الغُرُورِ ، والاستِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُوله »[1] .

ونور العبد هو الذي يصعد عمله وكَلِمُهُ إلى اللّهِ تعالى ، فإن اللّه تعالى لا يصعد إليه من الكلم إلا الطيب ، وهو نور ومصدر عن النور ، ولا من العمل إلا الصالح ، ولا من الأرواح إلا الطيبة ، وهي أرواح المؤمنين التي استنارت بالنور الذي أنزله على رسوله ﷺ والملائكة الذين

---

(1) وهو حديث ضعيف ، ذكره الحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » صفحة ١٢٥ و١٢٦ من حديث ابن عمر بغير سند . وقد رواه ابو نعيم في « أخبار أصبهان » ١/ ٣٠٥ في ترجمة خالد بن أبي كريمة ، من حديث خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن المسور عن أبيه ، وإسناده منقطع ، وعبد الله بن المسور ، قال الذهبي في « الميزان » : قال أحمد وغيره : أحاديثه موضوعة ، وذكره البغوي في « تفسيره » من حديث عبد الله بن مسعود ، وإسناده ضعيف جداً ، ورواه ابن جرير ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر عن قتادة مرسلاً .

وقد استقصى الشيخ ناصر الدين الألباني تخريجه في « الأحاديث الضعيفة» رقم (٩٦٥) ففال ما ملخصه : روي من حديث عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ، ومن حديث الحسن البصري وأبي جعفر المدائني وكلاهما مرسلاً .

وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه فرواه ابن جرير الطبري في « تفسيره » ٨/ ٢١ والحاكم في « المستدرك » ٤/ ٣١١ .

وأما حديث ابن عباس فرواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣/ ١٠٨/ ١) .

وأما حديث الحسن البصري فقد ذكره السيوطي من تخريج ابن أبي الدنيا في « كتاب ذكر الموت » عنه مرسلاً نحوه .

وأما حديث أبي جعفر المدائني فرواه ابن جرير الطبري في « تفسيره » ٨/ ٢٠ .

قال السيوطي في « الدر المنثور » ٣/ ٤٤ أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في « الأسماء الصفات » عن عبد الله بن مسعود .

وعزاه الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٢/ ١٧٥ لعبد الرزاق وحده ، وهو أول طرق هذا الحديث عنده من ثلاث طرق ، والطريق الثاني لديه عن أبي عبيدة عن ابن مسعود ، والثالثة طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عنه ، ثم ختمها بقوله : «فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة ، يشد بعضها بعضاً » .

قلت : وهذا من أوهامه رحمه الله تعالى ، فإن طريقه الأولى معضلة مع كذب الذي =

خلقوا من نور ، كما في « صحيح مسلم » ، عن عائشة رضي اللّه عنها عن النبي ﷺ قال : « خُلِقَتِ الملائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَتِ الشَّيَاطِينُ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ »(١) .

فلما كانت مادة الملائكة من نور ، كانوا هم الذين يعرجون إلى ربهم تبارك وتعالى ، وكذلك أرواح المؤمنين هي التي تعرج إلى ربها وقت قبض الملائكة لها ، فيفتح لها باب السماء الدنيا ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، إلى أن ينتهي بها إلى السماء السابعة ، فتوقف بين يدي اللّه عز وجل ، ثم يأمر أن يكتب كتابه في أهل عليين . فلما كانت هذه الروح روحاً زاكية طيبة نيِّرة مشرقة صَعِدَتْ إلى اللّه عز وجل مع الملائكة .

وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة ، فإنها لا تفتح لها أبواب السماء ، ولا تصعد إلى اللّه تعالى ، بل ترد من السماء الدنيا إلى عالمها وعنصرها ، لأنها أرضية سفلية ، والأولى علوية سماوية ، فرجعت كل روح إلى عنصرها وما هي منه ، وهذا مبين في حديث البراء بن عازب

= أعضله ، والثانية . منقطعة مع ضعف أحد رواته ، والثالثة معضلة أيضاً مع ضعف أحد رواته ، فأين الطريق المتصلة .

وجملة القول : إن هذا الحديث ضعيف ، فليس في طرقه ما ضَعْفه يسير يمكن أن ينجبر ،خلافاً لما ذهب إليه ابن كثير ، وإن قلده في ذلك جماعة ممن ألفوا في التفسير كالشوكاني في « فتح القدير » (٢/ ١٥٤) وصديق حسن خان في « فتح البيان » (٢/ ٢١٧) وجزم الآلوسي في « روح المعاني » بنسبته إليه ﷺ ، ومن قبله المصنف رحمه الله تعالى في « الفوائد » [ص ٥٨ من طبعتنا ـ مكتبة دار البيان بدمشق] وعزاه للترمذي فجاء بوهم آخر ، والعصمة لله وحده . ا هـ .

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٩٦) في الزهد : باب في أحاديث متفرقة ، وأحمد في « المسند » ٦/ ١٥٨ و١٦٨ ، ولفظه عند مسلم « خُلقت الملائكة من نور ، وخُلق الجانُّ من مارجٍ من نارٍ ، وخلقَ آدم مما وصف لكم » .

الطويل الذي رواه الإمام أحمد، وأبو عوانة الاسفراييني(*) في «صحيحه»، والحاكم وغيرهم، وهو حديث صحيح[1].

والمقصود: أن اللّه عز وجل لا يصعد إليه من الأعمال والأقوال والأرواح إلا ما كان منها نوراً، وأعظم الخلق نوراً أقربهم إليه وأكرمهم عليه.

وفي «المسند» من حديث عبد اللّه بن عمرو(*) عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، وَأَلْقَىٰ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ

(*) هو الحافظ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد، النيسابوري ثم الاسفراييني، أبو عوانة. استقر في اسفرايين فتوفي بها سنة ٣١٦هـ، من تصانيفه «الصحيح المسند المخرج على صحيح مسلم».

(١) رواه أحمد في «المسند» ٤/ ٢٨٧ و٢٨٨ و٢٩٥ و٢٩٦، وأبو داود (٤٧٥٣) في السنة باب في المسألة في القبر وعذاب القبر والنسائي ٤/ ١٠١ في الجنائز: باب عذاب القبر، والحاكم ١/ ٣٧ ـ ٤٥ وهو حديث صحيح كما قال المؤلف، وقد ساقه بطوله في كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية» ص ٣٦ فانظره ثم.

(*) هو أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد عبد اللّه بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ابن سعيد بن سعد، بن سهم بن عمر بن هعيص بن كعب بن لؤي، السهمي القرشي.

أسلم قبل أبيه، وكان أبوه أكبر منه بثلاث عشرة سنة، وقيل: باثنتي عشرة سنة.

وكان عابداً عالماً حافظاً، قرأ الكتب، واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه، فأذن له.

وقد اختلف في وفاته، فقيل: مات ليالي الحرة، في ذي الحجة سنة ثلاث وستين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين، وقيل: مات بفلسطين سنة خمس وستين، وقيل: مات بمكة سنة سبع وستين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وقيل: مات بالطائف سنة خمس وخمسين، وقيل: مات بمصر سنة خمس وستين.

روى عنه مسروق، وسعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير، وحميد بن عبد الرحمن، وخلق كثير سواهم.

أَصَابَ مِن ذٰلِكَ النُّورِ اهْتَدى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ ، فَلِذٰلِكَ أَقُولُ : جَفَّ القَلَمُ عَلَىٰ عِلْمِ اللّهِ تَعَالَىٰ »(١) .

وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الإيمان ، وينفتح به باب عظيم من أبواب سر القدر وحكمته ، والله تعالى الموفق .

وهذا النور الذي ألقاه عليهم سبحانه وتعالى ، هو الذي أحياهم وهداهم ، فأصابت الفطرة منه حظَّها ، ولكن لما لم يستقلَّ بتمامه وكماله ، أكمله لهم ، وأتمه بالروح الذي ألقاه على رسله عليهم الصلاة والسلام ، والنور الذي أوحاه إليهم ، فأدركته الفطرة بذلك النور السابق الذي حصل لها يوم إلقاء النور ، فانضاف نور الوحي والنبوة إلى نور الفطرة ، نور على نور ، فأشرقت منه القلوب ، واستنارت به الوجوه ، وحييت به الأرواح ، وأذعنت به الجوارح للطاعات طوعاً واختياراً ، فازدادت به القلوب حياة إلى حياتها .

ثم دلها ذلك النور على نور آخر هو أعظم منه وأجل ، وهو نور الصفات العليا الذي يضمحل فيه كل نور سواه ، فشاهدته ببصائر الإيمان مشاهدةً نسبتها إلى القلب كنسبة المرئيات إلى العين ، ذلك لاستيلاء اليقين عليها ، وانكشاف حقائق الإيمان لها ، حتى كأنها تنظر إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى بارزاً ، وإلى استوائه عليه ، كما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه ، وكما أخبر به عنه رسوله ﷺ ، يدبِّر أمر الممالك ، ويأمر وينهى ، ويخلق ويرزق ، ويميت ويحيي ، ويقضي وينفِّذ ، ويعزُّ

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢ / ١٧٦ و١٩٧ ، والترمذي رقم (٢٦٤٤) في الايمان : باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، والحاكم ١/ ٣١ وصححه ووافقه الذهبي . وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٧٦٠) .

ويذلُّ ، ويقلِّب الليل والنهار ، ويداول الأيام بين الناس ، ويقلب الدول ، فيذهب بدولة ، ويأتي بأخرى .

والرسل من الملائكة عليهم الصلاة والسلام بين صاعد إليه بالأمر ، ونازل من عنده به ، وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الأوقات ، نافذة بحسب إرادته ومشيئته ، فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء ، من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تقدُّم ولا تأخُّر ، وأمره وسلطانه نافذ في السموات وأقطارها ، وفي الأرض وما عليها وما تحتها ، وفي البحار والجو ، وفي سائر أجزاء العالم وذرَّاته ، يقلِّبها ويصرفها ، ويحدث فيها ما يشاء ، وقد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، ووسع كل شيء رحمة وحكمة ، ووسع سمعه الأصوات ، فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه ، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على تفنن[1] حاجاتها ،فلا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرَّم بالحاح الملحين ذوي الحاجات ، وأحاط بصره بجميع المرئيات ، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء في الليلة الظلماء ، فالغيب عنده شهادة ، والسر عنده علانية ، يعلم السر وأخفى من السر .

فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد ، وخطر بقلبه ، ولم تتحرك به شفتاه ، وأخفى منه ما لم يخطر بقلبه بعد ، فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا ، له الخلق والأمر ، وله الملك وله الحمد ، وله الدنيا والآخرة ، وله النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ،وله الملك كله ، وله الحمد كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر

(١) في المطبوعة : كثرة .

كله ، شملت قدرته كل شيء ، ووسعت رحمته كل شيء ، وسعت نعمته إلى كل حي ﴿ يَسْأَلُه مَنْ في ٱلسَّموَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأْنٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩] : يغفر ذنباً ، ويفرِّج همّاً ، ويكشف كرباً ، ويجبر كسيراً ، ويغني فقيراً ، ويُعَلِّمُ جاهلاً ، ويهدي ضالّاً ، ويُرْشِدُ حيراناً ، ويُغِيثُ لَهْفَانـاً ، وَيَفُكُّ عانياً ، ويُشبع جائعاً ، ويَكْسُو عارياً ، ويَشفي مريضاً ، ويُعـافي مبتلىً ، وَيَقْبَلُ تَائِباً ، ويَجْزِي مُحسناً ، وينصر مظلوماً ، ويقصم جباراً ، ويُقِيلُ عَثْرَةً ، ويستر عورةً ، ويؤمِّن رَوْعة ، ويرفع أقواماً ، ويضع آخرين ، لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليـل قبـل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، يمينه ملأى ، لا تغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار[1] .

أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق ، فإنه لم يغض ما في يمينه .

قلوب العباد ونواصيهم بيده ، وأزمَّة الأمور معقودة بقضائه وقدره ، الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، يقبض سمواته كلها بيده الكريمة ، والأرض باليد الأخرى ، ثم يهزُّهن ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الملك ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئاً ، وأنا الذي أعيدها كما بدأتها .

لا يتعاظمه ذنب أن يغفره ، ولا حاجة يسألها أن يعطيها .

---

(١) قال النووي : ضبطوا سحاء بوجهين ، أحدهما : سحاء بالتنوين على المصدر وهذا هو الأشهر ، والثاني : حكاه القاضي سحاء بالمد على الوصف ووزنه فعلاء صفة لليد ، والسح الصب الدائم . والليل والنهار منصوبان على الظرف ا هـ « شرح مسلم » ٨٠/٧ .

لو أن أهل سماواته ، وأهل أرضه ، وأول خلقه وآخرهم ، وإنسهم وجنهم ، كانوا على أتقى قلب رجل منهم ، ما زاد ذلك في ملكه شيئاً ، ولو أن أول خلقه وآخرهم ، وإنسهم وجنهم ، كانوا على أفجر قلب رجل منهم ، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً ، ولو أن أهل سمواته ، وأهل أرضه ، وإنسهم وجنهم ، وحيهم وميتهم ، ورطبهم ويابسهم ، قاموا في صعيد واحد ، فسألوه ، فأعطى كلاً منهم ما سأله ، ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة .

ولو أن أشجار الأرض كلها من حين وجدت إلى أن تنقضي الدنيا أقلام ، والبحر وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد ، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد ، لفنيت الأقلام ، ونفد المداد ، ولم تنفد كلمات الخالق تبارك وتعالى . وكيف تفنى كلماته جل جلاله وهي لا بداية لها ولا نهاية ، والمخلوق له بداية ونهاية ، فهو أحق بالفناء والنفاد وكيف يفني المخلوق غير المخلوق .

هو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء .

تبارك وتعالى ، أحق من ذكر ، وأحق من عبد ، وأحق من حمد ، وأولى من شكر ، وأنصر من ابتغي ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئل ، وأعفى من قدر ، وأكرم من قصد ، وأعدل من انتقم ، حكمه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن عِزَّته ، ومنعه عن حِكمته ، وموالاته عن إحسانه ورحمته .

مَـا لِلْعِبَـادِ عَلَيْـهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ... كَـلَّا وَلَا سَعْيٌ لَـدَيْـهِ ضَـائِعُ
إِنْ عُـذِّبُوا فَبِعَـدْلِـهِ أَوْ نُعِّمُـوا ... فَبِفَضْلِهِ ، وَهُوَ الكَرِيمُ الوَاسِعُ

هو الملك الذي لا شريك له، والفرد فلا ندَّ له، والغني فلا ظهير[1] له ، والصمد فلا ولد له ، ولا صاحبة له ، والعليُّ فلا شبيه له ، ولا سَمِيَّ له ، كلُّ شيء هالك إلا وجهه ، وكلُّ ملك زائل إلا ملكه ، وكل ظل قالص إلا ظله ، وكل فضل منقطع إلا فضله ، لن يطاع إلا بإذنه ورحمته ، ولن يُعصى إلا بعلمه وحكمته ، يُطاع فيشكر ، ويعصى فيتجاوز ويغفر ، كل نقمة منه عدل ، وكل نعمة منه فضل ، أقرب شهيد ، وأدنى حفيظ ، حال دون النفوس ، وأخذ بالنواصي ، وسجَّل الآثار، وكتب الآجال ، فالقلوب له مفضية ، والسر عنده علانية ، والغيب عنده شهادة ، عطاؤه كلام ، وعذابه كلام ، ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون** ﴾[2] [يس : ٨٢] .

فإذا أشرقت على القلب أنوار هذه الصفات ، اضمحل عندها كل نور ، ووراء هذا ما لا يخطر بالبال ، ولا تناله عبارة . والمقصود : أن الذكر ينوِّر القلب والوجه والأعضاء ، وهو نور العبد في دنياه ، وفي البرزخ ، وفي القيامة .

* * *

(١) في نسخة : نظير . والصواب ما أثبتناه .

(٢) هذه هي عقيدة السلف كما تلقوها عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فصل [في أن الأعمال تستمد نورها من نور الإيمان]

وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد ، تخرج أعماله وأقواله ، ولها نور وبرهان ، حتى إن من المؤمنين من يكون نور أعماله إذا صعِدت إلى اللّه تبارك وتعالى كَنُورِ الشمس ، وهكذا نور روحه إذا قدم بها على اللّه عز وجل ، وهكذا يكون نوره الساعي بين يديه على الصراط ، وهكذا يكون نور وجهه في القيامة، واللّه تعالى المستعان وعليه الاتكال.

* * *

السابعة والثلاثون : أن الذكر رأس الأمور ، وطريق عامة الطائفة ، ومنشور الولاية ، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على اللّه عز وجل ، فليتطهر وليدخل على ربه عز وجل يجد عنده كل ما يريد ، فإن وجد ربه عز وجل وجد كل شيء ، وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شيء .

الثامنة والثلاثون : أن في القلب خَلَّة وفاقة لا يسدُّها شيء ألبتة إلا ذكر اللّه عز وجل ، فإذا صار الذكر شعار القلب ، بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة ، واللسان تبع له ، فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ، ويغني(١) الفاقة ، فيكون صاحبه غنياً بلا مال ، عزيزاً بلا عشيرة ، مهيباً بلا سلطان ، فإذا كان غافلاً عن ذكر اللّه عز وجل ، فهو بضد ذلك ، فقير مع كثرة جِدَته ، ذليل مع سلطانه ، حقير مع كثرة عشيرته .

التاسعة والثلاثون : أن الذكر يجمع المتفرِّق ، ويفرِّق المجتمع ،

ويقرِّب البعيد ، ويبعد القريب .

فيجمع ما تفرَّق على العبد من قلبه وإرادته ، وهمومه وعزومه ، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتُّتِها عليه ، وانفراطها له .

والحياة والنعيم [كل النعيم] في اجتماع قلبه وهمه ، وعزمه وإرادته ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم ، والغموم ، والأحزان ، والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه ، ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره ، حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل ، ويفرِّق أيضاً ما اجتمع على حربه من جند الشيطان ، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية ، وكلما كان أقوى طلباً للّه سبحانه وتعالى ، وأشد تعلقاً به وإرادة له ، كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة ، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة ، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر.

وأما تقريبه البعيد ، فإنه يقرِّب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان والأمل ، فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحصرها ، فحينئذ تصغر في عينه الدنيا ، وتعظم في قلبه الآخرة[1] .

ويبعد القريب إليه وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة ، فإن الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا ، كلما قرب من هذه مرحلة بعد من هذه مرحلة ، ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر والله المستعان .

الأربعون : أن الذكر ينبه القلب من نومه ، ويوقظه من سِنتَه ، والقلب إذا كان نائماً فاتته الأرباح والمتاجر ، وكان الغالب عليه

(١) انظر ما سلف بهذا المعنى ص ٩٥ و ٩٦ .

الخسران ، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر ، وأحيا بقية عمره ، واستدرك ما فاته ، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر ، فإن الغفلة نوم ثقيل.

الحادية والأربعون : أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون ، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر ، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها ، كان أعظم لثمرتها ، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد ، وهو أصل كل مقام ، وقاعدته التي ينبني ذلك المقام عليها ، كما يبنى الحائط على أُسِّه ، وكما يقوم السقف على حائطه ، وذلك أن العبد إن لم يستيقظ ، لم يمكنه قطع منازل السير ، ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم ، فالغفلة نوم القلب أو موته .

الثانية والأربعون : أن الذاكر قريب من مذكوره ، ومذكوره معه ، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة ، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق ، كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا** ﴾ [النحل : ١٢٨] ، ﴿ **واللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، ﴿ **وإِنَّ اللّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ﴿ **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة : ٤٠] . وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر ، كما في الحديث الإلهي : « أنا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ »(١) .

وفي أثر آخر : « أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل شكري أهل

---

(١) رواه البخاري تعليقاً ١٣/ ٤١٧ ، ورواه مسنداً أحمد ٢/ ٥٤٠ ، وابن ماجه رقم (٣٧٩٢) في الأدب : باب فضل الذكر ، وابن حبان رقم (٢٣١٦) « موارد » في الأذكار : باب فضل الذكر والذاكرين ، والحاكم ١/ ٤٩٦ وصححه ووافقه الذهبي . انظر ما قاله الحافظ في الفتح .

زيارتي ، وأهل طاعتي أهل كراستي ، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، فإني أحب التوابين ، وأحب المتطهرين ، وإن لم يتوبوا ، فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب ، لأطهرهم من المعائب » .

والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء ، وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي ، وهي معية لا تدركها الغبارة ، ولا تنالها الصفة ، وإنما تعلم بالذوق : وهي مزلة أقدام إن لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدَث ، بين الرب والعبد ، بين الخالق والمخلوق ، بين العابد والمعبود ، وإلا وقع في حلولٍ يضاهي به النصارى ، أو اتحاد يضاهي به القائلين بوحدة الوجود ، وأن وجود الرب عين وجود هذه المخلوقات[1] ، بل ليس عندهم رب وعبد ، ولا خلق وحق ، بل الرب هو العبد ، والعبد هو الرب ، والخلق المشبَّه هو الحق المنزَّه ، تعالى اللّه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً[2] .

والمقصود : أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة ، وإلا فإذا استولى عليه سلطان الذكر ، وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه ، ولج في باب الحلول والاتحاد ولا بد .

الثالثة والأربعون : أن الذكر يعدل عتق الرقاب ، ونفقة الأموال ، والحمل على الخيل في سبيل اللّه عز وجل ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل اللّه عز وجل ، وقد تقدم أن « مَنْ قَالَ في يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ : لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) في نسخة : الموجودات .

(٢) وفي هذه الزلة وقع الحلاج القائل بالحلول وكذلك محي الدين ابن العربي الذي حشا كتبه لا سيما « فصوص الحكم » بمثل هذه الضلالات نعوذ بالله من الضلال بعد الهداية ومن الزيغ بعد الرشد .

قَدِيرٌ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةَ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةَ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِي . . . » الحديث[1] .

وذكر ابن أبي الدنيا، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد قال : قيل لأبي الدرداء : إن رجلاً أعتق مائة نسمة . قال : إنَّ مِائَةَ نَسَمَةٍ مِنْ مَالِ رَجُلٍ كَثِيرٌ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ إِيْمَانٌ مَلْزُومٌ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنْ لَا يَزَالَ لِسَانُ أَحَدِكُمْ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[2] .

وقال ابن مسعود : لأن أُسبِّح اللّه تعالى تسبيحات أحب إليَّ من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل .

وجلس عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، فقال عبد الله بن مسعود : لأن آخذ في طريق أقول فيه « سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر » أحب إليَّ من أن أنفق عددهن دنانير فى سبيل الله عز وجل، فقال عبد الله بن عمرو : لأن آخذ في طريق، فأقولهن أحبُّ إليَّ من أن أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله عز وجل .

وقد تقدَّم حديث أبي الدرداء قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُم وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِن إِنْفَاقِ الورق وَالذَّهَبِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مَنْ أَن تَلقَوْا عَدُوَّكُم فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ » ؟ قَالوا : بلى يا رسول اللّه .

---

(١) تقدم تخريجه (٩١) رقم (١) .

(٢) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢/ ٣٩٥ ونسبه لابن أبي الدنيا وقال : هو موقوف بإسناد حسن : والفقرة الأخيرة منه ثبتت في المرفوع في حديث رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث عبد الله بن بسر بلفظ : « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » .

قال : «ذِكْرُ اللَّهِ »[1] رواه ابن ماجه والترمذي ، وقال الحاكم : صحيح الاسناد[2] .

الرابعة والأربعون : أن الذكر رأس الشكر ، فما شكر اللّهَ تعالى من لم يذكره .

وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم(*) ، أن موسى عليه السلام قال : ربِّ قد أنعمت عليَّ كثيراً ، فدلَّني على أن أشكرك كثيراً ، قال : اذكرني كثيراً ، فإذا ذكرتني كثيراً فقد شكرتني كثيراً ، وإذا نسيتني فقد كفرتني .

وقد ذكر البيهقي أيضاً في « شعب الإيمان » ، عن عبد الله بن سلام(**) قال : قال موسى عليه السلام : يا رَبِّ ! ما الشكر الذي ينبغي لك ؟ فأوحى اللّه تعالى إليه أن لا يزال لسانك رطباً من ذكري ، قال : يا ربِّ إني أكون على حال أُجِلُّك أن أذكرك فيها . قال : وما هي ؟ قال : أكون جنباً ، أو على الغائط ، أو إذا بلت . فقال : وإن كان . قال : يا

---

(١) في المطبوع : اذكروا الله .

(٢) تقدم تخريجه ص (٧٣) رقم (٢) من حديث معاذ رضي الله عنه .

(*) هو أبو أسامة زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب ، مدني من أكابر التابعين .
سمع عمر ، وجماعة من الصحابة ، وأباه .
روى عنه الثوري ، وأيوب السختياني ، ومالك ، وابن عيينة .
مات سنة ست وثلاثين ومائة .

(**) هو أبو يوسف عبد اللَّه بن سَلاَمْ بن الحارث من بني قينقاع الإسرائيلي ، من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، وكان حليفاً لبني عوف بن الخزرج ، وكان اسمه الحصين ، فسماه النبي ﷺ عبد اللَّه ، وهو أحد الأحبار ، وأحد من شهد له النبي ﷺ بالجنة .
روى عنه ابناه يوسف ، ومحمد ، وأنس بن مالك وغيرهم .
مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين .

ربِّ ، فما أقول ؟ قال : تقول : « سبحانك وبحمدك وجنبني الأذى ، وسبحانك وبحمدك فقني الأذى » .

قلت : قالت عائشة : كانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَذْكُرُ اللّهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ أَحْيَانِهِ[1] .

ولم تستثن حالة من حاله ، وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته . وأما في حال التخلِّي ، فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه ، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر ، وأنه لا يخل به عند قضاء الحاجة وبعدها[2] ، وكذلك شرع لأمته من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم : « بِسمِ اللّهِ ، اللّهُمَّ جَنِّبْنا الشَّيْطَانَ ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا »[3] . وأما الذكر عند نفس قضاء الحاجة ، وجماع الأهل ،

---

(١) مسلم رقم (٣٧٣) في الحيض : باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها ، وأبو داود رقم (١٨) في الطهارة : باب في الرجل يذكر الله على غير طهر ، والترمذي رقم (٣٣٨١) في الدعوات : باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٧٠ و١٥٣ ، وابن ماجه رقم (٣٠٢) في الطهارة : باب ذكر الله عز وجل على الخلاء والخاتم في الخلاء .

(٢) انظر الأذكار المأثورة عند دخول الخلاء والخروج منه ص ٣١١ .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ١/ ٢١٧ و٢٢٠ و٢٤٣ و٢٨٣ و٢٨٦ ، ورواه البخاري ٦/ ٢٤٠ في بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، وفي الوضوء باب التسمية على كل حال وعند الوقاع ، وفي النكاح ، باب ما يقول إذا أتى أهله ، وفي التوحيد ، باب السؤال بأسماء الله تعالى ، ومسلم رقم (١٤٣٤) في النكاح : باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع : وأبو داود رقم (٢١٦١) في النكاح : باب في جامع النكاح ، والترمذي رقم (١٦٩٢) في النكاح : باب ما يقول إذا دخل على أهله ، وابن ماجه رقم (١٩١٩) في النكاح : باب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله ، وابن السني في «عمل اليوم والليلة » رقم (٦١٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . انظر أذكار النكاح والدخول بالأهل ص ٢٩٠ .

فلا ريب أنه لا يكره بالقلب ، لأنه لا بد لقلبه من ذكر ، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه ، فلو كلِّف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال ، كما قال القائل :

يُـرَادُ مِنَ القَلْبِ نِسيانُكُم ... وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة ، فليس مما شَرَعَ لنا ، ولا ندبنا إليه رسولُ اللّه ﷺ ، ولا نُقِل عن أحد من الصحابة رضي اللّه عنهم .

وقال عبد اللّه بن أُبي الهذيل[1] : إنَّ اللّه تعالى لَيُحِبُّ أَن يُذكَرَ في السُّوقِ ، ويحبُّ أن يذكرَ على كُلِّ حالٍ ، إلَّا على الخَلاَءِ .

ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء ، والمراقبة ، والنعمة عليه في هذه الحالة ، وهي من أجلِّ الذكر ، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها . واللائق بهذه الحال ، التَّقَنُّع بثوب الحيـاء من اللّه تعالى ، وإجلاله ، وذكر نعمته عليه ، وإحسانه إليه في إخراج هذا القذر المؤذي له الذي لو بقي فيه لقتله . فالنعمة في تيسير خروجه ، كالنعمة في التغذي به .

وكان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء ، مسح بطنه وقال : يا لَهَا نِعْمَةٌ لو يعلمُ النَّاسُ قدرها .

وكان بعض السلف يقول : الحمد للّه الذي أذاقني لَذَّتَه ، وأبقى

(١) هو عبد الله بن أبي الهذيل العنزي أبو المغيرة الكوفي ، روي عن أبي بكر وعمر وعلي وعمار بن ياسر وابن مسعود وغيرهم . وروى عنه إسماعيل بن رجاء وواصل الأحدب والأجلح بن عبد الله الكندي وغيرهم .

فيَّ منفعته ، وأذهب عني مضرَّتهُ(١) .

وكذلك ذِكْره حال الجماع ذكر هذه النعمة التي منَّ بها عليه ، وهي أجلُّ نعم الدنيا . فإذا ذكر نعمة اللّه تعالى عليه بها ، هاج من قلبه هائج الشكر ، فالذكر رأس الشكر .

وقال النبيُّ ﷺ لمعاذ : « واللَّهِ يَا مَعَاذُ إِنِّي لأُحِبُّك ، فَلاَ تَنْسَ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ »(٢) .

فجمع بين الذِّكْر والشُّكْر ، كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى : ﴿ **فاذْكُرُوني أَذْكُرْكُم ، واشْكُرُوا لي وَلاَ تَكْفُرُون** ﴾ [البقرة : ١٥٢] فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح .

الخامسة والأربعون : أن أكرم الخلق على اللّه تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رَطْباً بذكره ، فإنه اتقاه في أمره ونهيه ، وجعل ذكره شعاره .

فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار ، وهذا هو الثواب والأجر .

---

(١) وورد بنحوه مرفوعاً ، رواه ابن السني رقم (٢٥) من حديث ابن عمر ، وفي سنده ضعف وانقطاع ، وله شواهد بمعناه ذكرها ابن علان في « الفتوحات الربانية » ١/ ٤٠٥ فانظرها هناك .

(٢) رواه ابو داود رقم (١٥٢٢) في الصلاة : باب الاستغفار ، والنسائي ٣/ ٥٣ في السهو ، باب نوع آخر من الدعاء ، وإسناده صحيح ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/ ٢٤٥ و٢٤٧ والطبراني في الدعاء ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٤٥) « موارد » في الأذكار : باب الدعاء بعد الصلاة .

والذِّكر يوجب له القرب من اللَّه عز وجل والزلفىٰ لديه ، وهذه هي المنزلة .

وعمال الآخرة على قسمين : منهم من يعمل على الأجر والثواب ، ومنهم من يعمل على المنزلة والدرجة ، فهو ينافس غيره في الوسيلة والمنزلة عند اللَّه تعالى ، ويسابق إلى القرب منه ، وقد ذكر اللَّه تعالى النوعين في سورة الحديد في قول اللَّه تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وأَقْرَضُوا اللَّه قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ** ﴾ [الحديد : ١٨] ، فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب ، ثم قال : ﴿ **والَّذِينَ آمَنُوا باللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُون** ﴾ [الحديد : ١٩] فهؤلاء أصحاب المنزلة والقرب ثم قال : ﴿ **والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ** ﴾ [الحديد : ١٩] فقيل : هذا عطف على الخبر من ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا باللَّهِ ورُسُلِهِ** ﴾ ، أخبر عنهم بأنهم هم الصديقون ، وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الأمم ، ثم أخبر عنهم بخبر آخر : أن لهم أجراً ، وهو قوله تعالى : ﴿ **لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ** ﴾ ، فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور :

أنهم صِدِّيقون ، وشهداءُ . فهذه هي المرتبة والمنزلة . قيل : تمَّ الكلام عند قوله تعالى : ﴿ **الصِّدِّيقُونَ** ﴾ ثم ذكر بعد ذلك حال الشهداء فقال : ﴿ **والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِم لَهُمْ أَجْرُهُمْ ونُورُهُم** ﴾ ، فيكون قد ذكر المتصدقين أهلَ البر والإحسان ، ثم المؤمنين الذين قد رسخ الإيمان في قلوبهم وامتلؤوا منه ، فهم الصِّدِّيقون ، وهم أهل العلم والعمل ، والأوَّلُون أهل البرِّ والإحسان ، ولكن هؤلاء أكمل صِدِّيقيَّةً منهم .

ثم ذكر سبحانه الشهداء ، وأنه تعالى يُجري عليهم رزقهم ونورهم ، لأنهم لما بذلوا أنفسهم للّه تعالى أثابهم اللّه تعالى عليها ، أن جعلهم أحياءً عنده يرزقون ، فيجري عليهم رزقهم ونورهم ، فهؤلاء السعداء .

ثم ذكر الأشقياء فقال : ﴿ **والَّذِين كَفرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنا أُولئك أَصْحَابُ الجَحِيم** ﴾ [المائدة : ١٠ و ٨٦] .

والمقصود : أنه سبحانه وتعالى ذكر أصحاب الأجور والمراتب، وهذان الأمران هما اللذان وعدهما فرعون السحرة إن غَلَبُوا موسى عليه الصلاة والسلام فقالوا : ﴿ **أئِنَّ لَنَا لأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ المُقَرَّبينَ** ﴾ [الشعراء : ٤١ ، ٤٢] أي : أجمع لكم بين الأجر ، والمنزلة عندي والقرب مني .

فالعمال عملوا على الأجور ، والعارفون عملوا على المراتب والمنزلة والزلفىٰ عند اللَّه ، وأعمال هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك ، وأعمال أولئك البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء .

وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه اللَّه تعالى قال : قال موسى عليه السلام : يَا رَبِّ، أَيُّ خَلْقِكَ أَكْرَمُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : الَّذِي لاَ يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْباً بِذِكْري . قَالَ : يا رَبِّ ! فَأَيُّ خَلْقِكَ أَعْلَمُ ؟ قَالَ : الَّذِي يَلْتَمِسُ إِلىٰ عِلْمِهِ عِلْمَ غَيْرِهِ . قَالَ : يا رَبِّ ! أَيُّ خَلْقِكَ أَعْدَلُ ؟ قَالَ : الَّذِي يَقْضِي عَلَىٰ نَفْسِهِ مِثْلَمَا يَقْضِي عَلَىٰ النَّاسِ . قَالَ : يا رَبِّ ! أَيُّ خَلْقِكَ أَعْظَمُ ذَنْباً ؟ قَالَ : الَّذِي يَتَّهِمُنِي . قَالَ : يا رَبِّ ، وَهَلْ يَتَّهِمُكَ أَحَدُ ؟ قَالَ : الَّذِي يَسْتَخِيرَنِي وَلاَ يَرْضَىٰ بِقَضَائِي .

وذُكر أيضاً عن ابن عباس قال : لما وفد موسىٰ عليه السلام إلى طور سيناء قال : يَا رَبِّ ! أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الَّذِي يَذْكُرنِي وَلاَ يَنْسَانِي .

وقال كعب : قال موسى عليه السلام : يَا رَبِّ ! أَقَرِيبٌ أَنْتَ فَأُنَاجِيكَ ، أَمْ بَعِيدٌ فَأُنَادِيكَ ؟ فقال تعالى : يَا موسىٰ ، أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي . قالَ : إِنِّي أَكُونُ عَلَىٰ حَالٍ أُجِلُّكَ عَنْهَا . قالَ : مَا هِيَ يَا مُوسَىٰ ؟ قالَ : عِنْدَ الغَائِطِ وَالجَنَابَةِ . قال : اذْكُرْنِي عَلَىٰ كُلِّ حالٍ[١] .

وقال عبيد بن عمير : تسبيحة بحمد اللّه في صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تجري معه ذهباً[٢] .

وقال الحسن[*] : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ، أين الذين كانت : ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَـاجِعِ يَـدْعُوْنَ رَبَّهُمْ خَـوْفاً وَطَمَعَـاً ومِمَّا رَزَقْنَـاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾

---

(١) رواه أحمد في الزهد قال : حدثنا وكيع حدثنا سفيان حدثنا عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب ، قد سبق نحوه مما رواه البيهقي في « شعب الإيمان » من حديث عبد الله بن سلام موقوفاً ص ١٣٥ .

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد قال : أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير فذكره .

(*) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن ، واسم أبي الحسن يسار البصري من سبي ميسان ، مولى زيد بن ثابت ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة ، وقدم البصرة بعد مقتل عثمان ، ورأى عثمان ، وقيل: إنه لقي علياً بالمدينة ، وأما بالبصرة فإن رؤيته إياه لم تصح ، لأنه كان في وادي القرىٰ متوجهاً نحو البصرة حين قدم علي بن أبي طالب البصرة ، ويقال: لقي طلحة وعائشة ، ولم يصح له منهما سماع ، وروى عن غيرهما من الصحابة مثل أبي بكرة الثقفي ، وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب روى عنه خلق كثير من التابعين وتابعيهم ، وهو إمام وقته في كل فن علم وزهد وورع وعبادة .

مات في رجب سنة عشر ومائة .

[السجدة : ٣٢] ، قال : فيقومون فيتَخَطَّوْنَ رِقَابَ ٱلنَّاسِ . قالَ : ثم ينادي منادٍ : سيعلم أهل الجمع من أولىٰ بالكرم ، أين الذين كانت : ﴿ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ قال : فيقومون ، فيتخطَّوْن رقاب الناس ، قال : ثم ينادي منادٍ : وسيعلم أهل الجمع من أولىٰ بالكرم ، أين الحمَّادُونَ للَّهِ على كل حال ؟ قال : فيقومون وهم كثير ، ثم تكون التبعة والحساب فيمن بقي[1] .

وأتى رجلٌ أبا مسلم الخولاني(*) فقال له : أوصني يا أبا مسلم ، قال : اذْكُرِ اللَّه تعالى تحت كل شجرة ومَدَرَةٍ ، فقال : زدني ، فقال : اذكر اللَّه تعالى حتى يحسبك الناس من ذِكْر اللَّه تعالى مَجْنُوناً ، قال : وكان أبو مسلم يكثر ذكر اللَّه تعالى ، فرآه رجل وهو يذكر اللَّه تعالى ، فقال : أمجنون صاحبكم هذا ؟ فسمعه أبو مسلم فقال : ليس هذا بالجنون يا ابن أخي ، ولكن هذا دواء الجنون .

السادسة والأربعون : أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر اللَّه تعالى ، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر اللَّه تعالى .

وذكر حماد بن زيد ، عن المعلىٰ بن زياد ، أن رجلاً قال للحسن : يا أبا سعيد ، أشكو إليك قسوة قلبي ، قال : أَذِبْهُ بالذِّكْر . وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة ، اشتدت به القسوة ، فإذا ذكر اللَّه تعالى

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان» .

(*) هو عبد الله بن ثُوَب الخولاني تابعي فقيه عابد زاهد ، نعته الذهبي بـ : ريحانة الشام ، أصله من اليمن ، أدرك الجاهلية ، وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره ، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم رحل إلى الشام ، توفي سنة ٦٢هـ ويقال : إن قبره في داريا من دمشق .

ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار ، فما أُذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر اللّه عز وجل .

السابعة والأربعون : أن الذكر شفاءُ القلب ودواؤه ، والغفلة مرضه ، فالقلوب مريضة ، وشفاؤها ودواؤها في ذكر اللّه تعالى .

قال مكحول(*) : ذكر اللّه تعالى شفاء ، وذكر الناس داءٌ .

وذكر البيهقي عن مكحول مرفوعاً ومرسلاً . فإذا ذكرته شفاها وعافاها ، فإذا غفلت عنه انتكست ، كما قيل :

إذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمُ   فَنَتْرُكُ الذِّكْرِ أَحْيَانَاً فَنَنْتَكِسُ

الثامنة والأربعون : أن الذكر أصل موالاة اللّه عز وجل ورأسها ، والغفلة أصل معاداته ورأسها ، فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه ، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه .

قال الأوزاعي(**) : قال حسان بن عطية : ما عادى عبد ربه بشيء

(*) هو أبو عبد اللّه ، مكحول بن عبد اللّه الشامي من سبي كابل. قال ابن عائشة : كان مولى لإمرأة من قيس ، وكان سندياً لا يفصح . قال الواقدي : كان مولى لامرأة من هذيل ، وقيل : هو مولى سعيد بن العاص ، وقيل : مولى لبني ليث . وكان معلم الأوزاعي سعيد بن عبد العزيز .

قال الزهري : العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام . ولم يكن في زمان مكحول أبصر بالفتيا منه ، وكان لا يفتي حتى يقول : لا حول ولا قوة إلا باللّه، هذا رأي والرأي يخطيء ويصيب .

سمع أنس بن مالك وواثلة بن الأسقع ، وأبا هند الداري وغيرهم. روى عنه الزهري وحميد الطويل والأوزاعي ويحيىٰ بن يحيىٰ الغساني وابن جريج وربيعة الرأي وعطاء الخراساني .

مات سنة ثمان عشر ومائة ، وقيل : ثلاث عشر ، وقيل : ست عشرة .

(**) هو أبو عمرو ، عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي ، وليس أوزاعياً ، إنما نزل =

أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره .

فهذه المعاداة سببها الغفلة ، ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر اللّه ويكره من يذكره ، فحينئذ يتخذه عدواً كما اتخذ الذَّاكِر وَليّاً .

التاسعة والأربعون : أنه ما استجلبت نعم اللّه عز وجل واستدفعت نقمه بمثل ذكر اللّه تعالى ، فالذكر جلَّاب للنعم ، دافع للنقم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يدافع عَن الَّذينَ آمَنُوا﴾[1] وفي القراءة الأخرى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ ﴾ [الحج : ٣٨] فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله ، ومادَّة الإيمان وقوته بذكر اللّه تعالى ، فمن كان أكمل إيماناً ، وأكثر ذكراً ، كان دفع اللّه تعالى عنه ودفاعه أعظم ، ومن نقص نقص ذكراً بذكر ، ونسياناً بنسيان ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُم لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

والذكر رأس الشكر ، كما تقدم ، والشكر جلاب النعم ، وموجب للمزيد .

= فيهم . والأوزاع بطن من حمير ، وقيل : هي قرية بدمشق إذا خرجت من باب الفراديس ، وهو شيباني ، إمام أهل الشام .

ولد سنة ثمان وثمانين ، ويقال : سنة ثلاث وتسعين ، ومات سنة سبع وخمسين ومائة ، لم يكن بالشام أعلم بالسنة منه : قيل : إنه أجاب في سبعين ألف مسألة .

سمع الزهري وعطاء ويحيى ابن أبي كثير . روى عنه الثوري ويحيى بن أبي كثير ، وأخذ العلم عنه عبد اللّه بن المبارك والوليد بن مسلم وعقبة بن علقمة وغيرهم .

(١) قرأ المكي والمدني « يدفع » بفتح الياء والفاء وإسكان الدال بينهما من غير ألف ، والباقون بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها وكسر الفاء اهـ غيث النفع **٢٢٦** .

قال بعض السلف رحمة اللَّه عليهم : ما أقبح الغفلة عن ذكر مَنْ لَا يَغْفُلُ عن ذكرك .

الخمسون : أن الذكر يوجب صلاة اللَّه عز وجل وملائكته على الذاكر ، ومن صلَّىٰ اللَّه تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح ، وفاز كل الفوز ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُروا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً** ﴾ [الأحزاب : ٤١ ـ ٤٣] .

فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته ، إنما هي على الذاكرين له كثيراً ، وهذه الصلاة منه ومن الملائكة هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور ، وإذا حصلت لهم الصلاة من اللَّه تبارك وتعالىٰ وملائكته ، وأخرجوهم من الظلمات إلى النور ، فأيُّ خيرٍ لم يحصل لهم بذلك ، وأيُّ شرٍّ لم يندفع عنهم ؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حُرِمُوا من خيره وفضله ، وباللّه التوفيق .

الحادية والخمسون : أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا ، فليستوطن مجالس الذكر ، فإنها رياض الجنة .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا(*) وغيره من حديث جابر بن عبد اللَّه قال :

(*) هو الإمام أبو بكر عبد اللَّه بن محمد بن سفيان ابن أبي الدنيا القرشي الأموي ، مولاهم ، البغدادي . الحافظ ، صدوق ، صاحب التصانيف ، أدب الخليفة المعتضد العباسي في حداثته ثم أدب ابنه المكتفي ، وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طباع الناس ، إن شاء أضحك جليسه ، وإن شاء أبكاه . مولده سنة ٢٠٨ وفاته سنة ٢٨١هـ ببغداد رحمه اللَّه تعالى .

خرجَ علينا رسولُ اللَّه ﷺ فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الجَنَّةِ » ، قلنا : يا رسول اللَّه ! وما رياض الجَنَّةِ ؟ قال : « مَجَالِسُ الذِّكْرِ » ، ثم قال : « اغْدُوا ورُوحُوا وَاذْكُرُوا ، فَمَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَىٰ ؛ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ تَعَالَىٰ عِنْدَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يُنْزِلُ العَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ »(١) .

الثانية والخمسون : أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر اللَّه تعالى فيه ، كما أخرجا في « الصحيحين » من حديث الأعمش(*) ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً فُضُلاً(٢) عَن كِتَابِ النَّاسِ(٣) يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً

---

(١) ورواه أيضاً الحاكم ١/ ٤٩٤ وصححه ، وتعقبه الذهبي فقال : وعمر - يعني ابن عبد الله مولى غفرة ، ضعيف . ولأوله شواهد ذكرها ابن علان في « الفتوحات الربانية » ١/ ٩١ - ٩٣ فانظرها ثمَّ .

(*) هو أبو محمد ، سليمان بن مهران الأعمش ، الكاهلي الأسدي ، مولى بني كاهل بطن من بني أسد خزيمة ولد سنة ستين بأرض الري ، فجيء به حميلاً إلى الكوفة ، فاشتراه رجل من بني كاهل فأعتقه .

زأى أنس بن مالك ، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى مرسلاً ، وسمع خلقاً من التابعين .

وهو أحد الأعلام المشهورين بعلم الحديث والقراءة ، وعليه مدار أكثر الكوفيين .

قال صدقة بن عبد الرحمن : ما أعلم أحداً أعلم بحديث ابن مسعود من الأعمش .

روى عنه الثوري وشعبة وأبو إسحاق الهمداني ، وخلق كثير .

مات سنة ثمان وأربعين ومائة .

(٢) وقد ضبطت هذه الكلمة على أوجه ، أرجحها وأشهرها بضم الفاء والضاد ، قال العلماء : معناه : انهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق ، لا وظيفة لهم إلا حلق الذكر .

(٣) لفظه عند البخاري : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق » ، ولفظه عند مسلم : « إن =

يَذْكرونَ اللَّهَ تَعالَىٰ تَنادَوْا : هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ ، قال : فَيَحُفُّونَهُم بِأَجْنِحَتِهِم إِلَىٰ السَّماءِ الدُّنْيا ، قالَ : فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ تَعالَىٰ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِم - : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَك ، وَيُمَجِّدونَكَ . قالَ : فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَحْمِيداً وَتَمْجِيداً ، وَأَكْثَرَ لكَ تَسْبِيحاً . قالَ فَيَقُولَ : مَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ : يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ . قَالَ : فَيَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْها ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ ، مَا رَأَوْها . قَالَ : فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْها ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْها كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً ، وَأَشَدَّ لها طَلَباً ، وَأَعْظَمَ فِيها رَغْبَةً . قَالَ : فَيَقُولُ : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ : مِنَ النَّارِ . قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْها ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ ، مَا رَأَوْها . قَالَ : يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْها ، قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْها كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً . قَالَ : يَقُولُ : فَأُشْهِدُكُمْ أَنِي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ . قَالَ : فَيَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ : فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّما جَاءَ لِحاجَةٍ . قَالَ : هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ »(١) .

= لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً يتبعون مجالس الذكر » ، وجملة « عن كتاب الناس » ليست في البخاري ولا مسلم ، وإنما هي عند ابن أبي الدنيا والطبراني في رواية جرير ، قال الحافظ في « الفتح » : ومثله لابن حبان من رواية فضيل بن عياض وزاد « سياحين في الأرض » وكذا هو في رواية أبي معاوية عند الترمذي والاسماعيلي .

(١) رواه البخاري ١١/١٧٧ - ١٧٩ في الدعوات : باب فضل ذكر الله عز وجل ، ومسلم رقم (٢٦٨٩) في الذكر والدعاء : باب فضل مجالس الذكر ، دون جملة « عن كتاب =

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم ، فلهم نصيب من قوله : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَما كُنْتُ ﴾ [مريم : ٣١] فهكذا المؤمن مبارك أين حل ، والفاجر مشؤوم أين حل .

فمجالس الذكر: مجالس الملائكة ، ومجالس الغفلة: مجالس الشياطين ، وكلٌّ مضاف إلى شكله وأشباهه ، وكلُّ امرىء يصير إلى ما يناسبه .

الثالثة والخمسون : أنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ يباهي بالذاكرين ملائكته ، كما روى مسلم في « صحيحه » عن أبي سعيد الخدري قال : خَرَجَ معاويَةُ(*) على حَلْقَةٍ في المسجد ، فقال : ما أَجْلَسَكُمْ ؟ قالوا : جلسْنَا

= الناس » ، والترمذي رقم (٣٥٩٥) في الدعوات : باب رقم ١٤٠ ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٢٥٢ و٣٥٩ و٣٨٢ .

(*) هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان ، واسم أبي سفيان : صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كان هو وأبوه من مسلمة الفتح ، ثم من المؤلفة قلوبهم ، وهو أحد الذين كتبوا لرسول اللَّه ﷺ ، وقيل : لم يكتب له من الوحي شيئاً إنما يكتب له كتبه .

روى عنه ابن عباس ، وأبو سعيد الخدري ، تولى الشام بعد أخيه يزيد في زمن عمر ابن الخطاب، ولم يزل بها متولياً حاكماً إلى أن مات ، وذلك أربعون سنة . منها في أيام عمر أربع سنين أو نحوها ، ومدة خلافة عثمان ، وخلافة علي وابنه الحسن ، وذلك تمام عشرين سنة ، ثم استوثق له الأمر بتسليم الحسن بن علي إليه في سنة إحدى وأربعين ، ودام له عشرين سنة ، أو نحوها ، ومات سنة ستين في رجب بدمشق ، وله ثمان وسبعون سنة ، وقيل : ست وثمانون سنة ، وكانت أصابته لقوة في آخر عمره ، وكان يقول في آخر عمره : ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى ، ولم آلِ من هذا الأمر شيئاً ، وكان عنده إزار رسول اللَّه ﷺ ورداءه وقميصه ، وشيء من شعره ، وأظفاره ، فقال : كفنوني في قميصه ، وأدرجوني في ردائه ، وآزوروني بإزاره ، واحشوا منخري وشدقي ومواضع السجود مني بشعره وأظفاره ، وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين، وهو أول من عهد إلى ولده بالولاية بعده .

نَذْكُرُ اللَّهَ تعالىٰ . قال : اللَّهِ ما أَجلَسَكُمْ إِلَّا ذاك ؟ قالوا : وَاللَّهِ ما أجلسنا إِلَّا ذَاكَ . قال : أما إِني لم أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لكم ، وما كان أَحَدُ بمنزلتي من رسول اللَّه ﷺ أقل عنه حديثاً مني ، وإِنَّ رسولَ اللَّه ﷺ خَرَجَ على حَلْقَةٍ من أصحابه ، فقال : « مَا أَجْلَسَكُمْ » ؟ قالوا : جلسنا نَذْكُرُ اللَّه تعالى ونحْمَدُهُ على ما هَدَانا للإِسلام ومَنَّ به علينا . قال: « آللَّهِ ما أَجْلَسُكُمْ إِلَّا ذَاكَ » قالوا : واللَّه ما أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ . قال : « أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفُكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَلٰكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي : أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعالىٰ يُباهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ »[1] .

فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليلٌ على شرف الذكر عنده ، ومحبته له ، وأن له مزية على غيره من الأعمال .

الرابعة والخمسون : أن مُدْمِنَ الذِّكْر يدخل الجنة وهو يضحك ، لما ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمٰن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ،عن عبدالرحمٰن بن جبير بن[2] نفير الحضرمي عن أبيه ، عن أبي الدرداء قال : « آلَّذِين لَا تَزَالُ أَلْسِنَتُهُمْ رَطْبَةً مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدْخُلُ أَحَدُهُمْ الجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ » .

الخامسة والخمسون : أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر اللَّه تعالى ، والمقصود بها تحصيل ذكر اللَّه تعـالى .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٠٧١) في الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، والترمذي رقم (٣٣٧٦) في الدعوات : باب القوم يجلسون فيذكرون الله ما لهم من الفضل ، والنسائي ٨/ ٢٤٩ في القضاة : باب كيف يستخلف الحاكم ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٩٢ .

(٢) في نسخة : عن

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤] قيل : المصدر مضاف إلى الفاعل ، أي : لأذكرك بها ، وقيل : مضاف إلى المذكور ، أي : لتذكروني بها . واللام في هذا لام التعليل . وقيل : هي اللام الوقتية ، أي : أقم الصلاة عند ذكري ، كقوله : ﴿ أَقِمِ ٱلْصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ [الإسراء : ٧٨] وقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] ، وهذا المعنى يراد بالآية ، لكن تفسيرها به يجعل معناها فيه نظر ، لأن هذه اللام الوقتية يليها أسماء الزمان والظروف ، والذِّكر مصدر إلا أن يقدر زمان محذوف ، أي : عند وقت ذكري ، وهذا محتمل .

والأظهر : أنها لام التعليل ، أي : أقم الصلاة لأجل ذِكري ، ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره ، وإذا ذكر العبد ربه ، فذِكْرُ اللَّه تعالى سابق على ذِكره، فإنه لما ذكره ألهمه ذكره، فالمعاني الثلاثة حق.

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ أُتْلُ مَا أُوحِيَ إليكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ولَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَـرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

فقيل : المعنى : إنكم في الصلاة تذكرون اللَّه ، وهو ذاكر من ذكره ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ تعالى إِيَّاكُم أكبرُ مـن ذكْركم إياه . وهذا يروى عن ابن عباس ، وسلمان ، وأبي الدرداء ، وابن مسعود ، رضي اللَّهعنهم(١) .

وذكر ابن أبي الدنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية : ﴿ ولَذِكْر اللَّه أكبر ﴾ قال : هو قوله تعالى : ﴿ فاذْكُرُوني أَذْكُرْكُمْ ﴾ ، فذِكر اللَّه

(١) انظرها في تفسير ابن جرير الطبري ٢٠/٩٩ .

تعالى لكم أكبر من ذكركم إيَّاه .

وقال ابن زيد وقتادة(*) : معناه : وذكر اللَّه أكبر من كل شيء .

وقيل لسلمان(**) : أي الأعمال أفضل ؟ فقال: أما تقرأ القرآن ﴿ ولَذِكْرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ﴾ . ويشهد لهذا حديث أبي الدرداء المتقدم : « أَلاَ

(*) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل السدوسي ، البصري ، الأعمى ، وقيل في نسبه غير ذلك ، يعد في الطبقة الثالثة من تابعي البصري . روى عن أنس بن مالك كثيراً ، وسمع أبا الطفيل ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري .

روى عنه هشام ، وشعبة ، وسعيد بن أبي عروبة ، ومعمر .

ولد سنة ستين ، ومات سنة سبع عشرة ومائة .

(**) هو أبو عبد اللَّه سلمان الفارسي ، ويقال له: سلمان الخير ، مولى رسول اللَّه ﷺ ، وكان يقول : أنا سلمان بن الإسلام ، وكان أصله من فارس من رامهرمز ، ويقال بل كان أصله من أصبهان من قرية يقال لها جي ، سافر بطلب الدين ، فدان أولاً بدين النصرانية وقرأ الكتب ، وصبر في ذلك على مشقاق نالته ، فأخذه قوم من العرب فباعوه من اليهود ، ثم إنه كوتب ، فأعانه رسول اللَّه ﷺ في كتابته ، وقيل إنه اشتراه بشرط العتق ، ويقال إنه تداوله بضعة عشر رجلاً حتى أوصي إلى النبي ﷺ ، وأسلم لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة ، ومنعه الرق عن بدر وأحد ، وأول مشاهده الخندق فما بعدها ، ولما حط رسول اللَّه ﷺ الخندق ، جعل لكل عشرة نفراً أربعين ذراعاً ، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان وكان رجلاً قوياً ، فقال المهاجرون: سلمان منا ، وقال الأنصار : سلمان منا ، فقال النبي ﷺ: سلمان منا أهل البيت وهو أحد الذين اشتاقت إليهم الجنة ، ولاه عمر بن الخطاب المدائن ، وكان من المعمرين ، قيل: عاش مائتين وخمسين سنة ، وقيل : ثلاثمائة وخمسين والأول أصح ، وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه ، ومناقبه كثيرة وفضائله جمة وغزيرة ، أثنى عليه رسول اللَّه ﷺ ، ومدحه في كثير من الحديث ، ومات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وقيل سنة اثنين وثلاثين ، وقيل: مات في زمن عمر .

روى عنه أبو هريرة وأنس بن مالك وغيرهما .

أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِن إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوِرقِ . . . » الحديث[1] .

وكان شيخ الإسلام أبو العباس قدس اللّٰه روحه يقول : الصحيح : أن معنى الآية : أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان ، وأحدهما أعظم من الآخر ، فإنها تنهي عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذِكر اللّٰه تعالى ، ولِمَا فيها من ذكر اللّٰه أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر .

وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن عباس أنه سئل : أي العمل أفضل ؟ قال : ذكر اللّٰه أكبر .

وفي «السنن» عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « إِنَّما جُعِلَ الطَّوافُ بالبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةِ وَرَمْيِ الجِمَارِ لإقامة ذِكرِ اللّٰهِ تَعَالَىٰ » رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح[2] .

السادسة والخمسون : أن أفضل أهل كلِّ عملٍ أكثرهُم فيه ذِكراً للّٰه عز وجل ، فأفضل الصُّوَّام ، أكثرهُم ذِكراً للّٰه عز وجل في صومهم ، وأفضل المتصدِّقين ، أكثرهُم ذِكراً للّٰه عز وجل، وأفضل الحجَّاج ، أكثرهُم ذِكراً للّٰه عز وجل . وهكذا سائر الأعمال .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا حديثاً مرسلاً في ذلك : أن النبيَّ ﷺ سئل : أيُّ أهل المسجد خير ؟ قال : « أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً للّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ » قيل : أيُّ أهل الجنازة خير ؟ قال : « أَكْثَرُهُمْ ذِكراً للّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ » . قيل : فأي

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٣٥ رقم (٢) .

(٢) رواه أبو داود رقم (١٨٨٨) في المناسك : باب في الرمل ، والترمذي رقم (٩٠٢) في الحج : باب كيف يرمي الجمار ، والدارمي رقم (١٨٦٠) ، وأحمد في « المسند » ٦ / ٦٤ و٧٥ و١٣٩ وإسناده ضعيف ، كما قال الألباني في « تخريج المشكاة » رقم (٢٦٢٤) .

المجاهدين خير؟ قال: «أَكْثَرُهُمْ ذِكراً للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». قيل: فأي الحُجَّاج خير؟ قال: «أَكْثَرُهُمْ ذِكراً للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» قيل: وأي العوّاد[1] خير؟ قال: «أَكْثَرُهُمْ ذِكراً للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». قال أبو بكر: ذهب الذَّاكرون بالخير كلِّه.

وقال عبيد بن عمير: إن أعْظَمَكم هذا الليلُ أن تكابدوه، وبَخِلْتُمْ بالمال أن تُنْفِقُوه، وَجَبُنْتُم عن العدوِّ أن تقاتلوه، فَأُكثِروا من ذِكْرِ اللَّه عز وجل.

السابعة والخمسون: أن إدامة الذكر تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها، سواء كانت بدنية، أو مالية، أو بدنية مالية، كحج التطوع.

وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة: ان فقراء المهاجرين أَتَوْا رسولَ اللّه ﷺ فقالوا: يا رسول اللّه، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ [مِنَ الأمْوَالِ] بالدَّرَجَاتِ العُلَىٰ، والنَّعِيمِ المُقيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلُ أَمْوَالِهِمْ، يَحُجُّونَ بها، وَيَعْتَمِرُونَ، ويُجَاهِدُونَ [وَيَتَصَدَّقُونَ]. فقال: «أَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا أَحَدٌ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْكُم إلَّا مَنْ صَنَعَ مَا صَنَعْتُمْ»؟ قالوا: بلىٰ يا رسول اللّه. قال: «تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُون، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ..» الحديث متفق عليه[2].

---

(1) في نسخة: عبّاد.

(2) رواه البخاري ٢/ ٢٧٠ و ٢٧١ في صفة الصلاة: باب الذكر بعد الصلاة، ومسلم رقم (٥٩٥) في المساجد: باب استحباب الذكر بعد الصلاة، و«الموطأ» ١/ ٢٩٠ في القرآن: باب ما جاء في ذكر اللَّه تبارك وتعالىٰ، وأبو داود رقم (١٥٠٤) في الصلاة: باب التسبيح بالحصى، وأحمد في «المسند» ٢/ ٢٣٨ والدارمي رقم (١٣٦٠) في الصلاة: باب =

فجعل الذِّكر عِوَضاً لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد ، وأخبر أنهم يَسْبقُونَهُم بهذا الذِّكر ، فلما سمع أهل الدُّثُور بذلك عملوا به ، فازدادوا - إلى صدقاتهم وعبادتهم بمالهم - التعبُّد بهذا الذِّكر ، فحازوا الفضيلتين ، فنافسهم الفقراء ، وأخبروا رسول اللَّه ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك ، فانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليهم ، فقال : « ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ »[1] .

وفي حديث عبد اللَّه بن بسر قال : جاء أعرابي فقال : يا رسول اللَّه ، كثرت عليَّ خلال الإسلام وشرائعه ، فأخبرني بأمر جامع يكفيني . قال : « عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ » قال : ويكفيني يا رسول اللَّه ؟ قال : « نَعَمْ ، وَيَفْضُلُ عَنْكَ »[2] .

فدله الناصح ﷺ على شيء يعينه على شرائع الإسلام والحرص عليها والاستكثار منها ، فإنه إذا اتخذ ذكر اللَّه تعالى شعاره أحبه وأحب ما يحب ، فلا شيء أحب إليه من التقرب بشرائع الإسلام ، فدله ﷺ على ما يتمكَّن به من شَرائع الإسلام ، وتسهل به عليه ، وهو ذكر اللّه عز وجل توضحه :

الثامنة والخمسون : أن ذكر اللَّه عز وجل من أكبر العون على طاعته ، فإنه يحبِّبها إلى العبد ، ويسهِّلها عليه ، ويلذِّذها له ، ويجعلها قرة عينه فيها ، ونعيمه وسروره بها ، بحيث لا يجد لها من الكلفة

= التسبيح في دبر كل صلاة . والزيادات من البخاري ، والدثور : واحدها دثر وهو المال الكثير .

(١) وهي عند مسلم في إحدى روايات الحديث الذي قبله .

(٢) رواه بمعناه الترمذي رقم (٣٣٧٢) في الدعوات ، باب فضل الذكر ، وابن ماجه رقم (٣٧٩٣) في الأدب ، واسناده صحيح ورواه الحاكم ١/ ٤٩٥ وصححه ووافقه الذهبي ، وقد تقدم ص ٧٦ .

والمشقة والثقل ما يجد الغافل ، والتجربة شاهدة بذلك ، توضحه :

التاسعة والخمسون : أن ذكر اللَّه عز وجل يُسَهِّلُ الصعب ، ويُيَسِّر العسير ، ويُخفِّفُ المَشَاقَّ ، فما ذُكِرَ اللَّهُ عز وجل على صعب إلا هان ، ولا على عَسيرٍ إلا تَيَسَّر ، ولا مَشقَّةٍ إلا خَفَّتْ ، ولا شِدَّةٍ إلَّا زَالت ، ولا كُرْبَةٍ إلا انفرجت ، فذكر اللَّه تعالى هو الفرج بعد الشدة ، واليسر بعد العسر ، والفرج بعد الغم والهم ، توضحه :

الستون : أن ذكر اللَّه عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلَّها ، وله تأثير عجيب في حصول الأمن ، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر اللَّه عز وجل ، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه ، حتى كأن المخاوف التي يجدها أماناً له ، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كلِّه مخاوف ، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا . واللَّه المستعان .

الحادية والستون : أن الذكر يعطي الذَّاكِرَ قوة ، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يطيق فعله بدونه ، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في مشيته ، وكلامه ، وإقدامه وكتابته ، أمراً عجيباً ، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر ، وقد شاهد العسكرُ من قوته في الحرب أمراً عظيماً .

وقد علَّم النبيُّ ﷺ ابنته فاطمة(*) وعلياً رضي اللَّه تعالى عنهما أن

(*) هي سيدة نساء العالمين ، ولدتها أمها خديجة وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين ، وقيل : ولدت سنة إحدى وأربعين من الفيل ، وهي أصغر بناته ﷺ في قول.
تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان ، وبنى =

يسبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجِعَهما ثلاثاً وثلاثين ، ويحمَدَا ثلاثاً وثلاثين ، ويكبِّرا أربعاً وثلاثين ، لمَّا سألَتْهُ الخَادِمَ ، وَشَكَتْ إليه ما تقاسيه من الطَّحْنِ والسَّعْي والخِدْمَةِ ، فعلَّمها ذلك وقال : « إنَّه خَيْرٌ لَكُمَا مِن خَادِمٍ »(1) .

فقيل : إن من داوم على ذلك وجد قوةً في بدنه مغنية عن خادم .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى يذكر أثراً في هذا الباب ويقول : إنَّ الملائكة لما أُمروا بحمل العرش قالوا : يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ؟ فقال : قولوا : لا حول ولا قوة

= عليها في ذي الحجة ، وقيل : تزوجها في رجب ، وقيل : في صفر ، وقيل : تزوجها بعد غزوة أُحد ، فولدت له الحسن والحسين والمحسن وزينب وأم كلثوم ورقية .

وماتت بالمدينة بعد موت النبي ﷺ بستة أشهر ، وقيل : بثلاث ، ولها ثمان وعشرون سنة ، وقيل : تسع وعشرون . وأهل البيت يقولون : ثمانِ عشر . وغسلها علي وصلى عليها ودفنت ليلاً .

روى عنها علي بن أبي طالب ، وابناها الحسن والحسين ، وابن عباس وابن مسعود ، وعائشة ، وأم سلمة ، وأسماء بن عميس .

(1) رواه البخاري ٧/ ٥٩ في فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب مناقب علي بن أبي طالب ، وفي الجهاد : باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺ والمساكين، وفي النفقات: باب عمل المرأة في بيت زوجها، وباب خادم المرأة، وفي الدعوات : باب التكبير والتسبيح عند المنام ، ومسلم رقم (٢٧٢٧) في الذكر والدعاء : باب التسبيح أول النهار وعند النوم ، والترمذي رقم (٣٤٠٥) في الدعوات : باب ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميد عند المنام ، وأبو داود رقم (٢٩٨٨) و (٢٩٨٩) في الخراج والامارة : باب بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى ، ورقم (٥٠٦٢) في الأدب : باب في التسبيح عند النوم ، وأحمد في « المسند » ١/ ٩٦ و١٠٧ و١٣٦ و١٤٦ ، والدارمي رقم (٢٦٨٨) في الاستئذان : باب في التسبيح عند النوم .

إلا باللَّه ، فلما قالوا ، حملوه ، حتى رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح قال : حدثنا مشيختنا أنه بلغهم : أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ـ حِينَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَآءِ ـ حَمَلَةَ العَرْشِ ، قَالُوا : رَبَّنَا لِمَ خَلَقْتَنَا ؟ قَالَ : خَلَقْتُكُمْ لِحَمْلِ عَرْشِي . قَالُوا : رَبَّنَا وَمَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ حَمْلِ عَرْشِكَ وَعَلَيْهِ عَظَمَتُكَ وَجَلاَلُكَ وَوَقَارُكَ ؟ قَالَ : لِذٰلِكَ خَلَقْتُكُمْ . فَأَعَادُوا عَلَيْهِ ذٰلِكَ مِراراً ، فَقَالَ لَهُمْ : قُولُوا : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ، فَحَمَلُوهُ[1] .

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة ، وتحمل المشاق والدخول على الملوك ، ومن يخاف ، وركوب الأهوال . ولها أيضاً تأثير عجيب في دفع الفقر، كما روى ابن أبي الدنيا عن الليث بن سعد(*) ، عن معاوية بن صالح ، عن أسد بن وَدَاعة رحمه اللَّه قال : قال

---

(١) وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي ص ٤٤٤ عن أبي صالح وهذا الأثر فيه جهالة وانقطاع .

(*) هو أبو الحارث ليث بن سعد بن عبد الرحمن ، فقيه أهل مصر ،يقال: إنه مولى خالد بن ثابت الفهمي ، وأهل بيته يقولون: إنه من الفرس ، من أهل أصفهان ، والمشهور أنه فهمي مولاهم .

ولد بقرية قَلْقَشَنْدَة في أسفل مصر ، سنة أربع وتسعين ، وقيل : سنة اثنتين ، وقيل: سنة ثلاث .

روى عن عطاء بن أبي رباح ، والزهري ، وابن أبي مليكة ، وسعيد المقبري ، وأبي الزبير المكي ، ونافع ، وغيرهم .

وحدث عنه هشيم ، وابن المبارك ، وعبد اللَّه بن وهب ، ويحيىٰ بن بكير ، وابن النضر ، وغيرهم .

قدم بغداد سنة إحدى وستين ومائة ، وعرض عليه المنصور ولاية مصر ، فأبى واستعفاه .

وقال يحيىٰ بن بكير : ما رأيت أحداً أكمل من الليث بن سعد . وقال ابن وهب . كل ما في كتب مالك أخبرني من أرضى من أهل العلم فهو ليث بن سعد ، وقال قتيبة =

رسول اللَّه ﷺ : « مَنْ قَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللَّهِ ، مِائَةَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، لَمْ يُصِبْه فَقْرٌ أَبَداً »(١) .

وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقي عدُواً ، أو ناهض حِصْناً قال : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّة إِلَّا باللَّهِ ، وإِنَّهُ نَاهَضَ يوماً حِصْنَاً للرُّوم ، فانهزم ، فقالها المسلمون وكَبَّروا ، فانْهَدَمَ الحِصْن .

الثانية والستون : أن عُمَّالَ الآخرة كلُّهم في مضمار السباق ، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار ، ولكن القَتَرة والغبار يمنع من رؤ ية سبقهم ، فإذا انجلى الغبار وانكشف ، رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق .

قال الوليد بن مسلم : حدثنا محمد بن عجلان : سمعت عمر مولى غفرة(٢) يقول : اذا انْكَشَفَ الغِطَاءُ للنَّاس يوم القِيَامَةِ عن ثَوابِ أعمالهم ، لم يَرَوْا عَمَلاً أفضلَ ثَوَاباً من الذِّكر ، فَيَتَحسَّرَ عند ذلك أقوام فيقولون : ما كان شيء أيْسَرَ علينا من الذِّكر .

وقال أبو هريرة : قال رسول اللَّه ﷺ : « سِيرُوا ، سَبَقَ المُفَرِّدُونَ » قالوا : وما المُفَرِّدُونَ قال : « الَّذين أُهْتِرُوْا(٣) في ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى يَضَعُ

= ابن سعيد : كان ابن سعد يستغل في كل سنة عشرين ألف دينار وما وجبت عليه زكاة . ومات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة .

قلت : وقد افرد الحافظ ابن حجر العسقلاني ترجمته في كتاب سماه : « الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية » ، وهي مطبوعة ضمن « الرسائل المنيرية » ٢/ ٢٣٥ - ٢٦٥

(١) وإسناده منقطع .

(٢) هو عمر بن عبد الله المدني أبو حفص مولى غفرة ، وهو ضعيف كما قال الحافظ في « التقريب » .

(٣) في « مسند أحمد » و « مستدرك الحاكم » : يهترون في ذكر الله .

الذِكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ »[1] . أُهْتِروا بالشيء وفيه : أُولعوا به ولزموه وجعلوه دأبهم . في بعض ألفاظ الحديث : « المُسْتَهْتَرُون بِذِكْرِ اللَّهِ »[2] . ومعناه : الذين أُولعوا به ، يقال : استُهتِرَ فلان بكذا : إذا أولِعَ به .

وفيه تفسير آخر : أن « أُهْتِرُوا في ذكر اللَّه » أي : كبروا وَهَلَكَ أقرانُهم وهم في ذكر اللَّه تعالى . يقال : أُهْتِرَ الرجل ، فهو مُهْتَر : إذا سقط في كلامه منْ الكبر ، والهتر : السقط من الكلام ، كأنه بقي في ذكر اللَّه تعالى حتى خرف وأنكر عقله ، والهتر : الباطل أيضاً ، ورجل مُسْتَهْتَر : إذا كان كثير الأباطيل . وفي حديث ابن عمر : أعوذ باللَّه أنْ أكون من المستهترينَ .

وحقيقة اللفظ : أن الاستهتار : الإكثار من الشيء ، والولوع به ، حقاً كان أو باطلاً ، وغلب في عرف الناس استعماله على المبطل ، حتى إذا قيل : فلان مستهتر ، لا يفهم منه إلا الباطل ، وإنما إذا قيد بشيء تقيد به ، نحو: هو مستَهتَر، وقد آهْتِرَ في ذكر اللَّه تعالى، أي : أُولعَ به وأُغْرِيَ به .

ويقال : استُهْتِرَ فيه وبه . وتفسير هذا في الأثر الآخر : « أَكْثِروا ذِكْرَ اللَّه تعالى حتى يقال : مَجْنُونٌ »[3] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٣٢٣ ، والترمذي رقم (٣٥٩٠) في الدعوات : باب رقم ١٣٩ ، والحاكم ١/ ٤٩٥ وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه مسلم رقم (٢٦٧٦) ، في الذكر : باب الحث على ذكر الله بلفظ : « سبق المفردون » ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » ، وقد تقدم ص (٧٤) رقم (١) .

(٢) وهي رواية الترمذي .

(٣) تقدم تخريجه ص (٨٣) رقم (٢) .

الثالثة والستون : أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده ، فإنه أخبر عن اللَّه تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله ، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربه ، ومن صدَّقه اللَّه تعالى ، لم يحشر مع الكاذبين ، ورُجي له أن يحشر مع الصادقين .

روى أبو إسحاق عن الأغرّ أبي مسلم ، أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنهما أنهما شهدا على رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « إِذَا قَالَ العَبْدُ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : صَدَقَ عَبْدِي . لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا وَأَنا أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ [وَحْدَهُ] لَا شَرِيكَ لَهُ ، قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا ، لَا شَرِيكَ لِي ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا ، لِي المُلْكُ وَلِي الحَمْدُ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي » قال أبو إسحاق : ثم قال الأغرُّ(١) شيئاً لم أفهمه ، قلت لأبي جعفر : ما قال ؟ قال : « مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْته لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ »(٢) .

---

(١) في النسخ المطبوعة : ثم قال الآخر ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الحديث .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٣٧٩٤) في الأدب ، باب فضل لا اله الا الله ، وابن حبان رقم (٢٣٢٥) « موارد » في الأذكار : باب فضل التسبيح والتهليل والتحميد ، وإسناده صحيح ورواه أيضاً الترمذي رقم (٣٤٢٦) في الدعوات : باب ما يقول العبد إذا مرض ، وقال : هذا حديث حسن . ورواه الحاكم وأبو يعلى ، والبيهقي في « الشعب » والضياء ، وعبد بن حميد ، والنسائي .

وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٢٦) .

الرابعة والستون : أن دُورَ الجَنَّةِ تُبنى بالذكر ، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر ، أمسكت الملائكة عن البناء . فإذا أخذ في الذكر أخذوا في البناء .

وذكر ابن أبي الدنيا في كتابه ، عن حكيم بن محمد الأخنسي قال : بلغني أن دور الجنة تبنى بالذكر ، فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء ، فيقال لهم ، فيقولون : حتى تأتينا نفقة .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ - سَبْعَ مَرَّاتٍ ، بُنِيَ لَهُ بُرْجٌ فِي الجَنَّةِ »[1] .

وكما أن بناءها بالذكر ، فغراس بساتينها بالذكر كما تقدم في حديث النبي ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام : « أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ المَاءِ ، وأنَّها قِيعَانٌ ، وأَنَّ غِراسَهَا : سُبْحَانَ اللَّهِ ، والحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ »[2] . فالذكر غراسها وبناؤها .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « أَكْثِرُوا مِنْ غِراسِ الجَنَّةِ » ، قالوا : يا رسول الله ! وَمَا غِراسُها ؟ قال : « مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ »[3] .

---

(١) لم أجده ويغني عنه الحديث الذي رواه الترمذي رقم (٣٤٦٠) من حديث جابر رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح وتقدم تخريجه ص (٩٠) ، رقم (٢) . لفظه « من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة » .

(٢) تقدم تخريجه ص (٩٠) رقم (١) .

(٣) وذكره الهيثمي في « المجتمع » ١٠ / ٩٨ ونسبه للطبراني وقال : وفيه عقبة بن علي ، وهو ضعيف . أنظر « ضعيف الجامع » رقم (١٢٢٠) .

الخامسة والستون : أنَّ الذكر سد بين العبد وبين جهنم ، فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال ، كان الذكر سدًّا في تلك الطريق ، فإذا كان ذكراً دائماً كاملاً ، كان سَدًّا مُحْكَماً لا مَنْفَذَ فيه ، وإلا فبحسبه .

قال عبد العزيز بن أبي رَوَّاد : كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجداً ، فجعل في قبلته سبعة أحجار ، كان إذا قضى صلاته قال : يا أحجار ! أشهدكم أنه لا إله إلا الله ، قال : فمرض الرجل ، فَعُرِجَ بروحه ، قال : فرأيت في منامي أنه أُمر بي إلى النار ، قال : فرأيت حجراً من تلك الأحجار أعرفه قد عظم ، فسدَّ عني باباً من أبواب جهنم ، ثم أتى إلى الباب الآخر ، فإذا حجر من تلك الأحجار أعرفه قد عظم ، فسد عني باباً من أبواب جهنم ، حتى سدت عني بقية الأحجار أبواب جهنم .

السادسة والستون : أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب ، كما روى حسين المعلِّم عن عبد الله بن بريدة ، عن عامر الشعبي(*) ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أجد في كتاب الله

(*) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار ، علامة عصره ، أبو عمرو ، وكانت أمه من سبي جلولاء ، مولده في أمرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ورأى علياً رضي الله عنه وصلى خلفه ، وسمع من عدة من كبراء الصحابة .

وحدث عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو موسى الأشعري وغيرهم .

روى عنه الحكم وحماد وأبو اسحاق وداود بن أبي هند وغيرهم .

روى شعبة عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبي قال : أدركت خمس مئة من أصحاب النبي ﷺ .

قال مكحول : ما رأيت أحداً أعلم من الشعبي .

روى علي بن القاسم عن أبي بكر الهذلي قال لي ابن سيرين : الزم الشعبي ، فلقد رأيته يستفتى وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون . =

المُنْزَلِ : أن العبد إذا قال : « الحَمْدُ لِلَّهِ » قالت الملائكة : « رَبِّ العَالَمِين » ، وإذا قال : « الحَمْدُ للَّه رَبِّ العَالَمِينَ » ، قالت الملائكة : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لعَبْدِكَ ، وإذا قال : « سُبْحَانَ اللَّه » ، قالت الملائكة : « وبَحِمْدِهِ » ، وإذا قال : « سُبْحَانَ اللَّهِ وَبحَمْدِهِ » ، قالت الملائكة ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ ، وإذا قال : « لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ » قالت الملائكة : « وَاللَّهُ أَكْبَرُ » ، وَإذَا قال : « لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ » قالت الملائكة : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ » .

السابعة والستون : إنَّ الجبال والقِفَار تَتَباهى ، وتَسْتَبشِر بمن يذكر الله عز وجل عليها .

قال ابن مسعود(*) : إن الجبل لينادي الجبل باسمه : أمرَّ بك

قال ابن عيينة : علماء الناس ثلاثة : ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه والثوري في زمانه .

مات رحمه الله سنة أربع ومئة ، وقد بلغ ثنتين وثمانين سنة .

(*) هو أبو عبد الرحمن عبد اللَّه بن مسعود بن غافل بن شمخ بن قار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر الهذلي ، وقيل : هو عبد اللَّه بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة ، وقيل في نسبه غير ذلك ، وهو حليف بني زهرة ، وكان أبوه مسعود قد حالف في الجاهلية عبد اللَّه بن الحارث بن زهرة ، وكان إسلام عبد اللَّه قديماً في أول الإسلام ، قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم ، وقبل عمر بزمان ، وقيل : كان سادساً في الإسلام ، ثم ضمه إليه رسول اللَّه ﷺ فكان من خواصه ، وكان صاحب سر رسول اللَّه ﷺ وسواكه ونعليه ، وطهوره في السفر ، هاجر إلى الحبشة ، وشهد بدراً ، وما بعدها من المشاهد، وصلى إلى القبلتين، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وقال رسول الله ﷺ : « رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أمِّ عبد ، وسخطت لها ما سخط لها ابن أمِّ عبد » وكان يُشَبَّه بالنبي ﷺ في سمته ، ودله وهديه ، وكان خفيف اللحم ، قصيراً =

اليوم أحد يذكر الله عز وجل ؟ فإذا قال : نعم ، استبشر .

قال عون بن عبد الله : إن البقاع لينادي بعضها بعضاً : يا جارتاه ، أمرَّ بك اليوم أحد يذكر الله ؟ فقائلة : نعم ، وقائلة : لا ، فقال الأعمش عن مجاهد : إن الجبل لينادي الجبل باسمه : يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فمن قائل : لا ، ومن قائل : نعم .

الثامنة والستون : أنَّ كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق ، فإن المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل .

قال الله عز وجل في المنافقين : ﴿ **وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [النساء : ١٤٢] .

وقال كعب : من أكثر ذكر الله عز وجل بريء من النفاق . ولهذا - والله أعلم - ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [المنافقون : ٩] ، فإن في ذلك تحذيراً من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر اللَّه عز وجل ، فوقعوا في النفاق .

وسئل بعض الصحابة رضي الله عنهم[1] عن الخوارج : منافقون هم ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً .

فهذا من علامة النفاق : قِلةُ ذِكْرِ اللَّه عز وجل ، وكثرةُ ذكره أمان

= شديد الأدمة ، نحيفاً ، يكاد طوال الرجال يوازيه جالساً ، ولي القضاء بالكوفة ، وبيت مالها لعمر ، وصدراً من خلافة عثمان ، ثم صار إلى المدينة ، فمات بها سنة اثنتين وثلاثين ، ودفن بالبقيع ، وله بضع وستون سنة .

روى عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، ومن بعدهم من الصحابة والتابعين .

(١) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

من النفاق ، والله عز وجل أكرم من أن يبتليَ قلباً ذاكراً بالنفاق ، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل .

التاسعة والستون : أن للذكر من بين الأعمال لذةً لا تشبهها شيء ، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر ، والنعيم الذي يحصل لقلبه ، لكفى به ، ولهذا سميت مجالسُ الذكر رياضَ الجنة .

قال مالك بن دينار : ما تلذَّذ المتلذِّذون بمثل ذكر الله عز وجل ، فليس شيء من الأعمال أخفّ مؤونةً منه ، ولا أعظم لذة ، ولا أكثر فرحة وابتهاجاً للقلب .

السبعون : أنه يكسو الوجه نضرةً في الدنيا ، ونوراً في الآخرة ، فالذاكرون أنضر الناس وجوهاً في الدنيا ، وأنورهم في الآخرة .

ومن المراسيل عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ مائةَ مَرَّةٍ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، ولَهُ الحَمْدُ ، يُحْيي وَيَميتُ ، بيدِهِ الخَيْرُ ، وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ ، أتى اللَّه تعالى يومَ القِيامةِ وَوَجْهُهُ أشدُّ بَياضاً من القَمر لَيْلَةَ البَدْرِ » .

الحادية والسبعون : أن في دوام الذكر في الطريق ، والبيت ، والحضر ، والسفر ، والبقاع ، تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة ، فان البقعة ، والدار ، والجبل ، والأرض ، تشهد للذاكر يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَها * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَها * وقَالَ الإِنْسانُ مَالَها * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَها * بأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَها** ﴾ [الزلزال : ١ ـ ٥] .

فروى الترمذي في « جامعه » ، من حديث سعيد المقبري : عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾ ، قال : « أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا » ؟ قالوا اللَّهُ وَرَسُولُه أَعْلَمُ ، قال : « فإن أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ على كُلِّ عَبدٍ أَوْ أمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِها ، تقول : « عَمَلَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَاْ وَكَذَا » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح(١) .

والذاكر للَّه عزَّ وجلَّ في سائر البقاع يكثر شهوده ، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة يوم قيام الأشهاد ، وأداء الشهادات ، فيفرح ويغتبط بشهادتهم .

الثانية والسبعون : أن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة ، والنميمة ، واللغو ، ومدح الناس ، وذمهم ، وغير ذلك ، فإن اللسان لا يسكت ألبتة .

فإما لسان ذاكر ، وإمَّا لسانٌ لاغٍ ، ولا بد من أحدهما ، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق ، شغلتك بالباطل ، وهو القلب ، إن لم تسكنه محبة الله عز وجل ، سكنته محبة المخلوقين ولا بد ، وهو اللسان ، إن لم تشغله بالذكر ، شغلك باللغو ، وهو عليك ولا بد ،

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٣٥٠) في التفسير : باب من سورة إذا زلزلت ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب ، ورواه أحمد في « المسند » ٢/ ٣٧٤ والحاكم ١/ ٥٣٢ وصححه ، وتعقبه الذهبي بأن يحيى بن أبي سليمان منكر الحديث ، قاله البخاري ، وقال الحافظ في «التقريب» : لين الحديث ، ولكن للحديث شاهد عند ابن مردويه والبيهقي في « شعب الايمان » من حديث أنس رضي الله عنه ، عند الطبراني من حديث ربيعة الجرشي ، فالحديث حسن بشواهده .

فاختر لنفسك إحدى الخطتين ، وأنزلها في إحدى المنزلتين .

الثالثة والسبعون : وهي التي بدأنا بذكرها ، وأشرنا إليها إشارة ، فنذكرها ها هنا مبسوطة لعظيم الفائدة بها ، وحاجة كل أحد ، بل ضرورته إليها ، وهي أن الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه ، فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظاً ، وأحاطوا به ، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشَّرِّ والأذى ، ولا سبيل الى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل .

وفي هذا الحديث العظيم ، الشريف القدر ، الذي ينبغي لكل مسلم أن يحفظه ، فنذكره بطوله لعموم فائدته ، وحاجة الخلق اليه ، وهو حديث سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمٰن بن سمرة بن حبيب(*) قال : خَرَجَ علينا رسولُ الله ﷺ يوماً ، وكُنَّا في صُفَّةٍ بالمدينة ، فقام علينا وقال : « إنِّي رأيْتُ البارحَةَ عَجَباً : رأيتُ رجلاً من أُمَّتي أتاه مَلَك المَوْتِ ليَقْبِضَ رُوحَهُ ، فَجاءَه بِرُّه بوالِدَيْه ، فَرَدَّ مَلَكَ المَوْتِ عَنْهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمتِي قَدْ بُسِطَ عَلَيْهِ عَذابُ القَبْرِ ، فَجاءَهُ وَضوْؤُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذٰلِكَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمَّتي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الشَّياطِينُ ، فَجاءَهُ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَطَرَدَ الشَّيْطَانَ عَنْهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ مَلائِكَةُ العَذابِ ،

(*) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي أسلم يوم الفتح ، وصحب رسول اللّه ﷺ ، وروى عنه ، كان اسمه عبد كلاب وقيل : عبد كلوب ، فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن ، عداده في أهل البصرة ، وهو الذي فتح سجستان وكابل لعبد اللّه بن عامر بن كريز ، ولم يزل بها إلى أن اضطرب أمر عثمان ابن عفان ، فخرج عنها ، واستخلف رجلاً من بني يشكر ، ومات بالبصرة سنة إحدى وخمسين وقيل : سنة خمسين .

روى عنه ابن عباس والحسن وابن المسيب وغيرهم .

فَجَاءَتْهُ صَلاَتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِن أَيْدِيهِمْ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي يَلْتَهِبُ ـ وفي رواية : يَلْهَثُ عَطَشاً ، كُلَّمَا دَنَا مِن حَوْضٍ مُنِعَ وطُرِدَ ، فَجَاءَهُ صِيامُ شَهْرِ رمَضَانَ ، فَأَسقَاهُ وَأَرْوَاهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي ، وَرَأَيْتُ النَّبِيِّينَ جُلوساً حِلَقاً حِلَقاً ، كُلَّما دَنَا إِلَى حَلْقَةٍ طُرِدَ ، فَجَاءَهُ غُسْلُهُ مِنَ الجَنَابَةِ ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقْعَدَهُ إِلَىٰ جَنْبِي ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ ، وَمِن خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ ، وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ ، وَعَنْ يَسَارِهِ ظُلْمَةٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ ، وَمِن تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ ، وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فيها ، فَجَاءَهُ حَجُّهُ وَعُمْرَتُهُ ، فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ ، وَأَدْخَلاَهُ فِي النُّورِ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي يَتَّقِي بِيَدِهِ وَهَجَ النَّارِ وشَرَرَهُ ، فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ ، فَصَارَتْ سُتْرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ، وَظَلَّلَتْ عَلَىٰ رَأْسِهِ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يُكَلِّمُ المُؤْمِنِينَ وَلاَ يُكَلِّمُونَهُ ، فَجَاءَتْهُ صِلَتُهُ لِرَحِمِهِ فَقَالَتْ : يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ ، إِنَّهُ كَانَ وَصُولاً لِرَحِمِهِ فَكَلِّمُوهُ ، فَكَلَّمَهُ المُؤْمِنُونَ وَصَافَحُوهُ وَصَافَحَهُمْ . وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الزَّبَانِيَةُ ، فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُ عَنِ المُنْكَرِ ، فَاسْتَنْقَذَهُ مِن أَيْدِيهِمْ ، وَأَدْخَلَهُ فِي مَلاَئِكَةِ الرَّحْمَةِ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي جاثِياً عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَبَيْنَهُ وبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ ، فَجَاءَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ ذَهَبَتْ صَحِيفَتُهُ مِن قِبَلِ شِمَالِهِ ، فَجَاءَهُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَوَضَعَهَا فِي يَمِينِهِ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي خَفَّ مِيزَانُهُ ، فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ[1] فَثَقَّلُوا مِيزَانَهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَائِماً عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، فَجَاءَهُ رَجَاؤُهُ في اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذٰلِكَ وَمَضَىٰ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ أُهْوِيَ فِي النَّارِ ، فَجَاءَتْهُ دَمْعَتُهُ الَّتِي بَكَىٰ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ

---

(١) جمع فرط ، والمراد به : من مات له من الأطفال .

وَجَلَّ ، فَاسْتَنْقَذْتهُ مِن ذٰلِكَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَائِماً عَلَىٰ الصِّرَاطِ يُرْعِدُ كَمَا تَرْعِدُ السَّعَفَةُ فِي رِيحٍ عَاصِفٍ ، فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَسَكَّنَ رَعْدَتَهُ وَمَضَىٰ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ ، وَيَحْبُو أَحْيَاناً ، وَيَتَعَلَّقُ أَحْيَاناً ، فَجَاءَتْهُ صَلاَتُهُ عَلَيَّ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَأَنْقَذْتهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ فَغُلِّقَتْ الأَبْوَابُ دُونَهُ ، فَجَاءَتْهُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلا اللَّهُ ، فَفَتَحَتْ لَهُ الأَبْوَابَ ، وَأَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ » . رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب « الترغيب في الخصال المنجية ، والترهيب من الخلال المردية »[1] وبنى كتابه عليه وجعله شرحاً له ، وقال : هذا حديث حسن جداً ، رواه عن سعيد بن المسيب : عمر بن ذر ، وعلي بن زيد بن جدعان ، وهلال أبو جبلة . وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظِّم شأن هذا الحديث ، وبلغني عنه أنه كان يقول شواهد الصحة عليه

والمقصود منه قوله ﷺ : « وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَد احْتَوَشَتْهُ

---

(١) قال السخاوي في « القول البديع » ص ١٢٤ : أخرجه الطبراني في « الكبير » والديلمي في «مسند الفردوس» وابن شاذان في «مشيخته» مطولاً، وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو مختلف فيه ، ورواه الطبراني من غير طريقه بسند ضعيف ، أيضاً . وهو عند أبي موسى المديني في الترغيب وعده في رواية فرج بن فضالة عن هلال أبي جبلة عن سعيد بن المسيب وقال : هذا حديث حسن جداً ، وقال الرشيد العطار : هذا أحسن طرقه ، وأخرجه التيمي وغيره مطولاً ، وكذا الباغيان في فوائده عن أبي عمرو بن مندة بسنده إلى مجاهد عن عبد الرحمن بن سمرة وقال : غريب وروي من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري وعبد الرحمن بن حرملة وعلي بن زيد وسعيد وغيرهم عن سعيد بن المسيب ، قلت : وقد ضعف الحديث الذهبي في
قلت : وقد ضعف الحديث الذهبي في الميزان . وأخرجه القاضي أبو يعلى في كتاب « ابطال التأويلات لأخبار الصفات»

الشَّيَاطِينُ ، فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَطَرَدَ الشَّيْطَانَ عَنْهُ » فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري الذي شرحناه في هذه الرسالة. وقوله فيه : « وَآمَرُكُم بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ ، فَانْطَلَقُوا فِي طَلَبِهِ سِراعاً ، وَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَىٰ حِصْناً حَصِيناً ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ[1] .

فكذلك الشيطان لا يحزر العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله عز وجل ، وفي الترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَالَ - يعني إذا خرج من بيته - بِسْمِ اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّة إلَّا باللَّهِ ، يُقَالُ لَهُ : كُفِيتَ وهُدِيتَ وَوُقِيتَ ، وتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ ، فَيَقُولُ لِشَيْطَانٍ آخَرَ : كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وكُفِيَ وَوُقِيَ » ؟ رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال : حديث حسن[2] .

وقد تقدم[3] قوله ﷺ : « مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مائة مَرَّةٍ : لا إِلٰهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكَ وَلَهُ الحَمْدَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ، كَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّىٰ يُمْسِي » .

وذكر سفيان عن أبي الزبير ، عن عبد الله بن ضمرة ، عن كعب قال : إذا خرج الرجل من بيته فقال : بِسْمِ اللَّه ، قال المَلَكُ : هُدِيتَ ،

---

(١) نقدم ص (٣٠) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٥) في الأدب : باب ما يقول إذا خرج من بيته ، والترمذي رقم (٣٤٢٢) في الدعوات : باب رقم ٣٤ ولم نجده عند النسائي ، ولعله في «الكبرى»، ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٧٥) « موارد » في الأذكار : باب ما يقول إذا خرج من بيته ، وابن السني رقم (١٧٨) وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٢٩٥) .

(٣) تقدم تخريجه ص (١٣٣) رقم (١) .

وإذا قال : توكَّلْتُ على اللَّهِ ، قال المَلَكُ : كُفِيتَ ، وإذا قال: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ، قال المَلَكُ: حُفِظتَ. فيقول الشياطين بعضهم لبعض: ارجعوا ، ليس لكم عليه سَبيل ، كيف لكم بمن كُفِي وهُدي وحفظ ؟ .

وقال أبو خلاد المصري : من دخل في الإسلام ، دخل في حصن ، ومن دخل المسجد ، فقد دخل في حصنين ، ومن جلس في حلقة يذكر الله عز وجل فيها ، فقد دخل في ثلاثة حصون .

وقد روى الحافظ أبو موسى في كتابه من حديث أبي عمران الجوني ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال: «إذَا وَضَعَ العَبْدُ جَنْبَه عَلَى فِرَاشِهِ ، فَقَال : بِسْمِ اللَّهِ ، وَقَرَأَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ ، أمِنَ مِن شَرِّ الجِنِّ والإنْسِ وَمِن شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ»[1] .

وفي « صحيح البخاري » ، عن محمد بن سيرين[*] ، عن أبي هريرة ، قال : ولَّاني رسول الله ﷺ زكاةَ رمضانَ أن أحتفظ بها ، فأتاني آتٍ ،فجَعَلَ يَحْثُو الطَّعام ، فأخذته ، فقال : دعني فإني لا أعود . . . فذكر الحديث ، وقال : فقال له في الثالثة : أعلِّمك كلمات ينفعك الله بهن ،

---

(١) قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/١٢١ : رواه البزار وفيه غسان بن عبيد ، وهو ضعيف ، ووثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح .

(*) هو أبو بكر محمد بن سيرين ، مولى أنس بن مالك ، من سبى عين التمر ، روى عن أنس ، وابن عمر ، وأبي هريرة .

روى عنه الشعبي ، وأيوب السختياني ، وقتادة وسلمة بن علقمة ، وخلق كثير .

كان فقيهاً عالماً ، زاهداً ، عابداً ، ورعاً ، محدثاً ، من مشاهير التابعين ، وجلتهم لقي صدراً كبيراً من الصحابة ، واشتهر بفنون علوم الشريعة .

مات سنة عشرة ومائة ، وهو ابن سبع وسبعين سنة ، وقيل : إنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان .

إذا أَوَيْتَ إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي من أولها إلى آخرها ، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخلى سبيله ، فأصبح ، فأخبر النبي ﷺ بقوله ، فقال : « صَدَقَك ، وَهُوَ كَذُوبٌ »(١)

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إذَا أَوَىٰ الإنْسَانُ إلىٰ فِرَاشِهِ ، ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ ، فَيَقُولُ المَلَكُ : اخْتُمْ بِخَيْرٍ ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ ، اخْتُمْ بِشَرٍّ . فَإذَا ذَكَرَ اللّهُ تَعَالَىٰ حَتّىٰ يَغْلِبُهُ - يَعْنِي النَّوْمُ - طَرَدَ المَلَكُ الشَّيْطَانَ وَبَاتَ يَكْلَؤُهُ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ ، ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ ، فَيَقُولُ المَلَكُ : افْتَحْ بِخَيْرٍ ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ : افْتَحْ بِشَرٍّ ، فَإِنْ قَالَ : الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَحْيَا نَفْسِي بَعْدَ مَوْتِهَا وَلَمْ يُمِتْهَا فِي مَنَامِهَا ، الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي يُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا المَوْتَ وَيرْسِلُ الأُخْرَىٰ إلىٰ أَجَلٍ مُسَمَّىٰ ، الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ ، وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الأَرْضِ إلَّا بِإِذْنِهِ ، طَرَدَ المَلَكُ الشَّيْطَانَ وَظَلَّ يَكلَؤُهُ »(٢) .

وفي « الصحيحين » : من حديث سالم بن أبي الجعد ، عن كريب ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أَمَا لَوْ إنَّ أَحَدَكُمْ إذَا

---

(٢) رواه البخاري تعليقاً ٤/ ٣٩٦ - ٣٩٨ في الوكالة : باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز . قال الحافظ في « الفتح » : وصله النسائي والاسماعيلي وأبو نعيم . وانظر بقية كلام الحافظ في « الفتح » ٤/ ٣٩٨ .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/ ١٢٠ وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير ابراهيم بن الحجاج الشامي ، وهو ثقة . قلت : وصوابه : إبراهيم بن الحجاج السامي ، بالسين المهملة ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » في ترجمة حماد بن زيد وقال : غريب من حديث الحجاج بن أبي عثمان الصواف ، بصري .

أَتَى أَهْلَهُ قَالَ : بِسْمِ اللّهِ ، اللّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ، فَيُولَدُ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ(١) لَا يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدَاً »(٢) .

وذكر الحافظ أبو موسى ، عن الحسن بن علي(*) قال : أنا ضامنٌ لمن قرأ هذه العشرين الآية أن يَعْصِمَهُ اللّهُ تعالى مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ظَالِمٍ ، ومِن كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ، ومِنْ كلِّ سَبُعٍ ضَارٍ ، ومن كلِّ لِصٍّ عادٍ : آية الكرسي ، وثلاث آيات من الأعراف ﴿ **إِنَّ رَبَّكُم اللّهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ** . . . ﴾ [الأعراف : ٥٤ - ٥٧] ، وعشراً من الصَّافَّاتِ [١ - ١٠] ، وثلاث آياتٍ من الرَّحْمٰنِ ﴿ **يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْس** . . . ﴾ [الرحمن : ٣٣ - ٣٤] ، وخاتمة سُورَةِ الحَشْر ﴿ **لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا القُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ** . . . . ﴾ [الحشر : ٢١ - ٢٤] .

وقال محمد بن أبان : بينما رجل يصلي في المسجد ، إذا هو بشيءٍ إلى جنبه ، فجفل منه ، فقال : ليس عليك مني بأس ، إنما جئتك

---

(١) كذا في النسخ المطبوعة : فيولد بينهما ولد . وليس في « الصحيحين » بهذا اللفظ ، وقد رواه المصنف بالمعنى . وفي بعض روايات البخاري : فإن كان بينهما ولد . وفي « الصحيحين » : « فإنه إن يقدر بينهما ولد ، لم يضره الشيطان أبداً » .

(٢) تقدم تخريجه ص (١٣٦) رقم (٣) .

(*) هو أبو محمد ، الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي ، سبط رسول اللّه ﷺ وريحانته وسيد شباب أهل الجنة .

ولد في النصف من شهر رمضان سنة ثلاثة من الهجرة، وهو أصح ما قيل في ولادته . ومات سنة خمسين ، وقيل : سنة تسع وأربعين ، وقيل : ثمان وخمسين ، وقيل : سنة أربع وأربعين . ودفن بالبقيع .

روى عنه ابنه الحسن بن الحسن ، وأبو هريرة ، وعائشة وجماعة كثيرة . ولما قتل أبوه علي بن أبي طالب بالكوفة بايعه الناس على الموت أكثر من أربعين ألفاً ، وأسلم الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان في النصف من جماد الأولى سنة احدى وأربعين .

في الله تعالى ، أنت عروة فسله : ما الذي يتعوذ به ؟ ـ يعني من إبليس الأباليس ـ . قال : قُلْ آمَنْتُ باللّهِ العَظِيم وَحْدَهُ ، وَكَفَرْتُ بالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَاعْتَصَمْتُ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا ، وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، حَسْبِيَ اللّهُ وَكَفَى ، سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ دَعَا ، لَيْسَ وَرَاءَ اللّهِ مُنْتَهَى(١) .

وقال بشر بن منصور : عن وهيب بن الورد قال : خرج رجلٌ إلى الجبَّانة بعد ساعة من الليل ، قال : فسمعت حسّاً ـ أو أصواتاً ـ شديدة ، وجيءَ بسريرٍ حتى وضع ، وجاء شيء حتى جلس عليه ، قال : واجتمعت إليه جنوده ، ثم صرخ فقال : من لي بعروة بن الزبير ؟ فلم يجبه أحد حتى تتابع ما شاء الله عز وجل من الأصوات ، فقال واحد : أنا أكفيكه . قال : فتوجه نحو المدينة وأنا ناظرٌ ، ثم أوشك الرجعة ، فقال : لا سبيل إلى عُرْوَةَ ، قال : ويلك لم ؟ قال : وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى ، فلا نخلص إليه معهن ، قال الرجل ، فلما أصبحتُ ، قلت لأهلي : جهِّزوني ، فأتيتُ المدينة ، فسألت عنه حتى دُلِلْتُ عليه ، فإذا شيخ كبير ، فقلت : أشيئاً تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ؟ فأبى أن يخبرني ، فأخبرته بما رأيت وما سمعت ، فقال : ما أدري ، غير أني أقول إذا أصبحت : آمَنْتُ باللّهِ العَظِيمِ ، وَكَفَرْتُ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَاسْتَمْسَكْتُ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى الَّتِي لاَ انْفِصَامَ لَهَا ، وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إذا أصبحتُ قلت ثلاث مرَّات ، وإذا أمسيْتُ قلت ثلاث مرات .

وذكر أبو موسى عن مسلم البطين قال : قال جبريل للنبيِّ ﷺ : إنَّ عفريتاً من الجن يكيدُكَ ، فَإِذَا أَوَيْت إلى فِرَاشِكَ فَقل : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لاَ يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ ، مِن شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرأ فِيْ الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمِن شَرِّ

---

(١) في نسخة : مرمى .

فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، إلاّ طَارِقاً يَطْرِقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمنُ[1] .

وقد ثبت في « الصحيحين » أن الشيطان يهرب من الأذان .

قال سهيل بن أبي صالح : أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام ـ أو صاحب ـ لنا ، فنادى منادٍ من حائط باسمه ، فأشرف الذي معي على الحائط ، فلم ير شيئاً ، فذكرت ذلك لأبي ، فقال : لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ، ولكن إذا سمعت صوتاً فناد بالصلاة ، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّ الشَّيْطَانَ إذَا نُودِيَ بِالصَّلاَةِ ، وَلَّى وَلَهُ حُصَاصٌ »[2] .

وفي رواية : « إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ وَلَّى وَلَهُ ضُرَاطٌ ، حَتَّىٰ لاَ يَسْمَعُ التَّأْذِين . . . » الحديث[3] .

---

(1) وإسناده منقطع ، ورواه مالك في « الموطأ » ٢/ ٩٥١ و٩٥٢ في كتاب الشعر ، باب ما يؤمر به من التعوذ عن يحيى بن سعيد مرسلاً ، قال الزرقاني في « شرح الموطأ » : ووصله النسائي من طريق محمد بن جعفر ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن ابن عباس السلمي ، عن ابن مسعود . قال الزرقاني : قال حمزة الكناني الحافظ : هذا ليس بمحفوظ ، والصواب مرسل . وقال السيوطي : وأخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » من طريق داود بن عبد الرحمن العطار ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت رجلاً من أهل الشام يحدث عن ابن مسعود قال : لما كان ليلة الجن أقبل عفريت في يده شعلة . . . . فذكره . انتهى. قال الزرقاني : وفيه نظر ، لأن ليلة الجن هي ليلة استماعهم القرآن ، وهي غير ليلة الاسراء ، فهما حديثان وإن اتحد لفظ الاستعاذة فيهما .

(2) أي ضراط ، وقيل : الحصاص : شدة العدو .

(3) رواه البخاري ٢/ ٦٩ و٧٠ في الأذان : باب فضل التأذين وفي أبواب عدة ، ومسلم رقم (٣٨٩) في الصلاة ، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه ، و« الموطأ » ١/ ٦٩ و٧٠ في الصلاة : باب ما جاء في الناس للصلاة ، وأبو داود رقم (٥١٦) في الصلاة : باب رفع الصوت بالأذان ، والنسائي ٢/ ٢١ و٢٢ في الأذان : =

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي رجاء ، عن أبي بكر الصديق قال : قال رسول اللّه ﷺ : « اسْتَكْثِرُوا مِن قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالاسْتِغْفَارِ ، فَإِنَّ الشَّيطانَ قَالَ : قَدْ أَهْلَكْتُهُم بِالذُّنُوب ، وَأَهْلَكُونِي بِقَوْلِ : لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ وَٱلاسْتِغْفَارُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، أَهْلَكْتُهُمْ بِالأَهْوَاءِ حَتَّىٰ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ، فَلا يَسْتَغْفِرُونَ »[1] .

وذكر أيضاً عن إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه ، عن عكرمة قال : بينا رجل مسافر ، إذْ مرَّ برَجُلٍ نائم ، ورأى عنده شيطانين ، فسمع المسافر أحد الشيطانين يقول لصاحبه : اذهب فأفسد على هذا النائم قلبه ، فلما دنا منه رجع إلى صاحبه فقال : لقد نام على آية مالنا إليه سبيل ، فذهب إلى النائم ، فلما دنا منه رجع قال : صدقت ، فذهب ، ثم إن المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانين ، فقال : أخبرني على أية آية نمت؟ قال : على هذه الآية : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمْ اللّهُ الّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أيام ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْش يُغْشِي اللّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً والشَّمْسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، أَلَا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ العالمين** ﴾ [**الأعراف : ٥٣**] .

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم : كنت أرى[2] في داري فقيل : يا أبا النضر تحوَّل عن جوارنا ، قال : فاشْتَدَّ ذَلِكَ عليَّ ، فكتبت

= باب فضل التأذين ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٣١٣ و٣٩٨ و٤١١ و٤٦٠ و٥٠٣ و٥٢٢ و٥٣١ .

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/ ٢٠٧ ونسبه لأبي يعلى . وقال الهيثمي : وفيه عثمان بن مطر ، وهو ضعيف . اهـ . وفيه أيضاً أبو رجاء مولى أبي بكر قال الحافظ في « التقريب » : مجهول .

(٢) في نسخة : ارمي ، وفي أخرى : آوي .

إلى الكوفه إلى ابن إدريس ، والمحاربي ،وأبي أسامة ، فكتب إليَّ المحاربي : إن بئراً بالمدينة كان يقطع رشاؤها ، فنزل بهم ركب ، فشَكَوْا ذلك إليهم ، فدعوا بِدَلْوٍ من ماءٍ ، ثم تكلموا بهذا الكلام ، فصبُّوه في البئر ، فخرجت نار من البئر ، فطفئت على رأس البئر ، قال أبو النضر : فأخذت تَوْراً من ماء ، ثم تَكَلَّمت فيه بهذا الكلام ، ثم تتبَّعت به زوايا الدار ، فرشَشْتُهُ ، فَصَاحُوا بي : أحرَقْتَنَا ، نحن نتحول عنك .

وهو : بِسْمِ اللّهِ ، أَمْسَيْنَا بِاللّهِ الَّذِي لَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مُمْتَنِعٌ ، وَبِعِزَّةِ اللهِ الَّتِي لَا تُرامُ وَلَا تُضَامُ ، وَبِسُلْطَانِ اللّهِ المَنِيعِ نَحْتَجِبُ ، وَبِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ كُلِّهَا عَائِذٌ مِنَ الأَبَالِسَةِ ، وَمِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مُعْلَنٍ أَوْ مُسِرٍّ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ بِاللَّيْلِ وَيَكْمُنُ بِالنَّهارِ ، وَيَكْمُنُ بِاللَّيْلِ وَيَخْرُجُ بِالنَّهَارِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرأَ وَبَرأَ ، وَمِنْ شَرِّ إِبْلِيسٍ وَجُنُودِهِ ، وَمِنْ شَرِّ دَابَةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، أَعُوذُ بِاللّهِ : بِمَا اسْتَعَاذَ بِهِ مُوسَىٰ ، وَعِيسَىٰ ، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرأَ وَبَرأَ ، وَمِن شَرِّ إِبْلِيسٍ وَجُنُودِهِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَبْغِي . أَعُوذُ بِاللّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ : ﴿ **والصَّافَاتِ صَفّاً * فالزّاجراتِ زَجْراً * فالتَّالياتِ ذِكْراً * إِنَّ إِلٰهَكُمْ لواحِدٌ * رَبُّ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ورَبُّ المَشَارِقِ * إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بزينةِ الكَوَاكِب * وحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَاردٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلىٰ المَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ واصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ** ﴾ [الصافات :١ ـ ١٠] .

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ لذلك العبد : « لَا يَحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللّهِ تَعَالَىٰ » . ولنذكر فصولاً نافعة تتعلق بالذكر تكميلاً للفائدة :

الفصل الأول [أنواع الذكر]

الذكر نوعان :

أحدهما : ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته ، والثناء عليه بهما ، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى ، وهذا أيضاً نوعان .

أحدهما : إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر ، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث ، نحو : « سُبْحَانَ اللّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلّهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ ، وَاللّهُ أَكْبَرُ » ، و « سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ » ، و « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ » ، ونحو ذلك . فأفضل هذا النوع ، أجمعه للثناء ، وأعمه ، نحو « سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ » ، فهذا أفضل من مجرد « سُبْحَانَ اللَّهِ » ، وقولك : « الحَمْدُ للَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ ، وَعَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ ، وَعَدَدَ مَا بَيْنِهِمَا ، وَعَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ » أفضل من مجرد قولك : « الحَمْدُ للَّهِ » .

وهذا في حديث جويرية(*) ، أن النبيَّ ﷺ قال لها : « لَقَدْ قُلْتُ

(*) هي أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة . وجذيمة هو المصطلق من خزاعة ، سباها النبي ﷺ في غزوة المريسيع ، وهي غزوة بني المصطلق ، في سنة خمس ، وقيل : سنة ست ، وكانت قبله تحت مسافع بن صفوان المصطلقي ، وقيل : صفوان بن مالك ، فوقعت في سهم ثابت بن =

بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ اللّهِ [وَبِحَمْدِهِ] عَـدَدَ خَلْقِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ رَضِيَ نَفْسِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ[1] كَلِمَاتِهِ » رواه مسلم[2] .

وفي الترمذي وسنن أبي داود ، عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول اللّه ﷺ على امرأة بين يَدَيْهَا نوى أو حصًى تسبِّح بها ، فقال : « أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هٰذَا أَوْ أَفْضَلَ » فقال : « سُبْحَانَ اللّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّماءِ ، وسُبْحَانَ اللّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ ، وسُبْحَانَ اللّهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذٰلِكَ ، وسُبْحَانَ اللّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ ، وَاللّهُ أَكْبَرُ مِثْلَ ذٰلِكَ ، والحَمْدُ لِلّهِ مِثْلَ ذٰلِكَ ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللّهُ مِثْلَ ذٰلِكَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ مِثْلَ ذٰلِكَ »[3] .

= قيس بن شماس ، فكاتبها ، فقضى عنها النبي ﷺ كتابتها ، ثم اعتقها وتزوجها ، وكان اسمها برة ، فغيره النبي ﷺ وسماها جويرية .

وماتت في ربيع الأول سنة ست وخمسين ولها خمس وستون سنة .

روى عنها عبد اللّه بن عباس ، وجابر بن عبد اللّه ، وابن عمر .

(١) قوله : « مِداد » معناه مثلها في العدد ، وقيل : مثلها في أنها لا تنفد ، وقيل : في الثواب ، والمداد هنا مصدر بمعنى المدد ، وهو ما كثرت به الشيء . قال العلماء : واستعماله هنا مجاز ، لأن كلمات الله تعالى لا تحصر بعد ولا غيره ، والمراد المبالغة به في الكثرة .

(٢) رقم (٢٧٢٦) في الذكر : باب التسبيح أول النهار وعند النوم ، وأبو داود رقم (١٥٠٣) في الصلاة : باب التسبيح بالحصى ، والترمذي رقم (٣٥٥٠) في الدعوات : باب رقم (١١٧) ، والنسائي ٤/ ٧٧ في السهو : باب نوع آخر من عدد التسبيح ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٣٢٥ و٤٣٠ وابن ماجة رقم (٣٨٠٨) في الأدب : باب فضل التسبيح . والزيادة من صحيح مسلم .

(٣) رواه أبو داود رقم (١٥٠٠) في الصلاة : باب التسبيح بالحصى ، والترمذي رقم (٣٥٦٣) في الدعوات : باب دعاء النبي ﷺ وتعوذه في دبر كل صلاة ، ورواه أيضاً =

النوع الثاني : الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك : اللّه عز وجل يسمع أصوات عباده ، ويرى حركاتهم ، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم ، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته[1] الواجد ونحو ذلك .

وأفضل هذا النوع : الثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وبما أثنى به عليه رسول اللّهِ ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل . وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع : حَمْدٌ ، وَثَنَاءٌ ، وَمَجْدٌ .

فالحمد للّه الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى ، مع محبته والرضى به ، فلا يكون المحب الساكت حامداً ، ولا المثني بلا محبة حامداً حتى تجتمع له المحبة والثناء ، فإن كرر المحامد شيئاً بعد شيء كانت ثناءً ، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجداً .

وقد جمع اللّه تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة ، فإذا قال العبد ﴿ **الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ** ﴾ ، قال اللّه : حَمَدَنِي عَبْدِي ، وإِذَا قال : ﴿ **الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ** ﴾ قال : أثنى عَلَيَّ عَبْـدِي ، واذا قال : ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّين** ﴾ قال : مَجَّدني عَبْدِي »[2] .

= ابن حبان رقم (٢٣٣٠) « موارد » في الأذكار : باب في فضل التسبيح والتهليل والتحميد ، وهو حديث حسن بشواهده ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وانظر « شرح الأذكار » لابن علان ١/ ٢٤٤ .

(١) أي إذا وجدها . إشارة إلى قوله ﷺ : « لله أفرح بتوبة عبده . . . » المتفق عليه . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٧٣٠١) .

(٢) هو جزء من حديث رواه مالك في « الموطأ » ١/ ٨٤ و٨٥ في الصلاة ، باب القراءة=

النوع الثاني : من الذِّكْرِ : ذِكْر أمره ونهيه وأحكامه .

وهو أيضاً نوعان :

أحدهما : ذكره بذلك إخباراً عنه بأنه أمرَ بكذا ، ونهى عن كذا ، وأحب كذا ، وسخط كذا ، ورضي كذا .

والثاني : ذكره عند أمره ، فيبادر إليه ، وعند نهيه فيهرب منه ، فذكر أمره ونهيه شيء ، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر ، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فَذِكْره أفضلُ الذِّكْر وأجلُّه وأعظمُهُ فائدة .

فهذا الذكر من الفقه الأكبر ، وما دونه أفضل الذكر اذا صحت فيه النية .

ومن ذكره سبحانه وتعالى : ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ، ومواقع فضله على عبيده ، وهذا أيضاً من أجلِّ أنواع الذِّكر .

فهذه خمسة أنواع :

وهي تكون بالقلب واللسان تارة ، وذلك أفضل الذكر .

وبالقلب وحده تارة ، وهي الدرجة الثانية .

وباللسان وحده تارة ، وهي الدرجة الثالثة .

فأفضل الذكر : ما تواطأ عليه القلب واللسان ، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده ، لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ، ويهيِّج المحبة ، ويُثِيرُ الحياء ، ويبعث على المخافة ، ويدعو إلى المراقبة ، وَيَزَع عن التقصير في الطاعات ، والتهاون في المعاصي والسيئات ، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئاً من هذه الآثار ، وإن أثمر شيئاً منها ، فثمرة ضعيفة .

* * *

= خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة ، ومسلم رقم (٣٩٥) في الصلاة : باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة من حديث ابي هريرة رضي الله عنه . وأوله : « قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين . . . » .

الفصل الثاني
[الذكر أفضل من الدعاء]

الذكر أفضل من الدعاء ، لأن الذكر ثناء على اللّه عز وجل بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه ، والدعاء سؤال العبد حاجته ، فأين هذا من هذا ؟

ولهذا جاء في الحديث : « مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ »(١) .

ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد اللّه تعالى ، والثناء عليه بين يدي حاجته ، ثم يسأل حاجته . كما في حديث فضالة بن عبيد(*)، أن رسول اللّه ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد اللّه تعالى ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ : «لَقَدْ عَجَلَ هٰذَا» ثم دعاه فقال له أو لغيره : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُم فَلْيَبْدَأْ بتَمْجِيدِ رَبِّه عَزَّ وَجَلَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ » رواه

---

(١) تقدم تخريجه ص (٨٩) رقم (١) .

(*) هو أبو محمد ، فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس بن صهيب بن الأصرم بن جحجيا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن مالك الأنصاري القمْري الأوسي .
أول مشاهده أُحد، وشهد ما بعدها ، وبايع تحت الشجرة ، ثم انتقل إلى الشام ، فسكن دمشق ، وقضى بها لمعاوية زمن خروجه إلى صفين ، ومات بها في عهد معاوية . وقيل : مات سنة تسع وستين ، وقيل : سنة ثلاث وخمسين، وهو أصح .
روى عنه ميسرة مولاه إسماعيل بن عبيد اللّه ، وحنش الصنعاني .

الإمام أحمد ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . ورواه الحاكم في « صحيحه »[1] .

وهكذا دعاء ذي النون عليه السلام الذي قال فيه النبي ﷺ : « دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ ، مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كُرْبَتَهُ : ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ وفي الترمذي : « دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ »[2] .

وهكذا عامة الأدعية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام .

ومنه قوله ﷺ في دُعاءِ الكرب : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ »[3] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٦/ ١٨ ، والترمذي رقم (٣٤٧٥) في الدعوات : باب رقم ٦٦ ، أبو داود رقم (١٤٨١) في الصلاة : باب الدعاء ، والنسائي ٣/ ٤٤ في السهو : باب التحميد والصلاة على النبي ﷺ في الصلاة ، والحاكم ١/ ٢٣٠ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي . وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٣٧٨) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٥٠٠) في الدعوات رقم (٨٥) من حديث سعد وهو حديث حسن ، ورواه أحمد في « المسند » ١/ ١٧١ والحاكم ١/ ٥٠٥ وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الحافظ ابن حجر في « أمالي الأذكار » كما في « الفتوحات الربانية » ٤/ ١١ .

(٣) رواه البخاري ١١/ ١٢٣ في الدعوات : باب الدعاء في الكرب ، وفي التوحيد : باب ﴿ **وكانَ عرشه على الماء** ﴾ ، ومسلم رقم (٢٧٣٠) في الذكر : باب دعاء الكرب ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٣٤٣٦) في الدعوات : باب ما يقول عند الكرب ، وابن ماجة رقم (٣٨٨٣) في الدعاء : باب الدعاء عند الكرب ، وأحمد في « المسند » ١/ ٢٢٨ و٢٥٤ و٣٣٩ و ٣٥٦ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

ومنه حديث بريدة الأسلمي(*) الذي رواه أهل السنن ، وابن حبان في « صحيحه » : أن رسول اللّه ﷺ سمع رجلاً يدعو وهو يقول : اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بأنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللّهُ لَا إلَهَ إلاَّ أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ » ، فقال : « وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ سَأَلَ اللّهُ بِاسْمِهِ الأَعْظَمُ ، الَّذي إذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى »(١) .

وروى أبو داود ، والنسائي من حديث أنس أنه كان مع النبي ﷺ جالساً ورجل يصلي ثم دعا : « اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بأَنَّ لَكَ الحَمْدُ ، لَا إلَهَ إلاَّ أَنْتَ ، المَنَّانُ ، بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإكْرَام ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ» . فقال النبي ﷺ : « لَقَدْ دَعَا اللّهُ بِاسْمِهِ الأَعْظَمُ الَّذي إذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى »(٢) .

(*) هو أبو عبد اللّه ، وقيل : أبو سهل ، وقيل : أبو ساسان ، وقيل : أبو الحصيب . بريدة ابن الحصيب بن عبد اللّه بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم ابن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة ابن عمرو بن عامر الأسلمي .

أسلم قبل بدر ، ولم يشهدها ، وبايع بيعة الرضوان ، وقيل : إنه أسلم لما مر به النبي ﷺ مهاجراً بالغميم ، وأقام بموضعه حتى مضت بدر وأحد ، ثم قدم عليه ، وكان من ساكني المدينة ، ثم تحول إلى البصرة ، ثم خرج منها إلى خراسان غازياً فمات بمرو زمن يزيد بن معاوية سنة اثنين أو ثلاث وستين ، وله بها عقب ، ويقال : كان اسمه عامراً .

روى عنه ابناه : عبد اللّه وسليمان ، وأبو المليح عامر بن أسامة .

(١) رواه الترمذي رقم (٣٤٧١) في الدعوات : باب رقم ٦٥ ، وأبو داود رقم (١٤٩٣) في الصلاة ، باب الدعاء ، وابن حبان رقم (٢٣٨٣) « موارد » في الأدعية : باب الدعاء بأسماء الله تعالى ، والحاكم ١/ ٥٠٤ وصححه ووافقه الذهبي . وهو حديث صحيح .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٥٣٨) في الدعوات ، باب رقم ١٠٩ ، وأبو داود رقم (١٤٩٥) في الصلاة : باب الدعاء ، والنسائي ٣/ ٥٢ في السهو : باب الدعاء بعد الذكر ، =

فأخبر النبي ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر ، وأنه اسم اللّه الأعظم ، فكان ذكر اللّه عز وجل والثناء عليه أنجح ما طلب به العَبْد حوائجه ،

وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء ، أنه يجعل الدعاء مستجاباً .

فالدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء ، أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد ، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته ، وافتقاره واعترافه ، كان أبلغ في الإجابة وأفضل ، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله ، وعرَّض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته ، فهذا المقتضي منه ، وأوصاف المسؤول مقتضى من اللّه ، فاجتمع المقتضي من السائل ، والمقتضى من المسؤول في الدعاء ، وكان أبلغ وألطف موقعاً ، وأتم معرفة وعبودية .

وأنت ترى في الشاهد ـ وللّه المثل الأعلى ـ أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره ، وذكر حاجته هو ، وفقره ومسكنته ، كان أعطف لقلب المسؤول ، وأقرب لقضاء حاجته .

فإذا قال له : أنت جودك قد سارت به الركبان ، وفضلك كالشمس لا تنكر ، ونحو ذلك ، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغاً لا صبر معه ونحو ذلك ، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداءً : أعطني كذا وكذا .

= وإسناده صحيح ، ورواه أيضاً ابن حبان رقم (٢٣٨٢) « موارد » في الأدعية : باب الدعاء بأسماء الله تعالى ، والحاكم ١/ ٥٠٤ وصححه ووافقه الذهبي .

فإذا عرفت هذا ، فتأمل قول موسى ﷺ في دعائه : ﴿ رَبِّ إنِّي لِما أنْزَلْتَ إليَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٍ ﴾ [القصص : ٢٤] وقول ذي النون ﷺ في دعائه : ﴿ لَا إِلَهَ إِلاَّ أنْتَ ، سُبْحَانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] . وقول أبينا آدم ﷺ : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أنْفُسَنَا ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

وفي « الصحيحين » : أن أبا بكر الصديق رضي اللّه عنه قال : يا رسول اللّه ! علمني دعاء أدعو به في صلاتي : فقال : « قُلْ : اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً ، وَإنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدَكَ وَارْحَمْنِي ، إنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيم »[1] .

فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر ، بين الاعتراف بحاله ، والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده ، وأنه المنفرد بغفران الذنوب ، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معاً ، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية .

* * *

(١) رواه البخاري ٢/ ٢٦٥ في صفة الصلاة : باب الدعاء قبل السلام ، وفي الدعوات : باب الدعاء في الصلاة ، وفي التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً﴾ ، ومسلم رقم (٢٧٠٥) في الذكر : باب استحباب خفض الصوت بالذكر ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٣٥٢٨) في الدعوات : باب دعاء يقال في الصلاة ، والنسائي ٣/ ٥٣ في السهو : باب نوع آخر من الدعاء ، وأحمد في « المسند » ١/ ٤ و٧ ، وابن ماجه رقم (٣٨٣٥) في الدعاء : باب دعاء رسول الله ﷺ .

الفصل الثالث
[قراءة القرآن أفضل من الذكر]

قراءة القرآن أفضل من الذكر ، والذِّكْر أفضل من الدعاء ، هذا من حيث النظر إلى كل منهما مجرداً .

وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل ، بل يعينه ، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل ، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود ، فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما ، بل القراءة فيهما منهي عنها نهي تحريم أو كراهة ، وكذلك التسميع[1] والتحميد في محلهما أفضل من القراءة ، وكذلك التشهد ، وكذلك : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعافِنِي وَارْزُقْنِي » بين السجدتين أفضل من القراءة ، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة ـ ذكر التهليل ، والتسبيح ، والتكبير ، والتحميد ـ أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة ، وكذلك إجابة المؤذن ، والقول كما يقول أفضل من القراءة ، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل اللّه تعالى على خلقه ، لكن لكل مقام مقال ، متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره ، اختلت الحكمة ، وفاتت المصلحة المطلوبة منه .

وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة ، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة ، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن ، مثاله :

---

(١) أي : سمع الله لمن حمده .

أن يتفكر في ذنوبه، فيحدث ذلك له توبة واستغفار، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن ، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه .

وكذلك أيضاً قد يعرض للعبد حاجة ضرورية اذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر لم يحضر قلبه فيهما ، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء لها ، اجتمع قلبه كله على اللّه تعالى ، وأحدث له تضرُّعاً وخشوعاً وابتهالاً ، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع ، وإن كان كلٌّ من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجراً .

وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفس، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة ، فيعطى كل ذي حق حقه ، ويوضع كل شيء موضعه .

فللعين موضع ، وللرِّجْل موضع ، وللماء موضع ، وللحم موضع ، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي ، واللّه تعالى الموفق .

وهكذا الصابون والأُشنان ، أنفع للثوب في وقت ، والتجمير وماء الورد وكيُّه أنفع له في وقت .

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى يوماً : سئل بعض أهل العلم : أيما أنفع للعبد ، التسبيح أو الاستغفار ؟ فقال : إذا كان الثوب نقياً ، فالبخور وماء الورد أنفع له ، وإن كان دَنِساً فالصابون والماء الحار أنفع له ، فقال لي رحمه اللّه تعالى : فكيف والثياب لا تزال دنسة ؟ .

ومن هذا الباب : أن سورة ﴿ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث

القرآن[1] ، ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث ، والطلاق ، والخلع ، والعِدَد ونحوها ، بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص .

ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء ، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه ، كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده ، لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء .

فهذا أصل نافع جداً ، يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها ، لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها ، فيربح إبليس الفضل الذي بينهما ، أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها وإن كان ذلك وقته ، فتفوته مصلحته بالكلية ، لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثواباً وأعظم أجراً .

وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال ، وتفاوتها ، ومقاصدها ، وفقه في إعطاء كل عمل منها حقه ، وتنزيله في مرتبته ، وتفويته لما هو أهم منه ، أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل ، لإمكان تداركه والعود إليه ، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه ، فالاشتغال به أولى ـ وهذا كترك القراءة لرد السلام ، وتشميت العاطس ـ وإن كان القرآن أفضل ، لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلى الفاضل ، بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس ، وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت . والله تعالى الموفق .

---

(١) ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كتاباً جليلاً أسماه « جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن . من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وهو من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق .

الفصل الرابع

في الأذكار الموظفة التي لا ينبغي للعبد أن يخل بها لشدة الحاجة إليها، وعظم الانتفاع في الآجل والعاجل بها وفيه فصول

الفصل الأول :

في ذكر طرفي النهار وهما بين الصبح وطلوع الشمس ، وما بين العصر والغروب

قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٤١ ـ ٤٢] والأصيل : قال الجوهري : هو الوقت بعد العصر إلى المغرب وجمعه : أُصُل وآصال وأصائل ، كأنه جمع أصيلة .

قال الشاعر (١) :

لَعَمْري لأنْتَ البَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ ... وَأَقْعُـدُ في أَفْيَائِـه بالأَصَـائِـلِ

ويجمع أيضاً على أُصْلان ، مثل بعير وبُعْران ، ثم صغَّروا الجمع فقالوا : أُصَيْلانَ ، ثم أبدلوا من النون لاماً ، فقـالوا : أُصَيْلال .

---

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي . خويلد بن خالد بن محرِّث من بني هذيل بن مدركة من مضر : شاعر فحل مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وسكن المدينة ، واشترك في الغزو والفتوح ، وعاش إلى أيام عثمان ، فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى أفريقية غازياً سنة ٢٦هـ فشهد فتح أفريقية ، وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان رضي الله عنه فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها ، وقيل مات بأفريقية ، أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد مطلعها :

أَمِـنَ الْـمَـنُـونِ وَرَيْبِـهـا تَتَـوَجَّـعُ ... والـدَّهْـرُ لَيْسَ بِمُعْتِـبٍ مَنْ يَجْـزَعُ

قال البغدادي : هو أشعر هذيل من غير مدافعة ، وفد على النبي ﷺ ليلة وفاته فأدركه وهو مسجّى وشهد دفنه .

قال الشاعر[1] :

وَقَفْتُ فيهَا أُصَيْلالاً أُسَائِلُهَا   أعْيَتْ[2] جَوَاباً وما بالرَّبْعِ مِن أحَدِ

وقال تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بالعَشِيِّ والإبْكَارِ ﴾ [غافر : ٥٥] فالإبكار : أول النهار ، والعشيُّ : آخره ، وقال تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وقَبْلَ الغُرُوبِ ﴾ [ق : ٣٩] وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث : من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي ، أن المراد به : قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مَائَةَ مَرَّةٍ ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ »[3] .

وفي « صحيحه » أيضاً عن ابن مسعود قال : كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال : « أمْسَيْنَا وَأَمْسَىٰ المُلْكُ للَّهِ ، وَالحَمْدُ للَّهِ ، لا إِلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدَ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) هو النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب : أبو أمامة شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز ، كان تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه اشعارها . وكان أحسن العرب ديباجة له، ديوان شعر نشره ابو الفضل ابراهيم رحمه الله محققاً .

(٢) كذا في النسخ المطبوعة : أعيت ، كما في بعض الروايات للبيت . وفي اللسان وأكثر مصادر الشعر : عيت بالتشديد ، وهو أصوب ، أي : لم تدر ما وجه الجواب .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٦٩٢) في الذكر والدعاء : باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، ورواه أيضاً بنحوه البخاري ١١/ ١٧٣ في الدعوات : باب فضل التسبيح وأبو داود رقم (٥٠٩١) في الأدب : باب ما يقول إذا أصبح ، والترمذي رقم (٣٤٦٦) في الدعوات : باب رقم (٦٠) ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٥١٥ .

شَيْءٍ قَدِيرٍ ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَها ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَسُوءِ الكِبَرِ[1] ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابٍ فِي النَّارِ ، وَعَذَابٍ فِي القَبْرِ » وإذَا أَصْبَحَ قَالَ ذٰلِكَ أَيْضاً : « أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ لِلَّهِ »[2] .

وفي « السنن » : عن عبد اللّٰه بن خُبيب[*] قال : قال رسول الله ﷺ : « قُلْ » قلت : يا رسول الله ، ما أقول ؟ قال : « قُلْ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وَالمُعَوِّذَتَيْنِ ، حِينَ تُمْسِي ، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح[3] .

وفي الترمذي أيضاً : عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ كان يعلِّم أصحابه يقول : « إذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا ،

---

(١) قوله : « الكبر » قال القاضي : رويناه : الكبرة ، باسكان الباء وفتحها ، فالإسكان بمعنى التعاظم على الناس ، والفتح بمعنى الهرم والخرف والردّ إلى أرذل العمر ، كما في الحديث . وهذا أظهر وأشبه بما قبله .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٢٣) في الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ،ورواه أيضاً أبو داود رقم (٥٠٧١) في الأدب : باب ما يقول إذا أصبح ، والترمذي رقم (٣٣٨٧) في الدعوات : باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى .

(*) هو أبو معاذ عبد اللّٰه بن خبيب الجهني ، حليف للأنصار مدني ، له ، ولإخوته ، صحبة ، حديثه في أهل الحجاز .
روى عنه ابنه معاذ .

(٣) رواه أبو داود رقم (٥٠٨٢) في الأدب : باب ما يقول إذا أصبح ، والترمذي رقم (٣٥٧٠) في الدعوات : باب رقم ١٢٧ والنسائي ٨/ ٢٥٠ في الاستعاذة في فاتحته ، وإسناده صحيح .

وَبِكَ أَمْسَيْنَا ، وَبِكَ نَحْيَا ، وَبِكَ نَمُوتُ ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا ، وَبِكَ أَصْبَحْنَا ، وَبِكَ نَحْيَا ، وَبِكَ نَمُوتُ ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » ، قال الترمذي : حديث حسن[١] صحيح[٢] .

وفي « صحيح البخاري » عن شداد بن أوس[*] ، عن النبي ﷺ قال : « سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ

---

(١) في نسخ الترمذي المطبوعة : حديث حسن .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٨) في الدعوات : باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ، وأبو داود رقم (٥٠٦٨) في الأدب : باب ما يقول اذا أصبح ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٣٨٦٨) في الدعاء : باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى ، وأحمد في « المسند » ٢/٣٥٤ و٤٢٢ وابن حبان رقم (٢٣٥٤) « موارد » والبخاري في « الأدب المفرد » رقم (١١٩٩) باب ما يقول إذا أصبح ، وهو حديث صحيح ، وقد صححه الحافظ ابن حجر في « أمالي الأذكار » كما في « الفتوحات الربانية » لابن علان ٣/ ٨٦ ، ولفظ الحديث في « الأدب المفرد » للبخاري أقرب من لفظ الترمذي . انظر « الأحاديث الصحيحه » رقم (٢٦٢) و (٢٦٣) .

وجعل النشور للصباح لأن الانتباه من النوم بمنزلة النشور وهو الحياة بعد الموت، وجعل المصير للمساء لأن الصيرورة إلى النوم بمنزلة الموت والمصير إلى الله تعالى والله أعلم .

(*) هو أبو يعلى شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري ، وهو ابن أخي حسان بن ثابت ، يقال : إنه شهد بدراً ، ولا يصح .

نزل بيت المقدس ، وعداده في أهل الشام .

روى عنه ابنه يعلى ، ومحمود بن الربيع ، وضمرة بن حبيب .

مات بالشام سنة ثمان وخمسين ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وقيل : مات سنة إحدى وأربعين ، وقيل : سنة أربع وستين .

قال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء : كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحكمة .

لِي ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي ، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ قَالَها حِينَ يُصْبِحُ ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ »(١) .

وفي الترمذي عن أبي هريرة : أن أبا بكر الصديق(*) قال

---

(١) تقدم تخريجه ص (٩) .

(*) هو خليفة رسول اللّه ﷺ ، أبو بكر عبد اللّه بن عثمان بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وقيل : كان اسم أبي بكر عبد رب الكعبة ، فسماه النبي ﷺ عبد اللّه ، وإنما سمي عتيقاً لأن النبي ﷺ قال: « من أراد أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر » ، وقيل : اسم سمته به أمه ، وقيل : بل سمي به لجمال وجهه .

وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد ، وماتت هي وأبوه مسلمين شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، ولم يفارقه في جاهلية ولا إسلام ، وهو أول الرجال إسلاماً، وأسلم على يده عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد اللّه، والزبير ابن العوام وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وكان أبيض نحيفاً، خفيف العارضين، معروق الوجه، غائر الجبين، ناتيء الجبهة، عاري الأشاجع. يخضب بالحناء والكتم ، له ولأبويه وولده وولد ولده صحبة ، ولم يجتمع هذا لأحد من الصحابة . تولى الخلافة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة ، وهو ثاني يوم مات فيه النبي ﷺ ، كان مولده بمكةِ بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر الا أياماً .

ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بين المغرب والعشاء ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وقيل : خمس وستون ، والأول أصح .

وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس، فغسلته .

وصلى عليه عمر بن الخطاب ودفن في الحجرة إلى جانب النبي ﷺ .

وقيل : انه اغتسل في يوم بارد ، فحم خمسة عشرة يوماً ومات ، وقيل في سبب موته غير ذلك ، وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر .

يلقى آباء النبي ﷺ في مرة بن كعب .

لرسول الله ﷺ : مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت . قال : « قُلْ : اللَّهُمّ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ ، وَأَنْ نَقْتَرِفَ سُوءاً عَلَى أَنْفُسِنَا أَوْ نَجرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ (١) . قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح(٢) .

وفي الترمذي أيضاً عن عثمان بن عفان(*) قال : قال رسول

= روى عنه عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وأنس ابن مالك وأبو هريرة والبراء بن عازب ، وزيد بن ثابت ، وعائشة ، وقيس بن أبي حازم ، وغير هؤلاء من الصحابة والتابعين .

ولم يرو عنه من الحديث إلا القليل ، لقلة مدته بعد النبي ﷺ .

(١) جملة «وأن نقترف سوءاً على أنفسنا ، أو نجره إلى مسلم » رواية أخرى من حديث عبد الله بن عمرو عند الترمذي رقم (٣٥٢٦) ومن حديث أبي مالك الأشعري عند أبي داود رقم (٥٠٨٣) وهي رواية صحيحة .

(٢) ـ وهو كما قال . رواه الترمذي رقم (٣٣٨٩) في الدعوات : باب رقم (١٤) ، وأبو داود رقم (٥٠٦٧) في الأدب : باب ما يقول إذا أصبح ، والنسائي في « الكبرى » ، كما قال الحافظ ابن حجر ، وابن حبان رقم (٢٣٤٩) « موارد » في الأذكار : باب ما يقول اذا أصبح وإذا أمسى . ورواه أيضاً الحاكم ١ / ٥١٣ وصححه ووافقه الذهبي ، قال الحافظ ابن حجر : وهو حديث صحيح ، أخرجه أحمد في « المسند » ١ / ٩ و ١٠ و ١٤ والبخاري في « الأدب المفرد » من طريقين .

(*) هو أمير المؤمنين : أبو عبد الله وأبو عمرو ، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب الأموي القرشي ، يقال : إنه كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو ، فلما ولدت له رقية بنت النبي ﷺ عبد الله اكتنى به ، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، أسلمت وكان إسلام عثمان في أول الإسلام على يد أبي بكر قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، ولم يشهد بدراً لأنه تخلف يمرض رقية بنت النبي ﷺ ، وضرب له النبي ﷺ فيها بسهم ، ولم يشهد بالحديبية بيعة الرضوان ، لأن النبي ﷺ كان بعثه إلى مكة=

الله ﷺ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَساءِ كُلِّ لَيْلَةٍ : بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ـ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ـ فَيَضُرُّهُ شَيْءٌ » . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح[1] .

«وفيه» أيضاً عن ثوبان وغيره ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي وَإِذَا أَصْبَحَ : رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً وَبِالإِسْلَامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ

= في أمر الصلح ، فلما كانت البيعة ضرب النبي ﷺ يده على يده وقال : « هذه لعثمان » .

وسمي ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول اللَّه ﷺ رقية وأم كلثوم .

وكان أبيض ربعة ، وقيل : أسمر ، رقيق البشرة ، حسن الوجه ، بعيد ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، عظيم اللحية يصغرها .

واستخلف أول يوم من المحرم سنة أربع وعشرين، وقتِل يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة ، سنة خمس وثلاثين ، وقيل : لثلاث عشرة خلت منه ، وقيل : لثلاث بقين . قتله الأسود التجيبي من أهل مصر ، وقيل غيره ، ودفن ليلة السبت بالبقيع ، وقيل : أن قبره خارج البقيع في أقصاه ، وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون سنة ، وقيل : ثمان وثمانون وقيل : تسعون .

وصلى عليه : حكيم بن خزام ، وقيل : الزبير بن العوام ، وقيل : جبير بن مطعم ، وكانت خلافته اثني عشرة سنة إلا أياماً .

يلقى آباء النبي ﷺ في عبد مناف .

روى عنه ابن الزبير ، وأنس بن مالك ، وزيد بن خالد الجهني ، وأبان ابنه ، وحمران مولاه ، ومروان بن الحكَم ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وغيرهم .

(١) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٥) في الدعوات : باب ما جاء إذا أصبح وإذا أمسى ، وأبو داود رقم (٥٠٨٨) و (٥٠٨٩) في الأدب : باب ما يقول إذا أصبح ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٣٨٦٩) في الدعاء : باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسىٰ ، وابن حبان في « صحيحه » مختصراً رقم (٢٣٥٢) «الموارد» . وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٦٢١) .

ﷺ نبياً ، كَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ أن يُرْضِيَهُ » . وقال : حديث حسن[1] صحيح[2] .

وفي الترمذي أيضاً : عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي : اللَّهُمَّ إنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ ؛ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ ، وَمَلائِكَتِكَ ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ ؛ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، أَعْتَقَ اللَّه رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَها مَرَّتَيْنِ ، أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَها ثَلاَثاً ، أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَها أَرْبعاً ، أَعْتَقَه اللَّهُ مِنَ النَّارِ »[3] .

وفي « سنن أبي داود » عن عبد الله بن غنَّام(*) ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ : اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِن نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِن خَلْقِكَ ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ ، لاَ شَرِيكَ لَكَ ، لَكَ الحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ ، فَقَدْ أَدَّىٰ شُكْرَ يَوْمِهِ ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ حِينَ يُمْسِي ، فَقَدْ أَدَّىٰ شُكْرَ لَيْلَتِهِ »[4] .

---

(١) الذي في نسخ الترمذي المطبوعة : حسن غريب ، وهو أصوب .

(٢) تقدم تخريجه ص (٩٠) رقم (١) .

(٣) تقدم تخريجه ص (٩١) رقم (٣) .

(*) هو عبد اللَّه بن غنام البياضي ، عداده في أهل الحجاز ، وحديثه عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن عبد اللَّه بن عنبسة ، عنه ، في الدعاء .

(٤) رواه أبو داود رقم (٥٠٧٣) في الأدب : باب ما يقول إذا أصبح ، ورواه أيضاً ابن حبان رقم (٢٣٦١) « موارد » في الأذكار : باب ما يقول إذا أصبح . . الخ ، ووقع عنده : عبد الله بن عباس ، بدل « عبد الله بن غنام » وهو خطأ ، وفي سنده عبد الله بن عنبسة ، وهو مجهول ، ومع ذلك فقد حسنه الحافظ كما في « شرح الأذكار » ٣/ ١٠٧ . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٧٤٢) : ضعيف .

وفي « السنن » و « صحيح الحاكم » عن عبد الله بن عمر قال : لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي ، وحين يصبح : « اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَة ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ العَفْو وَالعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ ، وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي ، وَآمِنْ رَوْعَاتِي ، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِن بَيْنِ يَدَيَّ ، وَمِنْ خَلْفِي ، وَعَنْ يَمِينِي ، وَعَنْ شِمَالِي ، وَمِن فَوْقِي ، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي »(١) قال وكيع : يعني الخسف .

وعن طلق بن حبيب(**) قال : جاء رجل الى أبي الدرداء فقال : يا أبا الدرداء ، قد احترق بيتك . فقال : ما احترق ، لم يكن اللّه ليفعل ذلك ، لكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ ، من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسي ، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : « اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، عَلَيْكَ

---

(١) رواه أبو داود رقم (٥٠٧٤) في الأدب : باب ما يقول اذا أصبح ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٥ ، والنسائي ٨/ ٢٨٢ مختصراً ، وابن ماجه رقم (٣٨٧١) في الدعاء : باب ما يدعو به الرجل اذا أصبح واذا أمسى ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٥٦) « موارد » في الأذكار : باب ما يقول اذا أصبح . . . الخ والحاكم ١/ ٥١٧ وصححه ووافقه الذهبي ، وقال الحافظ في « أمالي الأذكار » : حديث حسن ، كما في « الفتوحات الربانية » لابن علان ٣/ ١٠٨ .

(*) هو طلق بن حبيب العنزي ، من بني عنزة ، ويقال : الغنوي من بني غني بن أعصر البصري .
كان من العباد الموصوفين بكثرة العبادة ، يعد في التابعين .
روى عن عبد اللّه بن الزبير ، وجابر ، وابن عباس . روى عنه مصعب بن شيبة ، وعمرو بن دينار ، وأيوب .
ويقال : أنه كان يرى الإرجاء .

تَوَكَّلْتُ ، وَأَنْتَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً . اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِها ، إنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [1] .

* * *

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٥٧) و (٥٨) وإسناده ضعيف ، ثم رواه بنحوه من طريق آخر ضعيف . وقال العراقي في تخريجه : رواه الطبراني بسند ضعيف .

الفصـــل الثاني
في أذكار النوم

في « الصحيحين »(١) عن حذيفة(*) قال : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال : « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا » وإذا استيقظ من منامه قال : « الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَحْيَاناً بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ »(٢) .

---

(١) هو عند البخاري فقط .

(*) هو أبو عبد اللّه حذيفة بن اليمان ، واسم اليمان : حسيل بن جابر بن أسيد بن عمرو بن مازن بن ربيعة بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان العبسي ، حليف بني عبد الأشهل ، وقيل : حذيفة بن حسل ، ويقال حُسَيْل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان العبسي القطعي ، قاله ابن عبد البر .

واليمان لقب له ، وإنما قيل : لحسيل اليمان لأنه من ولد جروة بن الحارث بن قطيعة . وجروة كان يلقب باليمان ، وذلك لأنه أصاب في قومه دماً ، فهرب إلى المدينة ، فحالف بني عبد الأشهل ، فسماه قومه اليمان ، لأنه حالف اليمانية ، يعنون الأنصار ، شهد حذيفة وأبوه أحداً ، وهو صاحب سر رسول اللّه ﷺ ، هاجر إلى النبي ﷺ مع أبيه أيام بدر ولم يشهدها .

روى عنه عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب، وأبو الدرداء ، وغيرهم من الصحابة والتابعين .

مات بالمدائن وبها قبره سنة خمس وثلاثين ، وقيل : سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بأربعين ليلة .

(٢) رواه البخاري ١١/ ٩٦ في الدعوات : باب ما يقول إذا نام ، وباب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن ، وباب ما يقول اذا أصبح ، وفي التوحيد ، باب السؤال بأسماء الله تعالى ، ولم يروه مسلم كما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى من حديث حذيفة رضي الله عنه وانما رواه من حديث البراء بن عازب رقم (٢٧١١) في الذكر : باب ما يقول=

وفي « الصحيحين » أيضاً ، عن عائشة ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذَا أَوَى إلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا يَقْرَأُ فِيهِمَا : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس** ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِه ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَفْعَلُ ذٰلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ [1] .

وفي « صحيح البخاري » عن أبي هريرة أنه أتاه آتٍ يحثو من الصدقة ، وكان قد جعله النبي ﷺ عليها ليلة بعد ليلة ، فلما كان في الليلة الثالثة قال : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قال : دعني أعلمْك كلمات ينفعك الله بهن ـ وكان[2] أحرص شيء على الخير ـ فقال : إذَا أَوَيْتَ إلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ ﴿ **اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ** ﴾ حَتَّى تَخْتِمَهَا[3] ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ . فقال النبي ﷺ : « صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ »[4] .

= عند النوم ، ورواه أيضاً البخاري من حديث أبي ذر رضي الله عنه ١١/ ١١١ و١٣/ ٣٢١ ، ورواه أيضاً من حديث حذيفة أبو داود رقم (٥٠٤٩) في الأدب : باب ما يقال عند النوم ، والترمذي رقم (٣٤١٣) في الدعوات : باب ما يدعو به عند النوم ، وابن ماجه رقم (٣٨٨٠) في الدعاء : باب ما يدعو به اذا انتبه من الليل ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٣٨٥ و٣٩٧ و٣٩٩ و٤٠٧ .

(١) رواه البخاري ٩/ ٥٦ في فضائل القرآن : باب فضل المعوذات ، وأبو داود رقم (٥٠٥٦) في الأدب : باب ما يقول عند النوم ، والترمذي رقم (٣٣٩٩) في الدعوات : باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام ، وأحمد في « المسند » ٦/ ١١٦ و١٥٤ .

(٢) في نسخ البخاري المطبوعة : وكانوا ، يعني الصحابة .

(٣) في نسخ البخاري : حتى تختم الآية .

(٤) تقدم تخريجه ص(١٧١) رقم (٢) .

وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة في « مسنده » أنها جرت لأبي الدرداء[1] ، ورواها الطبراني في « معجمه » أنها جرت لأبيّ بن كعب[2] .

وفي «الصحيحين» عن أبي مسعود الأنصاري(*)، عن النبي ﷺ قال: « مَنْ قَرَأَ بالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَة فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ »[3] .

---

(١) لم نجد في « مسند أحمد » أن القصة وقعت لأبي الدرداء وإنما الذي في « المسند » ٥/ ٤٢٣ أن القصة وقعت لأبي أيوب الأنصاري ، وقد رواه أيضاً الترمذي رقم (٢٨٨٣) في ثواب القرآن : باب فضل آية الكرسي ، وهو حديث حسن .

(٢) الذي في الطبراني أنها جرت لمعاذ بن جبل ، وذكر الحافظ في « الفتح » : أن قصة أُبَيٍّ رواها النسائي . قلت : ولم أجدها عند النسائي ولعلها في « الكبرى » والله أعلم .

(*) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة ، ويقال : يسيرة بن عسيرة بن عطية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري البدري النجّاري ، شهد العقبة الثانية ، وكان أصغر من شهدها ، ولم يشهد بدراً عند جمهور أهل العلم بالسير ، وقيل : إنه شهدها ، والأول أصح ، وإنما نسب إلى ماء بدر ، لأنه نزله فنسب إليه ، وسكن الكوفة ، ومات في خلافة علي بن أبي طالب ، وقيل : في سنة إحدى أو اثنتين وأربعين .

وروى عنه ابنه بشير ، وعبد اللّه بن يزيد الأنصاري ، ومحمد بن عبد اللّه بن زيد الأنصاري ، وعمرو بن ميمون ، وأبو وائل شقيق بن سلمة .

(٣) رواه البخاري ٩/ ٥٠ في « فضائل القرآن » : باب فضل سورة البقرة ، وباب من لم ير بأساً أن يقول : سورة البقرة ، وباب كم يقرأ من القرآن ، وفي المغازي : باب شهود الملائكة بدراً ، ومسلم رقم (٨٠٨) في صلاة المسافرين : باب فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٢٨٨٤) في ثواب القرآن : باب ما جاء في آخر سورة البقرة ، وأبو داود رقم (١٣٩٧) في الصلاة : باب تحزيب القرآن ، وابن ماجه رقم (١٣٦٩) في الإقامة : باب ما جاء فيما يرجى أنه يكفي من قيام الليل ، وأحمد في « المسند » ٤/ ١١٨ و١٢١ و١٢٢ ، والدارمي رقم (١٤٩٥) في الصلاة : باب من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة ، ورقم (٣٣٩١) في فضائل القرآن : باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي .

الصحيح : أن معناها : كفتاه من شر ما يؤذيه ، وقيل : كفتاه من قيام الليل ، وليس بشيء .

وقال علي بن أبي طالب : ما كنت أرى أحداً يَعْقِلُ وَيَنَامُ قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة ﴿ البقرة ﴾ .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : « إذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إلَيْهِ ، فَلْيَنْفُضْه بِصَنِفَةِ إزَارِهِ[1] ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، فَإنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ ، وَإذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ ؛ باسْمِكَ اللَّهُمَّ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، فَإن أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا ، وَإن أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ »[2] .

وفي « الصحيحين » عنه عن النبي ﷺ : « إذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَقُلْ : الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي ، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي ، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ »[3] .

---

(١) قال ابن الأثير في « النهاية » : صنفة الأزار (بفتح الصاد) : طرفه مما يلي طرته .

(٢) رواه البخاري ١١/ ١٠٧ في الدعوات : باب التعوذ والقراءة عند المنام ، وفي التوحيد : باب السؤال بأسماء الله تعالى ، ومسلم رقم (٢٧١٤) في الذكر : باب ما يقول عند النوم ،ورواه أيضاً الترمذي رقم (٣٣٩٨) في الدعوات : باب رقم ٢٠ واللفظ الذي ساقه المصنف هنا قريب من لفظ الترمذي ، وأبو داود رقم (٥٠٥٠) في الدعوات : باب ما يقال عند النوم ، وابن ماجه رقم (٣٨٧٤) في الدعاء : باب ما يدعو به أذا أوى إلى فراشه ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٤٦ و٢٨٣ و٢٩٥ و٤٢٢ و٤٣٢ ، والدارمي رقم (٢٦٨٧) في الاستئذان : باب الدعاء عند النوم .

(٣) ليس هو في « الصحيحين » بهذا اللفظ كما ذكر المصنف ، بل هو عند ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٩) وهو عند الترمذي جزء من الحديث الذي قبله ، وإسناده حسن .

وقد تقدَّم[1] حديث علي ، ووصية النبي ﷺ له ولفاطمة رضي اللَّه تعالى عنهما : أن يسبِّحا إذا أخذا مضاجعهما للنوم ثلاثاً وثلاثين ، ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ، ويكبِّرا أربعاً وثلاثين ، وقال : « هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس اللَّه روحه : بلغنا أنه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره .

وفي « سنن أبي داود » عن حفصة أم المؤمنين(*) : أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يرقد ، وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول : « اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ » ثلاث مرات[2] ، قال

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٥٦) برقم (١)

(*) هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية القرشية ، وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، كانت قبل رسول اللَّه ﷺ تحت خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي ، هاجرت معه ، ومات عنها بعد غزوة بدر ، فلما تأيمت ذكرها عمر على أبي بكر وعثمان ، فلم يجبه واحد منهما ، فخطبها رسول اللَّه ﷺ ، فأنكحه إياها في سنة ثلاث ، وقيل : سنة اثنتين ، والأول أكثر ، وطلقها تطليقة واحدة ، ثم راجعها ، نزل عليه الوحي يقول : ارجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة ، وإنها زوجتك في الجنة .

روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين ، منهم أخوها عبد اللَّه بن عمر ، وعبد اللَّه ابن صفوان ، والمطلب بن أبي وداعة ، ونافع مولى بن عمر . وماتت في شعبان سنة خمس وأربعين ، وقيل : سنة إحدى وأربعين ، وهي ابنة ستين سنة . وقيل : إنها ماتت في خلافة عثمان .

(٢) رواه أبو داود رقم (٥٠٤٥) في الأدب : باب ما يقال عند النوم . ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٦/ ٢٨٧ و٢٨٨ ، وهو حديث صحيح وليس عند الترمذي من حديث حفصة رضي الله عنها .

الترمذي : حديث حسن[1] .

وفي « صحيح مسلم » عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : « الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا ، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ ، وَلَا مُؤْوِيَ »[2] .

وفي « صحيحه » أيضاً ، عن ابن عمر أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول : « اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي ، وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا ، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا ، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا ، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ » . قال ابن عمر : سمعتهن من رسول الله ﷺ[3] .

وفي الترمذي ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ

---

(١) رواه الترمذي من حديث حذيفة رضي الله عنه رقم (٣٣٩٥) في الدعوات : باب رقم (١٨) ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٣٨٢ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، ورواه أيضاً بسند آخر مسلم رقم (٧٠٩) في صلاة المسافرين : باب استحباب يمين الامام ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٢٨١ و ٢٩٠ و ٢٩٨ و ٣٠٠ و ٣٠٣ و ٣٠٤ ، وابن حبان رقم (٢٣٥٠) « موارد » في الأذكار : باب ما يقول إذا أصبح . . . الخ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٧١٥) في الذكر : باب ما يقول عند النوم ، والترمذي رقم (٣٣٩٣) في الدعوات : باب ما جاء في الدعاء اذا أوى إلى فراشه ، وأبو داود رقم (٥٠٥٣) في الأدب : باب ما يقال عند النوم ، وأحمد في « المسند » ٣/ ١٥٣ و ١٦٧ و ٢٥٣ .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٧١٢) في الذكر والدعاء : باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/ ٧٩ .

كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا »[١] .

وفي « صحيح مسلم » ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ ، وَرَبَّ الأَرْضِ ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ ، رَبَّنا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَىٰ ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ[٢] أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِه ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ »[٣] .

وفي « الصحيحين » عن البراء بن عازب قال : قال لي رسول اللَّه ﷺ : « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلْصَّلاَةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّكَ الأَيْمَنِ وَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسي[٤] إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ،

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٣٩٤) في الدعوات : باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه . ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/ ١٠ ، وإسناده ضعيف .

(٢) هذا لفظ أحمد وأبي داود ، ولفظ مسلم والترمذي : « أعوذ بك من شر كل شيء » .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٧١٣) في الذكر ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/ ٣٨١ و٤٠٤ و٥٣٢ وأبو داود رقم (٥٠٥١) في الأدب : باب من الأدعية عند النوم ، وابن ماجه رقم (٣٨٧٣) في الدعاء : باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه .

(٤) قوله : « أسلمت نفسي إليك » وفي رواية « أسلمت وجهي اليك » أي استسلمت وجعلت نفسي منقادة لك طائعة لحكمك . يقال : سلم وأسلم واستسلم بمعنى .

آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْت ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْت ، فَإِن مِتَّ [مِنْ لَيْلَتِكَ] مِتَّ عَلَىٰ الفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ »(١) .

الفصــل الثالـث
في أذكار الانتباه من النوم

روى البخاري في « صحيحه » ، عن عبادة بن الصامت(*) ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ (٢) فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

---

(١) رواه البخاري ١١/ ٩٧ في الدعوات : باب ما يقول اذا نام ، وباب اذا بات طاهراً ، وباب النوم على الشق الأيمن ، وفي التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ **أنزله بعلمه والملائكة يشهدون** ﴾ ، ومسلم رقم (٢٧١٠) في الذكر والدعاء : باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، والترمذي رقم (٣٣٩١) في الدعوات : باب ما جاء في الدعاء اذا أوى إلى فراشه ، ورقم (٣٥٦٩) في الدعوات : باب ما يقال عند النوم ، وأبو داود رقم (٥٠٤٦) و (٥٠٤٧) و (٥٠٤٨) في الأدب : باب ما يقال عند النوم ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٢٨٥ و ٣٠٠ ، والدارمي رقم (٢٦٨٦) في الاستئذان : باب الدعاء عند النوم ، وابن ماجه رقم (٣٨٧٦) في الدعاء : باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه . والزيادة من صحيح مسلم .

(*) هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاري السالمي ، كان نقيباً ، وشهد العقبة الأولى والثانية والثالثة ، وآخا رسول اللّه ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي ، وشهد بدراً ، والمشاهد كلها ، ثم وجهه عمر إلى الشام قاضياً ، ومعلماً ، فأقام بحمص ، ثم انتقل إلى فلسطين ، ومات بها في الرملة ، وقيل : ببيت المقدس ، سنة أربع وثلاثين ، وهو ابن اثنتين وسبعين .

روى عنه أنس بن مالك ، وجابر بن عبد اللّه ، وفضالة بن عبيد ، والمقداد ، وغيرهم من الصحابة والتابعين .

وقيل : إنه أقام إلى زمن معاوية ومات .

(٢) تعار : استيقظ من النوم مع كلام .

وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ . الحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، أَوْ دَعَا ، اسْتُجِيبَ لَهُ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّىٰ قُبِلَتْ صَلاَتُهُ »[١] .

وفي الترمذي عن أبي أمامة (*) قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « مَنْ أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ طَاهِراً ، وَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَىٰ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ النُّعَاسُ ، لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَىٰ فِيهَا خَيْراً ـ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ ـ إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ » حديث حسن[٢] .

وفي « سنن أبي داود » ، عن عائشة ، أن رسول اللَّه ﷺ كان

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٣٣ في التهجد ، باب فضل من تعار من الليل فصلى ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٣٤١١) في الدعوات : باب ما جاء في الدعاء إذا انتبه من الليل ، وأبو داود رقم (٥٠٦٠) في الأدب : باب ما يقول إذا تعار من الليل ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٣١٣ ، وابن ماجه رقم (٣٨٧٨) في الدعاء : باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل .

(*) هـو صدي بن عجلان الباهلي ، وقد اختلف في نسبه وابائه مع اتفاقهم على كنيته ، واسمه ، واسم ابيه ، وأنه باهلي .

سكن مصر ، ثم انتقل إلى حمص ، ومات بها ، وكان من المكثرين في الرواية ، وأكثر حديثه عند الشاميين .

روى عنه سليم بن عمير ، ومحمد بن زياد ، وخالد بن معدان ، وسليمان بن حبيب المحاربي .

مات سنة ست وثمانين ، وقيل : سنة إحدى وثمانين ، وله إحدى وتسعون سنة ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام ، وقيل : إن آخر من مات منهم بالشام عبد اللَّه ابن بسر .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٥٢٥) في الدعوات ، باب رقم ١٠٠ وإسناده ضعيف لكن له شواهد يقوى بها ، فلذلك قال الترمذي : هذا حديث حسن . وحسنه الحافظ في « أمالي الأذكار » بشواهده كما في « الفتوحات الربانية » ٣/ ١٦٥ لابن علان . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٥٠٥) : ضعيف .

إذا استيقظ من الليل قال : « لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي ، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْماً ، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي ، وَهَبْ لِي مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَّهَابُ »(١) .

الفصل الرابع
في أذكار الفزع في النوم والقلق

روى الترمذي عن بريدة قال : شكا خالد بن الوليد(*) إلى

---

(١) رواه أبو داود رقم (٥٠٦١) في الأدب : باب ما يقال عند النوم ، ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٥٩) « موارد » في الأذكار : باب ما يقول إذا أصبح . . الخ . والحاكم في « المستدرك » ١/ ٥٤٠ وصححه ووافقه الذهبي . وفي سنده عبد الله بن الوليد بن قيس التجيبي البصري ، وهو لين الحديث كما قال الحافظ في « التقريب » .

(*) هو أبو سليمان، وقيل: أبو الوليد بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، وأمه لُبانة الصغرى ،وقيل: الكبرىٰ - والأكثر الأول . بنت الحارث أخت ميمونة زوج النبي ﷺ ، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية وكانت إليه الأعنة ، واختلف في وقت إسلامه وهجرته فقيل : هاجر بعد الحديبية ، وقيل: بين الحديبية وخيبر ،وقيل: بعد بني قريظة سنة خمس ، وقيل: سنة ثمان مع عمرو بن العاص وعثمان ابن طلحة ، وأبلى في الإسلام بلاءً حسناً ، وسماه رسول اللّه ﷺ سيف اللّه ، ولا يصح له مشهد مع رسول اللّه ﷺ قبل فتح مكة ، ولما عزله عمر بن الخطاب عن حمص لم يزل مرابطاً بها إلى أن مات فيها سنة إحدى وعشرين أو اثنين وعشرين ، وأوصى إلى عمر بن الخطاب .

روى عنه ابن عباس، قال محمد بن سلام: لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على قبر خالد بن الوليد ، يعني حلقت رأسها .

قلت : وللاطلاع على عبقرية خالد بن الوليد العسكرية انظر كتاب « خالد بن الوليد » للجنرال الباكستاني أكرم نيازي فهو من أبدع ما كتب .

النبي ﷺ فقال : يا رسول اللَّه ، ما أنام الليل من الأرق . فقال النبي ﷺ : « إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ ، وَرَبَّ الأَرْضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ ، كُنْ لِي جَاراً مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعاً ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، أَوْ يَبْغَى[1] عَلَيَّ ، عَزَّ جَارُكَ ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ »[2] .

وفي « سنن أبي داود » والترمذي عن عبد اللَّه بن عمرو ، أن رسول اللَّه ﷺ كان يعلِّمهم من الفزع كلمات : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِن غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ ، وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَنْ يَحْضُرُونَ »[3] .

وكان عبد اللَّه بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ، ومن لم يعقل كتبه وعلقه عليه .

* * *

---

(١) في النسخ المطبوعة من هذا الكتاب : يطغى : وما أثبتناه من نسخ الترمذي .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٥١٨) في الدعوات : باب رقم ٩٦ والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » وابن أبي شيبة ، وفي سنده الحكم بن ظهير ، وهو متروك ، وقال الترمذي : هذا حديث ليس إسناده بالقوي . فالحديث ضعيف .

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٨٩٣) في الطب : باب كيف الرقى ، والترمذي رقم (٣٥١٩) في الدعوات : باب رقم ٩٦ ، وأحمد في « المسند » ٢/ ١٨١ ، وفيه عنعنة ابن اسحاق ، لكن له شاهد مرسل في « الموطأ » وابن السني .

وقد اختلف السلف من التابعين وغيرهم في جواز تعليق التمائم من القرآن ، فأجازه بعضهم ، وكرهه بعضهم ، وكرهه آخرون ، وهو الأحسن .

انظر « جامع الأصول » لابن الأثير ٤/ ٢٧٣ ـ ٣٧٤ .

الفصـــل الخامس
في أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها

في « الصحيحين » عن أبي قتادة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ ، والحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ الشَّيْءَ يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ إِذَا اسْتَيْقَظَ ، وَلِيَتعوَّذ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّها ، فَإِنَّهَا لَنْ تَضرّهُ إِنْ شَآءَ اللَّهُ» . قال أبو قتادة : كنت أرى الرؤ يا تمرضني ، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ ، فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلا يُحَدِّث بِهِ إِلَّا مَنْ يُحبُّ ، وَإِذَا رَأَىٰ مَا يَكْرَهُ فَلا يُحَدِّث بِهِ ، وَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ [ثلاثاً] ، وَلْيَتَعوَّذ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا رَأَىٰ فَإِنَّها لا تُضُرَّهُ »(١) .

وفي « صحيح مسلم » عن جابر ، عن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ الرُؤْيَا يَكْرَهُهَا ، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ،

(١) البخاري ١٠/ ١٧٧ و١٧٨ في الطب : باب النفث في الرقية ، وفي بدء الخلق : باب صفة ابليس وجنوده ، وفي التعبير : باب الرؤ يا من الله ، وباب الرؤ يا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، وباب من رأى النبي ﷺ في المنام ، وباب الحلم من الشيطان فإذا حلم فليبصق عن يساره ، وباب اذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها ، ومسلم رقم (٢٢٦١) في الرؤ يا في فاتحته ، و« الموطأ » ٢/ ٩٥٧ في الرؤ يا : باب ما جاء في الرؤ يا ، والترمذي رقم (٢٢٨٨) في الرؤ يا : باب ما جاء اذا رأى في المنام ما يكره ، وأبو داود رقم (٥٠٢١) في الأدب : باب ما جاء في الرؤ يا ، وابن ماجه رقم (٣٩٠٩) في تعبير الرؤ يا : باب من رأى رؤ يا يكرهها . والزيادة « من صحيح مسلم » .

وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثاً ، وَلِيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ »(١) .

ويذكر عن النبي ﷺ أن رجلاً قص عليه رؤ يا فقال : « خَيْراً رَأَيْتَ ، وَخَيْراً يَكُونُ » .

وفي رواية : « خَيْراً تَلْقَاهُ ، وَشَرّاً تُوقَاهُ . خَيْراً لَنَا ، وَشَرّاً عَلَىٰ أَعْدَائِنَا ، وَالحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ »(٢) .

الفصل السادس
في أذكار الخروج من المنزل

في « السنن » عن أنس قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « مَنْ قَالَ - يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ - : بِسْمِ اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » ، يُقَالُ لَهُ : كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَهُدِيتَ ، وَتَنَحَّىٰ عَنْهُ الشَّيْطَانُ ، فَيَقُولُ لِشَيْطَانٍ آخَرَ ، كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ ؟ »(٣) .

وفي مسند الإمام أحمد : « بِسْمِ اللَّهِ ، آمَنْتُ بِاللَّهِ ،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٦٢) في الرؤ يا في فاتحته ، وأبو داود رقم (٥٠٢٢) في الأدب : باب ما جاء في الرؤ يا ، وابن ماجه رقم (٣٩٠٨) وأحمد في « المسند » ٣/ ٣٥٠ .

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٧٧٢) و (٧٧٣) من حديث ابن زمل ، واسمه عبد الله ، وعزاه الحافظ في الفتح للطبراني والبيهقي في « الدلائل » ثم قال : سنده ضعيف جداً .

(٣) تقدم تخريجه ص (١٧٠) رقم (٢) .

وَاعْتَصَمْتُ بِـاللَّهِ ، تَـوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ ، لَا حَـوْلَ وَلَا قُـوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ »[1] حديث حسن .

وفي السنن الأربع ، عن أم سلمة[*] قـالت : ما خـرج رسـول اللّه ﷺ من بيتي إلا رفـع طـرفـه إلى السمـاء فقـال : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَو أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح[2] .

* * *

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ١/ ٦٦ وفي سنده مجهول ، لكن يشهد له معنى الذي قبله .

(*) هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية ، واسم أبي أمية سهيل بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم ، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمة بن علقمة بن فراس . ويقال : اسم أم سلمة رملة ، وليس بشيء .

وكانت قبل رسول اللّه ﷺ تحت أبي سلمة بن الأسد ، وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى أرض الحبشة ، ويقال : إن أم سلمة أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة ، وقيل : غيرها . فولدت له بأرض الحبشة زينب ، وولدت له بعد ذلك سلمة في ليال بقين من شوال من السنة التي مات فيها أبو سلمة ، وماتت سنة تسع وخمسين ، وقيل : عمرها أربعاً وثمانين سنة .

روى عنها ابن عباس ، وعائشة ، وزينب بنتها ، وعمر ابنها ، وابن المسيب ، وخلق سواهم كثير من الصحابة والتابعين .

(٢) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٤) في الأدب : باب ما يقول إذا خرج من بيته ، والترمذي رقم (٣٤٢٣) في الدعوات : باب رقم ٣٥ ، والنسائي ٨/ ٢٦٨ في الاستعاذة : باب الاستعاذة من الضلال ، وابن ماجه رقم (٣٨٨٤) في الدعاء : باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته ، وإسناده صحيح ، وأخرجه أيضاً أحمد في « المسند » ٦/ ٣٠٦ و٣١٨ و٣٢٢ وابن السني رقم (١٧٥) والحاكم وغيرهم .

الفصل السابع
في أذكار دخول المنزل

في « صحيح مسلم » عن جابر ، قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ ، فَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَىٰ عِنْدَ دُخُولِهِ ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : لاَ مَبيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَىٰ عِنْدَ دُخُولِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : أَدْرَكْتُمُ المَبيتَ ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَىٰ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ : أَدْرَكْتُمُ المَبيتَ وَالعَشَاءَ »[1] .

وفي « سنن أبي داود » عن أبي مالك الأشعري(*) قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٠١٨) في الأشربة : باب آداب الطعام والشراب ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٣٧٦٥) في الأطعمة : باب التسمية على الطعام ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٣٤٦ و٣٨٣ ، وابن ماجه رقم (٣٨٨٧) في الدعاء : باب ما يدعو به إذا دخل بيته ، وابن السني رقم (١٥٧) .

(*) هو كعب بن عاصم الأشعري . قال أبو حاتم : سمعت اسماعيل بن أبي أويس يقول : أبو مالك الأشعري كعب بن عاصم ، وكذلك قال أبو بكر بن أبي شيبة ، والبخاري في « التاريخ » وأبو حاتم ، وقال : روى عنه عبد الرحمن بن غنم ، وأم الدرداء ، وشريح بن عبيد .

وقال أبو حاتم أيضاً : قيل : اسمه عبد اللّه ، وقيل : عمرو ، وقيل : عبيد .

وقال البخاري في رواية عبد الرحمن بن غنم عنه : حدثنا أبو مالك وأبو عامر بالشك .

قال ابن المديني : وأبو مالك هو الصواب .

روى عنه جابر بن عبد اللّه ، وعبد الرحمن بن غنم ، وخالد بن أبي مريم .

مات في خلافة عمر بن الخطاب .

ويقال : إنه هو أبو مالك الأشجعي .

خَيْرَ المَوْلَجِ ، وَخَيْرَ المَخْرَجِ ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا ، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا ، وَعَلَىٰ اللَّهِ رَبِّنا تَوَكَّلْنَا ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَىٰ أَهْلِهِ »[1] .

وفي الترمذي عن أنس ، قال : قال لي رسول اللّه ﷺ : « يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَىٰ أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِكَ »[2] . قال الترمذي : حديث حسن صحيح[3] .

الفصل الثامن
في أذكار دخول المسجد والخروج منه

في « صحيح مسلم » ، عن أبي حميد[*] ، أو أبي

---

(١) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٦) في الأدب : باب ما يقول إذا خرج من بيته ، وإسناده صحيح . انظر ما قاله الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٢٢٥) حول الحديث .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٦٩٩) في الدعوات : باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته ، وهو حديث حسن بطرقه .

(٣) قال الحافظ في تخريج الأذكار : أخرجه الترمذي وقال : حديث غريب كذا في كثير من النسخ المعتمدة منها بخط الحافظ أبي علي الصدفي ، ووقع بخط الكروخي : حسن صحيح .

(*) هو عبد الرحمن بن سعد ، ويقال : عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن المنذر ، وقيل : عبد الرحمن بن سعد بن مالك ، وقيل : المنذر بن سعد بن المنذر ، والأول أشهر .

فهو عبد الرحمن بن سعد بن المنذر بن سعد بن خالد بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ابن ساعدة الأنصاري الخزرجي الساعدي ، المدني ، غلبت عليه كنيته .

روى عنه جابر بن عبد اللّه ، والعباس بن سهل ، وعروة بن الزبير ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، ومحمد بن عمرو بن عطاء .

مات في آخر ولاية معاوية .

أُسيد(*) قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ إِلَى المَسْجِدِ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»(١).

وفي «سنن أبي داود»، عن عبد اللَّه بن عمرو عن النبي ﷺ: أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أَعُوذُ باللَّهِ العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ القَدِيمِ، مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فإذا قَالَ ذلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ اليَوْمِ(٢).

* * *

(*) هو مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري، الساعدي، المدني، شهد بدراً وأُحداً، والمشاهد كلها، وهو مشهور بكنيته.

روى عنه أنس بن مالك، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وإبراهيم بن محمد بن طلحة، وحمزة والمنذر ابناه، وعباس بن سهل الساعدي.

مات سنة ستين، وقيل غير ذلك، وله ثمان وسبعون سنة، وقيل غير ذلك، بعد أن ذهب بصره.

وهو آخر من مات من البدريين.

(١) رواه مسلم رقم (٧١٣) في صلاة المسافرين: باب ما يقول إذا دخل المسجد، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٤٦٥) في الصلاة: باب ما يقوله الرجل عند دخول المسجد، والنسائي ٣/ ٥٣ في المساجد: باب القول عند دخول المسجد وعند الخروج منه وابن ماجه عن أبي حميد فقط رقم (٧٢٢) والترمذي رقم (٣١٤) عن فاطمة رضي الله عنها. وجملة: «فليسلم على النبي ﷺ» ليست عند مسلم، وإنما هي عند أبي داود.

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٦٦) في الصلاة: باب ما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، وإسناده جيد، وحسنه الحافظ ابن حجر في «تخريج الأذكار». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٥٩١).

الفصـــل التاســع
في أذكــار الآذان

وفي « الصحيحين » عن أبي سعيد قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إِذَا سَمِعْتُمُ النِّداءَ فَقولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ »(١) .

وفي « صحيح مسلم » عن عبد اللَّه بن عمرو ، أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : « إِذَا سَمِعْتُمْ المُؤَذِّنَ ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاةً ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الوَسِيلَةَ ، فَإِنَّها مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ »(٢) .

وفي « صحيح مسلم » عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إِذَا قَالَ المُؤَذِّنُ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَقَالَ

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٧٤ في الأذان : باب ما يقول إذا سمع المؤذن ، ومسلم رقم (٣٨٣) في الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن . ورواه أيضاً « الموطأ » ١/ ٦٧ في الصلاة : باب ما جاء في النداء للصلاة ، وأبو داود رقم (٥٢٢) في الصلاة : باب ما يقول اذا سمع المؤذن ، والترمذي رقم (٣٦١٩) في المناقب : باب رقم (٣) ، والنسائي ٢/ ٢٥ في الأذان : باب الصلاة على النبي ﷺ ، وأحمد في « المسند » ٢/ ١٦٨ .

(٢) رواه مسلم رقم (٣٨٤) في الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن ، ورواه أيضاً : أبو داود رقم (٥٢٣) في الصلاة : باب ما يقول : إذا سمع المؤذن ، والترمذي رقم (٣٦١٩) في المناقب : باب رقم (٣) ، والنسائي ٢/ ٢٥ في الأذان : باب الصلاة على النبي ﷺ ، وأحمد في « المسند » ٢/ ١٦٨ .

أَحَدُكُمْ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، قَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ ، قَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ ، دَخَلَ الجَنَّةَ »(١) .

وفي « صحيح البخاري » عن جابر : أن رسول اللَّه ﷺ قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَةِ ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ ، آتِ مُحَمَّداً الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ »(٢) .

وفي « سنن أبي داود » ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : يا رسول اللَّه ، إنَّ المؤذنين يفضلوننا . فقال رسول اللَّه ﷺ : « قُلْ كَمَا يَقُولُونَ ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ ، فَسَلْ تُعْطَهْ »(٣) .

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٨٥) في الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه .

(٢) رواه البخاري ٢/ ٧٧ و ٧٨ في الأذان : باب الدعاء عند النداء ، وفي تفسير سورة بني اسرائيل : باب قوله تعالى : ﴿ **وعسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٥٢٩) في الصلاة : باب ما جاء في الدعاء عند الأذان ، والترمذي رقم (٢١١) في الصلاة : باب ما يقول الرجل اذا أذن المؤذن من الدعاء ، والنسائي ٢/ ٢٧ في الأذان : باب الدعاء عند الأذان ، وابن ماجه رقم (٧٢٠) في الأذان والسنة فيها : باب ما يقال إذا أذن المؤذن ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٣٥٤ .

(٣) رواه أبو داود رقم (٥٢٤) في الصلاة : باب ما يقول اذا سمع المؤذن ، ورواه أيضاً =

وفي الترمذي عن أنس قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ » . قالوا : فماذا نقول يا رسول اللَّه ؟ قال : « سَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح(١) .

وفي « سنن أبي داود » ، عن سهل بن سعد(*) قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانَ ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانَ : الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ ، وَعِنْدَ البَأْسِ حِينَ يَلْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً »(٢) .

= أحمد في « المسند » ٢/ ١٧٢ ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٩٥) « موارد » في الأذان : باب فضل الأذان والمؤذن واجابته واسناده حسن .

(١) رواه الترمذي رقم (٢١٢) في الصلاة : باب رقم (٤٦) ، ورقم (٣٥٨٨) و (٣٥٨٩) في الدعوات : باب رقم (١٣٨) ، وأبو داود رقم (٥٢١) في الصلاة : باب في الدعاء بين الأذان والإقامة ، وفي سنده زيد العمّي ، وهو زيد بن الحواري ، أبو الحواري ، قاضي هراة ، وهو ضعيف ، وفيه أيضاً يحيى بن اليمان العجلي ، وهو صدوق عابد يخطىء كثيراً وقد تغير ، وقد رواه أحمد في « المسند » ٣/ ١٥٥ و ٢٢٥ من طريق أخرى عن أنس بلفظ « الدعوة لا ترد بين الأذان والاقامة فادعوا » ، واسناده صحيح ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان رقم (٢٩٦) « موارد » ، وغيرهما . انظر « ارواء الغليل » للألبانى رقم (٢٤٤) .

(*) هو أبو العباس سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الساعدي الأنصاري الخزرجي ، ويقال : كان اسمه حزناً ، فسماه النبي ﷺ سهلاً . مات النبي ﷺ وله خمس عشرة سنة .

ومات سهل بالمدينة سنة إحدى وتسعين ، وقيل : سنة ثمانٍ وثمانين ، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة .

روى عنه ابنه العباس ، والزهري ، وأبو حازم سلمة بن دينار .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٥٤٠) في الجهاد : باب الدعاء عند اللقاء ، وهو حديث صحيح ، ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٩٧) و (٢٩٨) « موارد » في الأذان : باب فضل الأذان والمؤذن واجابته ، والدارمي رقم (١٢٠٣) في الصلاة : باب الدعاء عند الأذان .

وفي « سنن أبي داود » عن أم سلمة قالت : علَّمني رسول اللّه ﷺ أن أقول عند المغرب : « اللَّهُمَّ هٰذَا إِقْبَالُ لَيْلِكَ ، وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ ، وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ ، وَحُضُورُ صَلَوَاتِكَ ، فَاغْفِرْ لِي »(١) .

وفي « سنن أبي داود » ، عن بعض أصحاب النبي ﷺ ، أن بلالاً(*) أخذ في الإقامة ، فلما أن قال : قد قامت الصلاة ، قال النبي ﷺ : « أَقَامَهَا اللّهُ وَأَدَامَهَا »(٢) .

فهذه خمس سنن في الأذان : إجابته ، وقول : رضيت باللّه رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً حين يسمع التشهد ، وسؤال اللّه تعالى لرسوله ﷺ الوسيلة والفضيلة ، والصلاة عليه ﷺ ، والدعاء لنفسه ما شاء .

وعن سعد بن أبي وقاص ، عن رسول اللّه ﷺ قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ : وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلّا اللّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ

---

(١) رواه أبو داود رقم (٥٣٠) في الصلاة ، باب ما يقول عنه أذان المغرب ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٣٥٨٣) في الدعوات ، : باب رقم ١٣٧ ، وفي سنده أبو كثير مولى أم سلمة ، وهو مجهول ، وقال الترمذي : حديث غريب ، وحفصة بنت أبي كثير لا نعرفها ولا أباها .

(*) هو أبو عبد الرحمن ،وقيل : أبو عبد اللّه ، وقيل : أبو عبد الكريم ، وقيل : أبو عمرو ، بلال بن رباح ، مولى أبي بكر الصديق ، وأمه حمامة . وهو من مولدي السراة ، أسلم قديماً ، وهو أول من أظهر إسلامه بمكة ، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد . وسكن الشام أخيراً ، ولا عقب له .

روى عنه أبو بكر ، وعمر ، وابن عمر ، وجماعة من الصحابة والتابعين .

ومات بدمشق سنة عشرين ، وقيل : ثماني عشرة . ودفن بباب الصغير ، وله بضع وستون سنة ، وقيل : سبعون سنة ، وقيل : مات بحلب ودفن بباب الأربعين .

(٢) رواه أبو داود رقم (٥٢٨) في الصلاة : باب ما يقول إذا سمع الإقامة وإسناده ضعيف .

لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيتُ بِاللّهِ رَبّاً ، وَالإِسْلَامِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً ، غَفَرَ اللّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ »(١) .

الفصـــل العــاشــر
في أذكـــار الاستفـتـاح

في « الصحيحين » أن النبي ﷺ كان يقول في استفتاحه : « اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ ، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ »(٢) .

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٨٦) في الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، وأبو داود رقم (٥٢٥) في الصلاة : باب ما يقول اذا سمع المؤذن ، والترمذي رقم (٢١٠) في الصلاة : باب ما جاء ما يقول الرجل اذا أذن المؤذن من الدعاء ، والنسائي ٢/ ٢٦ في الأذان : باب الدعاء عند الأذان ، وابن ماجه رقم (٢٧١) في الأذان : باب ما يقال اذا أذن المؤذن ، وأحمد في « المسند » ١/ ١٨١ ، إلّا قوله غفر الله له ذنوبه فهو عند مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد بلفظ « غفر له ذنبه » وعند أبي داود « غفر ذنبه» .

(٢) رواه البخاري ٢/ ١٩٠ و١٩١ في صفة الصلاة : باب الدعاء بعد التكبير ، ومسلم رقم (٥٩٨) في المساجد : باب ما يقال بين تكبيرة الاحرام والقراءة ، وأبو داود رقم (٧٨١) في الصلاة : باب السكتة عند الافتتاح ، والنسائي ٢/ ١٢٨ و١٢٩ في الافتتاح : باب الدعاء بين التكبيرة والقراءة . وابن ماجه رقم (٨٠٥) في إقامة الصلاة : باب افتتاح الصلاة ، والدارمي رقم (١٢٤٧) في الصلاة : باب في السكتتين ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٣١ و٤٩٤ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي « سنن أبي داود » ، عن جبير بن مطعم(*) ، أنه رأى رسول اللّه ﷺ يصلي صلاة قال : « اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً ، وَالْحَمْدُ لِلّهِ كَثِيراً ، وَسُبْحَانَ اللّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، ثَلاثَاً ، أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ »(١). قال : نفثه : الشِّعْرُ ، ونفخه : الكِبْرُ ، وَهمزه: المُوتَةَ(٢) .

وفي « السنن الأربعة » ، عن عائشة وأبي سعيد وغيرهما ، أن النبي ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ »(٣) . وهـو في

(*) هو أبو محمد جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، القرشي النوفلي ، ويقال كنيته أبو أمية ، ويقال : أبو عدي .
أسلم قبل الفتح ، ونزل المدينة ، ومات بها سنة أربع وخمسين ، وقيل : سنة سبع وخمسين ، وقيل : سنة تسع وخمسين .
روى عنه ابناه نافع ، ومحمد ، وسليمان بن صُرَد ، وغيرهم .
وكان جبير من أنسب قريش لقريـش ، ويقول : إنما أخذت النسب من أبي بكر .

(١) رواه أبو داود رقم (٧٦٤) في الصلاة : باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، وابن ماجه رقم (٨٠٧) ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٨٥ والحاكم ١/ ٢٣٥ ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٤٤٣) « موارد » في الصلاة : باب فيما يستفتح الصلاة من التكبير وغيره ، وهو حديث صحيح بشواهده . انظر « الإرواء » رقم (٣٤٢) .

(٢) الموتة بواو ساكنة غير مهموزة : الجنون .

(٣) رواه أبو داود رقم (٧٧٦) في الصلاة ، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ، والترمذي رقم (٢٤٣) في الصلاة ، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ، وابن ماجه رقم (٨٠٦) في الإقامة : باب افتتاح الصلاة من حديث عائشة ، ورواه أحمد في « المسند » ٣/ ٥٠ و٦٩ ، والدارمي رقم (١٢٤٢) في الصلاة : باب ما يقال بعد افتتاح الصلاة، والترمذي رقم ٢٤٢ في الصلاة : باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ، وأبو داود رقم (٧٧٥) في الصلاة : باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم ، والنسائي ٢/ ١٣٢ في الافتتاح : باب نوع آخر من الذكر بين الافتتاح والقراءة ، وابن ماجه رقم (٨٠٤) في الإقامة : باب افتتاح الصلاة من حديث أبي سعيد ، وهو حديث صحيح . انظر « الإرواء » رقم (٣٤١) .

« صحيح مسلم » عن عمر موقوف عليه[1] .

وفي « صحيح مسلم » عن علي بن أبي طالب قال : كان رسول اللّه ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال : « وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ، ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً ، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ »[2] .

وفي « صحيح مسلم » ، عن عائشة : كان رسول اللّه ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل : « اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٩٩) في الصلاة ، مرسلاً ، وقد وصله غيره . انظر « الإرواء » رقم (٣٤٠) .

(٢) رواه مسلم رقم (٧٧١) في صلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٧٦٠) في الصلاة باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، والترمذي رقم (٣٤٢٠) في الدعوات باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل ، والنسائي ٢/ ١٣٠ في الافتتاح : باب نوع آخر من الذكر والدعاء بين التكبير والقراءة ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٤٤٥) « موارد » ، وأحمد في « المسند » ١/ ٩٥ و١٠٢ و١١٩ .

الحَقّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »(١) .

وفي « الصحيحين » : عن ابن عباس قال : كان رسول اللّه ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل : « اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ الحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ . اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ إِلٰهِي لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ(٢) .

---

(١) رواه مسلم رقم (٧٧٠) في صلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه . ورواه أيضاً أبو داود رقم (٧٦٧) في الصلاة : باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، والترمذي رقم (٣٤١٩) في الدعوات : باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل ، والنسائي ٣/ ٢١٢ - ٢١٣ في قيام الليل : باب بأي شيء تستفتح صلاة الليل ، وابن ماجه رقم (١٣٥٧) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل ، وأحمد في « المسند » ٦/ ١٥٦ .

(٢) رواه البخاري ٣/ ٢ - ٤ في قيام الليل : باب التهجد بالليل . و١٣/ ٣٩١ في التوحيد : باب قوله تعالى : ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ . ومسلم رقم (٧٦٩) في صلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، ورواه أيضاً « الموطأ » ١/ ٢١٥ في مس القرآن ، وأبو داود رقم (٧٧١) في الصلاة : باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، والترمذي رقم (٣٤١٨) في الدعوات : باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل ، والنسائي ٣/ ٢٠٩ - ٢١٠ في قيام الليل : باب ذكر ما يستفتح به القيام ، وابن ماجه رقم (١٣٥٥) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل ، وأحمد في « المسند » ١/ ٢٩٨ و٣٠٢ و٣٠٨ و٣٥٨ .

الفصل الحادي عشر
في ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدتين

في « السنن الأربعة » عن حذيفة رضي اللّٰه تعالى عنه ، أنه سمع رسول اللّٰه ﷺ يقول اذا ركع . « سُبْحَانَ رَبِّي العَظِيم » ثلاث مرات . وإذا سجد قال : « سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَىٰ » ثلاث مرات[1] .

وفيه حديث علي رضي اللّٰه عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه : « اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ خَشَعَ لَكَ سَمْعِيْ وَبَصَرِيْ ، وَمُخِّيْ وَعَظْمِيْ وَعَصَبِيْ » وإذا رفع رأسه من الركوع يقول : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنَاْ وَلَكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَمَاْوَاْتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَاْ ، وَمِلْءَ مَاْ شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ » وإذا سجد يقول في سجوده : « اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِيْ لِلَّذِيْ خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ، تَبَاْرَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِيْنَ »[2].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٦٢) في الصلاة : باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود ، وأبو داود رقم (٨٧١) في الصلاة : ما يقول الرجل في سجوده وركوعه ، والنسائي ٣/ ٢٢٦ في قيام الليل : باب تسوية القيام والركوع ، وفي الافتتاح : باب ما يقوله في قيامه ذلك ، وباب الذكر في الركوع ، وابن ماجه رقم (٨٨٨) في إقامة الصلاة ، باب التسبيح في الركوع والسجود وأحمد في « المسند » ٥/ ٣٨٢ و٣٨٤ و٣٨٩ و٣٩٤ و٣٩٧ و٣٩٨ و٤٠٠ ، والدارمي رقم (١٣١٢) في الصلاة : باب ما يقال في الركوع ، وهو حديث صحيح بشواهده . انظر « الإرواء » رقم (٣٣٣) .

(٢) تقدم تخريجه ص (٢٢٥) رقم (٢) .

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي اللّه عنها قالت : كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي »(١) .

وفي « صحيح مسلم » عنها رضي اللّه عنها : كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ : « سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، رَبُّ المَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ »(٢) .

وفي « سنن أبي داود » عن عوف بن مالك(*) رضي اللّه عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ : « سُبْحَانَ ذِي الجَبْرُوتِ ، وَالمَلَكُوتِ ، وَالكِبْرِيَاءِ ، وَالعَظَمَةِ »(٣) .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٢٢٤) رقم (٣) .

(٢) رواه البخاري ٢/ ٢٤٧ في صفة الصلاة : باب التسبيح والدعاء في السحور وباب الدعاء في الركوع ، وباب التسبيح والدعاء في السجود ، وفي المغازي : باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح ، وفي تفسير سورة ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ ، ومسلم رقم (٤٨٤) في الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود ، وأبو داود رقم (٨٧٧) في الصلاة : باب في الدعاء في الركوع والسجود ، والنسائي ٢/ ٢١٩ في الافتتاح : باب الدعاء في السجود ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٤٣ و ١٩٠ .

(٣) رواه مسلم رقم (٤٨٧) في الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ورواه أيضاً أبو داود رقم (٨٧٢) في الصلاة : باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، والنسائي ٢/ ٢٢٤ في الافتتاح : باب نوع آخر من الدعاء في السجود ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٣٥ و٩٤ و١١٥ و١٤٨ و١٤٩ و١٧٦ و١٩٣ .

(*) هو عوف بن مالك بن الطفيل بن عبد اللّه بن الحارث بن سخبرة ، والطفيل أخو عائشة لأمها .

(٤) رواه أبو داود رقم (٨٧٣) في الصلاة : باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، ورواه أيضاً النسائي ٢/ ١٩١ في الافتتاح : باب نوع آخر من الذكر في الركوع ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٢٤ ، وإسناده حسن .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ : « اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ ، مِلْءَ السَّمٰوَاتِ ، وَمِلْءَ الأَرْضِ ، وَمِلْءَ مَا بَيْنهمَا ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ والمَجْدِ ، أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ ، [اللَّهُمَّ] لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ »(١) .

وفي « صحيح البخاري » عن رفاعة بن رافع(*) رضي اللّه عنه قال : كنا نصلي يوماً وراءَ النبي ﷺ : فلما رفع رأسه من الركعة قال : « سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ، فقال رجل وراءَه : رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبارَكاً فِيهِ ، فَلَمَّا انصرف قال : « مَن المُتَكَلِّمُ » ؟ قال : أنا يا رسول اللّه . قال : « لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ ملَكاً يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ »(٢) .

---

(١) رواه مسلم رقم (٤٧٧) في الصلاة : باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، وليس عنده في حديث أبي سعيد ، « وملء ما بينهما » بل هي عنده من حديث ابن عباس رقم (٤٧٨) ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٨٤٧) في الصلاة : باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع ، والنسائي ٢ / ١٩٨ - ١٩٩ في الافتتاح : باب ما يقول له في قيامه. والزيادة من مسلم .

(*) هو أبو معاذ رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الزرقي الأنصاري ، شهد بدراً وشهد أبوه العقبة الأولى ، فكان من الستة ، وهو أحد النقباء الاثني عشر ، وأحد السبعين ، وهو ومعاذ بن عفراء أول أنصاريين أسلما من الخزرج .
روى عن رفاعة هذا معاذ وعبيد ابناه، وابن اخيه يحيـىٰ .

(٢) رواه البخاري ٢ / ٢٣٧ في صفة الصلاة : باب فضل اللهم ربنا لك الحمد ، ورواه أيضاً « الموطأ » ١ / ٢١٢ في القرآن : باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى ، والترمذي رقم (٤٠٤) في الصلاة : باب ما جاء في الرجل يعطس في الصلاة ، وأبو داود رقم (٧٧٠) و (٧٧٣) في الصلاة : باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، =

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ »[1] .

وعنه رضي اللّه عنه : أن رسول اللّهِ ﷺ كان يقول في سجوده : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ ، دِقَّهُ ، وَجِلَّهُ ، وَأَوَّلَهُ وآخِرَهُ ، وَعَلاَنِيَتَهُ ، وَسِرَّهُ »[2] .

وقالت عائشة رضي اللّهُ عنها : افتقدت[3] النبي ﷺ ذات ليلة [من الفراش] ، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قَدَمَيْهِ وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : « اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ[4] »[5] . روى مسلم هذه الأحاديث .

= والنسائي ٢/ ١٩٦ في الافتتاح : باب ما يقول المأموم ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٣٤٠ .

(١) رواه مسلم رقم (٤٨٢) في الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٨٧٥) في الصلاة : باب في الدعاء في الركوع والسجود ، والنسائي ٢/ ٢٢٦ في الصلاة : باب أقرب ما يكون العبد من الله عز وجل ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٤٢١ .

(٢) رواه مسلم رقم (٤٨٣) في الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود ، وأبو داود رقم (٨٧٨) في الصلاة : باب الدعاء في الركوع والسجود .

(٣) في نسخ مسلم المطبوعة : فقدتُ .

(٤) قوله : «أعوذ برضاك من سخطك» قال الإمام النووي ٤/ ٢٠٤ : قال الإمام الخطابي : في هذا معنى لطيف ، وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته ، والرضاء والسخط ضدان متقابلان ، وكذلك المعافاة والعقوبة ، فلما صار الى ذكر ما لا ضد له ، وهو الله سبحانه وتعالى ، استعاذ به منه لا غير ، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه . =

وفي « سنن أبي داود » عن ابن عباس رضي اللّه تعالى عنهما قال : كان رسول اللّه ﷺ يقول بين السجدتين : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَارْحَمْنِي ، وَاهْدِنِي ، وَاجْبُرْنِي ، وَعَافِنِي ، وَارْزُقْنِي »(١) .

وفي « السـنن » أيضاً عن حذيفة رضي اللّه عنه وأرضاه ، أن رسول اللّه ﷺ كان يقول بين السجدتين : « رَبِّ اغْفِرْ لِي ، رَبِّ اغْفِرْ لِي »(٢) .

= قوله : « أنت كما أثبت على نفسك » : اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء ، وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ، وردٌّ للثناء إلى الجملة دون التفصيل والاحصاء والتعيين ، فوكل ذلك الى الله سبحانه وتعالى ، المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً ، كما أنه لا نهاية لصفاته ، لا نهاية للثناء عليه ، لأن الثناء تابع للمثنى عليه ، وكل ثناء أثنى به عليه ، وإن كثر وطال وبولغ فيه ، فقدر الله أعظم ، مع أنه متعال عن القدر، وسلطانه أعز ، وصفاته أكبر وأكثر ، وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ .

(٥) رواه مسلم رقم (٤٨٦) في الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود . و « الموطأ » ١/ ٢٤١ في القرآن : باب ما جاء في الدعاء ، وأبو داود رقم (٨٧٩) في الصلاة : باب الدعاء في الركوع والسجود ، والترمذي رقم (٣٤٩١) في الدعوات : باب رقم (٧٦) ، والنسائي ٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ في الافتتاح : باب نوع آخر من الدعاء في السجود ، وابن ماجه رقم (٣٨٤١) في الدعاء : باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ : وأحمد في « المسند » ٦/ ٥٨ و ٢٠١ .والزيادة من مسلم .

(١) رواه أبـو داود رقم (٨٥٠) في الصلاة: بـاب الدعـاء بين السجـدتين، ورواه الترمذي رقم (٢٨٤) في الصلاة : باب ما يقول بين السجدتين ، وابن ماجه رقم (٨٩٨) في إقامة الصلاة : باب ما يقول بين السجدتين ، وهو حديث حسن ، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) رواه أبو داود رقم (٨٧٤) في الصلاة : باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، والنسائي ٣/ ٢٢٦ في الصلاة : باب تسوية القيام والركوع . . . الخ ، وابن ماجه رقم (٨٩٧) في إقامة الصلاة : باب ما يقول بين السجدتين ، والدارمي رقم (١٣٣٠) في الصلاة : باب القول بين السجدتين ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٣١٣ و ٣٧١ و ٣٩٨ ، هو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الإرواء » رقم (٣٣٥) .

الفصل الثاني عشر
في أدعية الصلاة بعد التشهد

في « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ [الآخِرِ] ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللّهِ مِنْ أَرْبَعٍ : مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّم ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالَ »(١) .

و«فيهما» أيضاً عن عائشة رضي اللّه عنها ، أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة : « اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ والمَغْرَمِ » ، فقال له قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ؟ فقال : « إنَّ الرَّجُلَ إذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَّبَ ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ »(٢) .

---

(١) رواه البخاري ٣/ ١٩٢ في الجنائز : باب التعوذ من عذاب القبر ، ومسلم رقم (٥٨٨) (١٣٠) في المساجد: باب ما يستعاذ منه في الصلاة، وأبو داود رقم (٩٨٣) في الصلاة : باب ما يقول بعد التشهد ، والنسائي ٣/ ٥٨ ، وابن ماجه رقم (٩٠٩) ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٣٧ و٢٨٨ و٢٩٨ و٤١٦ . . . والزيادة من مسلم .

(٢) رواه البخاري ٢/ ٢٦٣ في صفة الصلاة : باب الدعاء قبل السلام، وفي الاستقراض ، باب من استعاذ من الدين ، وفي الفتن : باب ذكر الدجال ، ومسلم رقم (٥٨٩) في المساجد : باب ما يستعاذ منه في الصلاة ، وأبو داود رقم (٨٨٠) في الصلاة : باب الدعاء في الصلاة ، والترمذي رقم (٣٤٩٥) في الدعوات : باب رقم ٧٦ ، والنسائي ٣/ ٥٦ ـ ٥٧ في السهو : باب نوع آخر ، وابي ماجه رقم (٣٨٣٨) في الدعاء : باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٨٩ و٢٠٧ .

وقد تقدم في « الصحيحين » ، أن أبا بكر الصديق رضي اللّه عنه قال لرسول اللّه ﷺ : علمني دعاءً أدعو به في صلاتي ، فقال : « قُلْ : اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً ، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ »(١) .

وفي « صحيح مسلم » من حديث علي رضي اللّه عنه في صفة صلاة رسول اللّه ﷺ أنه كان يقول من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيْ مَاْ قَدَّمْتُ وَمَاْ أَخَّرْتُ ، وَمَاْ أَسْرَرْتُ وَمَاْ أَعْلَنْتُ وَمَاْ أَسْرَفْتُ ، وَمَاْ أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّيْ أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّر لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ »(٢) .

وفي « سنن أبي داود » أن النبي ﷺ قال لرجل : « كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ » ؟ قال : « أَتَشَهَّدُ وَأَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ ، أَما إِنِّي لاَ أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلاَ دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ ، فقال النبي ﷺ : « حَوْلَهَا نُدَنْدِنْ »(٣) .

وفي « المسند » و « السنن » ، عن شداد بن أوس رضي اللّه عنه ، أن رسول اللّه ﷺ كان يقول في صلاته : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٨٦) رقم (١) .

(٢) تقدم تخريجه ص (٢٢٥) رقم (٢) .

(٣) رواه أبو داود رقم (٧٩٢) و (٧٩٦) في الصلاة : باب في تخفيف الصلاة ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/ ٤٧٤ ، وابن ماجه رقم (٩١٠) في إقامة الصلاة : باب ما يقال في التشهد ورقم (٣٨٤٧) في الدعاء : باب الجوامع من الدعاء . وقال البوصيري في « الزوائد » ، إسناده صحيح ورجاله ثقات . وصححه النووي أيضاً اسناده في « الأذكار » رقم (١٨٨) طبعتنا ـ مكتبة دار البيان بدمشق .

الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ ، وَالعَزِيمَةَ عَلَىٰ الرُّشْدِ ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيماً ، ولِسَاناً صَادِقاً ، وَأَسْأَلُكَ مِن خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ »(١) .

وفي « سنن النسائي » :« أنَّ عمار بن ياسر(*) صلى صلاة ، ودعا فيها بدعوات وقال : سمعتهن من رسول اللّه ﷺ . « اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبِ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الخَلْقِ ، أَحْيِنِي إِذَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ١٢٥ والنسائي ٣/ ٥٤ في السهو ، باب نوع آخر من الدعاء ، والترمذي رقم (٣٤٠٤) في الدعوات ، وإسناده ضعيف ، ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٤١٦) « موارد » في الأدعية : باب أدعية رسول الله ﷺ .

(*) هو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن ثعلبة ابن عمرو بن حارثة بن يام بن مالك بن عنس ، وهو زيد بن مذحج العنسي مولى بني مخزوم وحليفهم ، وذلك أن ياسراً والد عمار قدم مكة مع أخوين له يقال لهما : الحارث ومالك في طلب أخ لهم رابع ، فرجع الحارث ومالك الى اليمن ، وأقام ياسر بمكة ، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد اللّٰه بن عمرو بن مخزوم ؛ فزوجه أبو حذيفة أَمَةً له يقال لها : سمية ، فولدت له عماراً ، فأعتقه أبو حذيفة ، فعمار مولى ، وأبوه حليف . أسلم عمار قديماً ، وكان من المستضعفين الذين عذبوا بمكة ليرجعوا عن الإسلام ، وأحرقه المشركون بالنار ، فكان رسول اللّٰه ﷺ يمرّ يده عليه ، ويقول : « يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم » .

وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة ، وصلى القبلتين ، وهو من المهاجرين الأولين ، وشهد بدراً والمشاهد كلها وأبلى فيها .

وسماه النبي ﷺ : الطيب والمطيب .

قتل بصفين مع علي بن أبي طالب سنة سبع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة .

روى عنه علي بن أبي طالب، وابن عباس ، ومن أولاده محمد وأبو عبيدة .

خَيْرَاً لِي ، وَتوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْرَاً لِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَىٰ ، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ وَالغِنَىٰ ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لَا يَنْفَدُ ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِع ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَىٰ بَعْدَ القَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ الكَرِيمِ (١) ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ »(٢) .

الفصل الثالث عشر
في الأذكار المشروعة بعد السلام ، وهو إدبار السجود

في « صحيح مسلم » عن ثوبان رضي اللّه عنه قال : كان رسول اللّه ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر اللّه ثلاثاً وقال : « اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلَامُ ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ »(٣) .

---

(١) لفظة : « الكريم » ليست في نسخ النسائي المطبوعة .

(٢) رواه النسائي ٣/ ٥٤ و٥٥ في السهو ، باب نوع آخر من الدعاء ، وأحمد في « المسند » ٤/٢٦٤ ، وصححه الحاكم ١/٥٢٤ ـ ٥٢٥ ووافقه الذهبي ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه مسلم رقم (٥٩١) في المساجد : باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (١٥١٣) في الصلاة : باب ما يقول الرجل إذا سلم ، والترمذي رقم (٣٠٠) في الصلاة : باب ما يقول اذا سلم من الصلاة ، والنسائي ٣/ =

وفي « الصحيحين » عن المغيرة بن شعبة(*) أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ »(1) .

وفي « صحيح مسلم » عن عبد الله بن الزبير(**) رضي الله

= ٦٨ في السهو : باب الاستغفار بعد التسليم ، وابن ماجه رقم (٩٢٨) في إقامة الصلاة : باب الانصراف من الصلاة ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٢٧٥ و٢٧٩ ، والدارمي رقم (١٣٥٥) في الصلاة : باب القول بعد السلام من حديث ثوبان رضي الله عنه ، ورواه مسلم رقم (٥٩٢) وأبو داود رقم (١٥١٢) والترمذي رقم (٢٩٨) والنسائي ٣/ ٦٩ ، وابن ماجه رقم (٩٢٤) والدارمي رقم (١٣٥٤) وأحمد في « المسند » ٦/ ٦٢ و١٨٤ و٢٣٥ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(*) هو أبو عبد الله ، وقيل : أبو عيسى المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب ابن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي .

أسلم عام الخندق ، وقدم مهاجراً ، وقيل : أول مشاهده الحديبية .

نزل الكوفة ، ومات بها سنة خمسين ، وهو ابن سبعين ، وهو أميرها لمعاوية بن أبي سفيان .

روى عنه من أولاده : عروة ، وحمزة ، ومولاه وراد ، وأبو بردة بن أبي موسى .

(1) رواه البخاري ٢/ ٢٧٥ في صفة الصلاة : باب الذكر بعد الصلاة ، وفي الدعوات : باب الدعاء بعد الصلاة ، وفي الرقاق : باب ما يكره من قيل وقال ، وفي القدر : باب لا مانع لما أعطى الله ، وفي الاعتصام : باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ، ومسلم رقم (٥٩٣) في المساجد باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، وأبو داود رقم (١٥٠٥) في الصلاة : باب ما يقول الرجل إذا سلم ، والنسائي ٣/ ٧٠ في السهو : باب نوع آخر من القول عند انقضاء الصلاة ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٢٤٥ و٢٤٧ و ٢٥٠ و ٢٥٤ ، والدارمي رقم (١٣٥٦) في الصلاة : باب القول بعد السلام .

(**) هو أبو بكر ، ويقال : أبو خبيب عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي كناه النبي ﷺ بكنية جده لأمه أبي بكر الصديق ، وسماه باسمه ، وهو أول مولود ولد في =

تعالى عنهما ، أن رسول اللّه ﷺ كان يهلل دُبُرَ كل صلاة حين يسلم بهؤلاء الكلمات : « لاَ إِلَهَ إِلَّا اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللّهُ ، وَلاَ نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ »(١) .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثاً وثَلاثِينَ ، وَكَبَّرَ اللَّهُ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ ، وقال تمام المائَةَ ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكَ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ »(٢) .

= الإسلام للمهاجرين بالمدينة ، أول سنة من الهجرة ولدته أسماء بقباء ، وأتت به إلى النبي ﷺ فوضعته في حجره ، فدعا بتمرة فمضغها ، ثم تفل في فِيهِ ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول اللّٰه ﷺ ، ثم دعا له ، وبرّك عليه .

وكان أطلس ، لا شعر له في وجهه ولا لحيته . كان كثير الصيام والصلاة ، شهماً ذا أنفة ، شديد البأس ، قتله الحجاج بن يوسف بمكة ، وصلبه يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وسبعين ، وقيل : سنة اثنتين وسبعين .

وكان بويع له بالخلافة سنة أربع وستين ، وكان قبل ذلك لا يخاطب بالخلافة ، واجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، وغير ذلك ، ما عادا الشام أو بعضه . وحج بالناس ثماني حجج .

روى عنه أخوه عروة ، وابنه عامر بن عبد اللّٰه ، وابن أبي مليكة، وعباس بن سهل ابن سعد، وغيرهم .

(١) رواه مسلم رقم (٥٩٤) في المساجد : باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (١٥٠٦) في الصلاة : باب ما يقول الرجل اذا سلم ، والنسائي ٣/ ٧٠ في السهو : باب عدد التهليل والذكر بعد التسليم ، وأحمد في «المسند» ٤/٤و ٥ .

(٢) رواه مسلم رقم(٥٩٧) في المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، ورواه ايضاً أحمد في « المسند » ٢/ ٣٧١ و٤٨٣ .

وفي « السنن » عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال : « خَصْلَتَانِ ـ أَوْ خلتان ـ لاَ يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إلاَّ دَخَلَ الجَنَّةَ ، هُمَا يَسِيرٌ ، وَمَنْ يَعْمَلُ بهمَا قَلِيلٌ : يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبرِ كُلِّ صَلاَةٍ عَشْراً ، وَيَحْمَدُهُ عَشراً ، وَيُكَبِّرُهُ عَشْراً ، فَذٰلِكَ خَمْسُونَ وَمَائَةَ بِاللِّسَانِ[1] ، وَأَلْفَ وَخَمْسُمائَةَ فِي المِيزَانِ . وَيُكَبِّرُ أَرْبعاً وَثَلاَثِين إذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ ، وَيَحْمَدَ ثَلاَثاً وَثَلاثِينَ ، وَيُسَبِّحُ ثَلاَثاً وَثَلاثِينَ ، فَذٰلِكَ مائَةٌ بِاللِّسَانِ ، وَأَلْفٌ فِي المِيزَانِ » قال : ولقد رأيت رسول الله ﷺ يَعْقِدُها بيَدِه . قالوا : يا رسول الله كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل ؟ قال : « يَأْتِي أَحَدَكُمْ ـ يَعْنِي الشَّيْطَانُ ـ فِي مَنَامِهِ ، فَيُنَوِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ ، وَيَأْتِيهِ فِي صَلاَتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا »[2] .

وفي « السنن » عن عقبة بن عامر[*] قال : « أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالمُعَوِّذَتَيْنِ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ »[3] .

---

(١) أي في يوم وليلة حاصلة من ضرب ثلاثين في خمسة .

(٢) رواه أبو داود رقم (٥٠٦٥) في الأدب : باب في التسبيح عند النوم ، والترمذي رقم (٣٤٠٧) في الدعوات : باب رقم (٢٥) ، والنسائي ٣/ ٧٤ و ٧٥ في السهو : باب عدد التسبيح بعد التسليم ، وأحمد في « المسند » ٢/ ١٦٠ و ٢٠٥ ، وابن ماجه رقم (٩٢٦) في إقامة الصلاة : باب ما يقال بعد التسليم ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٤٣) « موارد » في الأذكار : باب ما يقول من الذكر بعد الصلاة . وهو حديث صحيح . كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٢٢٥) .

(*) هو أبو حماد ، وقيل : أبو عامر ، وقيل غير ذلك ، عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي من بني قيس بن جهينة الجهني ، وقد اختلف في نسبه .

كان والياً على مصر لمعاوية بعد أخيه عتبة بن أبي معاوية ، ثم عزله . ومات بها سنة ثمانٍ وخمسين .

روى عنه جابر ، وابن عباس ، وأبو أمامة ، ومن التابعين خلق كثير.

(٣) رواه أبو داود رقم (١٥٢٣) في الصلاة : باب الاستغفار ، والترمذي رقم (٢٩٠٥) في ثواب القرآن : باب ما جاء في المعوذتين ، والنسائي ٣/ ٦٨ في السهو : باب =

وفي « النسائي الكبير » عن أبي أمامة[1] قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِي عُقْبَ كُلِّ صَلاَةٍ ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إلاَّ أَنْ يَمُوتَ »[2] يعني لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا الموت .

وبلغني عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، قال : ما تركته عقيب كل صلاة الا نسياناً أو نحوه .

قلت : وقد بالغ أبو الفرج بن الجوزي(*) في إدخاله هذا الحديث في الموضوعات ، وقال شيخنا : أبو الحجاج المزي(**) رحمه الله : اسناده على شرط البخاري .

= الأمر بقراءة المعوذات بعد التسليم من الصلاة ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٤٧) « موارد » في الأذكار : باب قراءة المعوذات دبر الصلاة ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٢١١ ، والحاكم في « المستدرك » ١/ ٢٥٣ وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

(١) في النسخ المطبوعة : عن أبي هريرة ، والتصحيح من كتب الحديث .

(٢) ورواه أيضاً ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (١٢٤) من طبعتنا وأورده الهيثمي في « المجمع » ١٠/١٠٢ وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد واحدها جيد ، والحديث صحيح كما قال الألباني في «الأحاديث الصحيحة» رقم (٩٧٢) .

(*) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، أبو الفرج ، مولده ببغداد سنة ٥٠٨هـ ووفاته بها سنة ٥٩٧هـ .

من تصانيفه « زاد المسير في علم التفسير » و « منهاج القاصدين » و « المنتظم . و « تلبيس إبليس » و « الوفا في فضائل المصطفى ﷺ » و « المدهش » وغيرها .

(**) هو أبو الحجاج ، جمال الدين ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي بن أبي الزهر القضاعي ، الدمشقي المزي ، محدث ، حافظ ، ولد بظاهر حلب سنة ٦٥٤هـ ، ونشأ بالمزة ، سمع منه الكبار والحفاظ . قال ابن ناصر الدين : قال الحافظ الذهبي : أحفظ من رأيت أربعة : ابن دقيق العيد، والدمياطي ، وابن تيمية ، والمزي ، فان دقيق العيد أفقههم في الحديث ، والدمياطي أعرفهم بالأنساب ، وابن تيمية أحفظهم للمتون ، والمزي أعرفهم بالرجال .

توفي بدمشق سنة ٧٤٢هـ ، ودفن بمقابر الصوفية غربي قبر صاحبه ابن تيمية . من

الفصـــل الرابع عشر
في ذكر التشهد

ثبت في «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود قال: علّمني رسول الله ﷺ التشهد - وكفي بين كفيه - كما يعلمني سورة من القرآن: «**التَّحِيَّاتُ للَّه، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(1).

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، وكان يقول: «**التَحِيَّاتُ المُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ، الطَّيِّبَاتُ للَّهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّه الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ**»(2).

تصانيفه «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» و«تهذيب الكمال في معرفة أسماء الرجال» والأول يطبع في الهند بتحقيق عبد الحكيم شرف الدين، والثاني في بيروت بتحقيق الدكتور بشار عواد.

(1) رواه البخاري ٢/ ٢٥٧ و ٢٦١ في صفة الصلاة: باب التشهد في الآخرة، وباب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد، ومسلم رقم (٤٠٢) في الصلاة: باب التشهد في الصلاة، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٩٦٨) و(٩٦٩) في الصلاة: باب التشهد، والترمذي رقم (٢٨٩) في الصلاة: باب ما جاء في التشهد، والنسائي ٢/ ٢٣٧ في الافتتاح: باب كيف التشهد الأول، والدارمي رقم (١٣٤٧) في الصلاة: باب في التشهد، وأحمد في «المسند» ١/ ٣٧٦ و٤٠٨ و٤١٣ و٤١٤ و٤٢٢ و٤٢٣ و٤٢٨ و٤٣١ و٤٣٧ و٤٣٩ و٤٤٠ و٤٥٠ و٤٥٩ و٤٦٤، وابن ماجه رقم (٨٩٩) في الإقامة: باب ما جاء في التشهد. انظر «الإرواء» رقم (٣٢١).

(2) رواه مسلم رقم (٤٠٣) في الصلاة: باب التشهد في الصلاة، ورواه أيضاً أبو داود

وفي « صحيح مسلم » ، عن أبي موسى ، أن النبي ﷺ علمهم التشهد : « **التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ ، الصَّلَوَاتُ للّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** »[1] .

وروى أبو داود ، عن ابن عمر بن الخطاب[2] ، عن رسول الله ﷺ في التشهد : « التَّحِيَّاتُ للَّهِ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، [قال ابن عمر : وزدت فيها : وحده لا شريك له] وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُهُ »[3] .

وروى أبو داود ، عن سمرة بن جندب(*) : أما بعد : أمرنا

رقم (٩٧٤) في الصلاة : باب التشهد ، والترمذي رقم (٢٩٠) في الصلاة : باب ما جاء في التشهد ، والنسائي ٢/ ٢٤٢ و٢٤٣ في الافتتاح : باب نوع آخر من التشهد ، وأحمد في « المسند » ١/ ٢٩٢ .

(١) رواه مسلم رقم (٤٠٤) في الصلاة : باب التشهد في الصلاة ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٩٧٢) في الصلاة : باب التشهد ، والنسائي ٢/ ٢٤٢ في الافتتاح : باب نوع آخر من التشهد ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٤٠٩ .

(٢) في المطبوع : عن عمر بن الخطاب ، وهو خطأ .

(٣) رواه أبو داودرقم(٩٧١)في الصلاة : باب التشهد ، و« الموطأ » ١/ ٩١ في الصلاة : باب التشهد في الصلاة ، وإسناده صحيح . قال الألباني في « صفة الصلاة » ص ١٧٦ ط الثامنة : ولم يزدها ابن عمر من عند نفسه ، وحاشاه من ذلك إنما أخذها عن غيره من الصحابة الذين رووها عنه ﷺ فزادها هو على تشهده الذي سمعه عن رسول الله ﷺ مباشرة .

(*) هو أبو سعيد ، ويقال : أبو عبد اللّه ، ويقال : أبو سليمان ، ويقال : أبو محمد ، ويقال : أبو عبد الرحمن . سمرة بن جندب بن هلال بن حريج بن مرة بن حزن بن عمرو بن جابر الفزاري ، حليف الأنصار .

نزل الكوفة ، وولي البصرة ، وعداده في البصريين ، كان زياد يستخلفه على الكوفة ستة أشهر ، وعلى البصرة ستة أشهر ، فلما مات زياد كان بالبصرة ، فأقره معاوية عليها =

رسول الله ﷺ « إذا كان في وسط الصلاة ، أو حين انقضائها ، فابدؤوا قبل السلام[1] فقولوا : « **التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ والصَّلَوَاتُ ، وَالمُلْكُ للَّهِ ، ثُمَّ سَلِّمُوا عَلَىٰ اليَمِينِ ، ثُمَّ عَلَى قَارِئِكُمْ وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ** »[2] .

وذكر مالك في « الموطأ » : أن عمر كان يعلم الناس التشهد وهو على المنبر يقول : قولوا : « **التَّحِيَّاتُ للَّهِ ، الزَّاكِيَاتُ للَّهِ ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ للَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهـا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** »[3] .

فأي تشهد أتى به من هذه التشهدات أجزأه .

وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة إلى تشهد ابن مسعود ، وذهب الشافعي إلى تشهد ابن عباس ، وذهب مالك إلى تشهد عمر رضي الله عنه ، والكل كافٍ يجزىء[4] .

= عاماً ، ثم عزله .

وكان شديداً على الحرورية ، وكان من الحفاظ المكثرين عن رسول اللَّه ﷺ .

روى عنه ابنه سليمان ، وعمران بن الحصين ، والحسن البصري ، والشعبي ، وعلي بن ربيعة .

مات بالبصرة آخر سنة تسع وخمسين ، وقيل : سنة ثمانٍ ، ويقال : سنة ستين .

(١) في نسخ أبي داود المطبوعة : قبل التسليم .

(٢) رواه أبو داود رقم (٩٧٥) في الصلاة : باب التشهد ، وفي إسناده مجاهيل .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » ١/ ٩٠ في الصلاة ، باب التشهد في الصلاة ، وإسناده صحيح ، وصحح الزيلعي إسناده في « نصب الراية » .

(٤) قال الحافظ : كانوا يقولون : « السلام عليك أيها النبي » بكاف الخطاب في حياته فلما مات ﷺ صاروا يقولون : « السلام على النبي » انظر « صفة الصلاة » للألباني ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ط الثامنة .

الفصـــل الخامـس عشـر

في ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

في « الصحيحين » عن كعب بن عجرة(*) رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا : قد عرفنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : « قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ على [إبراهيم ، وعلى][1] آل إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى [إبراهيم وعلى][1] آل إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ »[2] .

---

(1) الزيادتان من البخاري .

(*) هو أبو محمد كعب بن عجرة بن أمية بن عدي بن عبيد بن الحارث البلوي ، حليف بني سالم بن عوف الأنصاري ،وقيل : حليف بني عمرو بن عوف ، قال الواقدي : ليس حليفاً للأنصار ، ولكنه من أنفسهم .

نزل الكوفة ، ومات بالمدينة سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة اثنتين ، وقيل : ثلاث ، وهو ابن خمس وسبعون سنة ، وقيل : ابن تسع وسبعين ، روى عنه ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وابن عمرو ، وابن مغفل ومن أولاده إسحاق ، وعبد الملك ، ومحمد ، وربيع ، ومن باقي التابعين ابن أبي ليلى ، وأبو وائل شقيق بن سلمة ، وسليمان بن يسار .

تأخر إسلام كعب ، وكان له صنم في بيته يكرمه ، وكان عبادة بن الصامت صديقاً له ، فرصده يوماً ، فلما خرج من بيته دخل عبادة فكسره بالقدوم ، فلما جاء كعب ورآه ، خرج مغضباً يريد أن يشاتم عبادة ، ثم فكر في نفسه ، فقال : لو كان عند هذا الصنم طائل لامتنع ، فأسلم حينئذ .

(2) البخاري ١١/ ١٢٨ ـ ١٣٨ في الدعوات : باب الصلاة على النبي ﷺ ، وفي الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ **واتخذ الله ابراهيم خليلاً** ﴾ ، وفي تفسير سورة =

وفي « الصحيحين » أيضاً : عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا : يا رسول الله ، كيف نصلي عليك ؟ قال : « قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّتِهِ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ »[1] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي مسعود الأنصاري قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله ، كيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله . ثم قال رسول الله ﷺ : « قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ ، فِي العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ

= الأحزاب : باب ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي** ﴾ ، ومسلم رقم (٤٠٦) في الصلاة : باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، والترمذي رقم (٤٨٣) في الصلاة : باب صفة الصلاة على النبي ﷺ وأبو داود رقم (٩٧٦) في الصلاة : باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، والنسائي ٣/ ٤٧ في السهو : باب نوع آخر من الصلاة على النبي ﷺ ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٢٤١ و٢٤٣ و ٢٤٤ ، وابن ماجه رقم (٩٠٤) في إقامة الصلاة : باب الصلاة على النبي ﷺ ، والدارمي رقم (١٣٤٨) في الصلاة : باب الصلاة على النبي ﷺ . انظر « الإرواء » رقم (٣٢٠) .

(١) رواه البخاري ١١/ ١٤٦ ـ ١٤٧ في الدعوات : باب هل يصلي على غير النبي ﷺ ، وفي الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ **واتخذ الله ابراهيم خليلاً** ﴾ ، ومسلم رقم (٤٠٧) في الصلاة : باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، و« الموطأ » ١/ ١٦٥ في قصر الصلاة : باب ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ ، وأبو داود رقم (٩٧٩) في الصلاة : باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، والنسائي ٣/ ٤٩ في السهو : باب نوع آخر من الصلاة على النبي ﷺ .

مَجِيدٌ . وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ »[1] .

وذكر ابن ماجه في « سننه » عن عبد الله بن مسعود قال : إذا صليتم على رسول الله فأحسنوا الصلاة [عليه] ، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه . قال : فقالوا له : فعلمنا ، قال : قُولُوا : اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتَكَ ، وَرَحْمَتَكَ ، وَبَرَكَاتَكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَإِمَامَ الْمُتَّقِينَ ، وخَاتِمِ النَّبِيِّينَ ، مُحمدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، إِمَامِ الْخَيْرِ ، وَقَائِدِ الخَيْرِ ، وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ ، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَاماً [مَحْمُوداً] يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ [والآخِرُونَ] ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيم ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلَ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[2] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٤٠٥) في الصلاة : باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، ورواه أيضاً « الموطأ » ١/ ١٦٥ ـ ١٦٦ في قصر الصلاة : باب ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ ، والترمذي رقم (٣٢١٨) في التفسير : باب ومن سورة الأحزاب ، وأبو داود رقم (٩٨٠) و (٩٨١) في الصلاة : باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، والنسائي ٣/ ٤٥ و٤٦ في السهو : باب الأمر بالصلاة على النبي ﷺ .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٩٠٦) في إقامة الصلاة : باب الصلاة على النبي ﷺ ، قال البوصيري في « الزوائد » : رجاله ثقات ، إلا ان المسعودي اختلط بآخر عمره ، ولم يتميز حديثه الأول من الآخر ، فاستحق الترك ، كما قال ابن حبان .

ورواه اسماعيل القاضي في « فضل الصلاة على النبي ﷺ » رقم ٦١ قال الألباني : إسناده ضعيف ، فإن المسعودي واسمه عبد الرحمن بن عبد الله ضعيف لاختلاطه. قلت : انظر ترجمة المسعودي في « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم ٢/ ٢/ ٢٥١ و « التهذيب » لابن حجر ٦/ ٢١٠ نعم سماع عاصم من المسعودي بعد الاختلاط أما سماع زياد بن عبد الله فلا أدري هل سماعه قديم أم لا . وانظر الحديث الموقوف الذي يليه في « فضل الصلاة على النبي ﷺ » رقم ٦٢ فلفظه قريب منه ، والله أعلم .

الفصــل السـادس عشـر
في ذكر الاستخارة

في « صحيح البخاري » عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الإِسْتِخَارَةَ فِي الأمْرِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ من القرآن ، يقول : « إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأمْرِ ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا الأَمْرَ - وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ - خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، فَاقْدُرْهُ لِي ، وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ »(١) .

وفي « مسند الإمام أحمد » ، من حديث سعد بن أبي وقاص ، عن النبي ﷺ أنه قال : « مِن سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ ، وَمِن سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَىٰ اللَّهُ ، وَمِنْ شَقْوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ

---

(١) رواه البخاري ١١/ ١٥٥ - ١٥٨ في الدعوات : باب الدعاء عند الاستخارة ، وفي التطوع : باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ، وفي التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ وهو القادر ﴾ ورواه أيضاً أبو داود رقم (١٥٣٨) في الصلاة : باب في الاستخارة ، والترمذي رقم (٤٨٠) في الصلاة : باب ما جاء في صلاة الاستخارة ، والنسائي ٦/ ٨٠ و ٨١ في النكاح : باب كيف الاستخارة ، وابن ماجه رقم (١٣٨٣) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في صلاة الاستخارة ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٣٤٤ .

اسْتِخَارَةَ اللَّه ، وَمِن شَقْوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِما قَضَىٰ اللَّهُ »[1] .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : ما ندم من استخار الخالق ، وشاور المخلوقين ، وَتَثَبَّت في أمره . وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَشَاوِرْهُم في الأمْرِ ، فإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقال قتادة : مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ يَبْتَغُونَ وَجْهَ اللَّهِ إلاَّ هُدُوا إلَى أَرْشَدِ أَمْرِهِمْ .

الفصل السابع عشر
في أذكار الكرب والغم والحزن والهم

في « الصحيحين » : عن ابن عباس ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ « لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ ، لَا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، لَا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ، وَرَبُّ الأَرْضِ ، رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمُ »[2] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ١/ ١٦٨ ، ورواه ايضاً الترمذي رقم (٢١٥٢) في القدر ، باب ما جاء في الرضى بالقضاء ، وفي سنده محمد بن أبي حميد الأنصاري الزرقي ، وهو ضعيف . وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرف إلا من حديث محمد بن أبي حميد ، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث ، ومع ذلك فقد رواه الحاكم ١/ ٥١٨ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) رواه البخاري ١١/ ١٢٣ في الدعوات : باب الدعاء عند الكرب ، وفي التوحيد : باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش . وباب قول الله تعالى ﴿ **تعرج الملائكة** =

وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذَا حَزَبَـهُ أَمْرٌ قَالَ : « يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ »[1] .

و « فيه » أيضاً : عن أبي هريرة ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذَا أَهَمَّهُ الأَمْرُ ، رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ فَقَالَ : « سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيم » ، وإذا اجتهد في الدعاء قال : « يَا حَيُّ يَا قَيُّوم »[2] .

وفي « سنن أبي داود » عن أبي بكرة[*] ، أن رسول الله ﷺ قال : « دَعْوَاتُ المَكْرُوب : اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو ، فَلاَ تَكِلْنِي إلى

والروح فيه ﴾ ومسلم رقم (٢٧٣٠) في الذكر والدعاء : باب دعاء الكرب ، والترمذي رقم (٣٤٣١) في الدعوات : باب ما يقول عند الكرب ، وابن ماجه رقم (٣٨٨٣) في الدعاء : باب الدعاء عند الكرب وأحمد في « المسند » ١/ ٢٢٨ و ٢٥٤ و ٣٣٩ و ٣٥٦ . وتقدم تخريجه ص (١٨٣) رقم (٣) .

(١) رواه الترمذي رقم (٣٥٢٢) في الدعوات : باب رقم ٩٩ وهو حديث حسن بشواهده ، انظر الحاكم ١/ ٥٠٩، و«شرح الأذكار » ٤/ ٥ و٦ .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٤٣٢) في الدعوات : باب ما يقول عند الكرب ، وإسناده ضعيف ، لكن يشهد له بعض الحديث الذي قبله .

(*) هو نفيع بن الحارث ، وقيل : ابن مسروح بن كلدة ، وقيل : بل كان عبداً للحارث بن كلدة الثقفي ، فاستلحقه ، وغلبت عليه كنيته ، وأمه سمية أمة للحارث بن كلدة ، وهي أم زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية أخاً .

ويقال : إن أبا بكرة تـولى يوم الطائف ببكرة وأسلم ، فكنّاه النبي ﷺ بأبي بكرة ، فأعتقه ، فهو من مواليه .

ونزل البصرة ، ومات بها سنة تسع وأربعين ، وقيل : سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة اثنتين وخمسين .

روى عنه ابناه عبد الرحمن ، ومسلم ، وربعي بن حراش ، والأحنف بن قيس ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، والحسن البصري وفيه نظر ، قال قوم : إنه لم يدرك الحسن .

نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ ، لا إلَهَ إلاَّ أَنْتَ »(١) .

وفي « السنن » أيضاً ، عن أسماء بنت عميس(*) قالت : قال رسول الله ﷺ : « أَلاَ أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الكَرْبِ - أَوْ فِي الكَرْبِ -؟ اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً »(٢) .

من رواية أَنَّهَا تُقَالُ سَبْعَ مَرَّات .

وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ : ﴿ **لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ** ﴾ [الأنبياء : ٨٧] لَمْ يَدْعُ بِهَا

(*) هي أسماء بنت عميس بن مالك بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن زيد بن بشر بن وهب اللَّه . من بني خثعم بن أنمار الخثعمية ، وفي نسبها اختلاف كثير .

هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ، فولدت هناك محمداً وعبد اللَّه ، وعوناً ، ثم هاجرت إلى المدينة ، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر الصديق ، وولدت له محمداً ، فلما مات الصديق ، تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيىٰ .

روى عنها ابنها عبد اللَّه بن جعفر ، وعمر بن الخطاب ، وعبد اللَّه بن عباس ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد اللَّه بن شداد .

(١) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٠) في الأدب : باب ما يقول إذا أصبح ، ورواه أيضاً البخاري في « الأدب المفرد » رقم (٧٠١) أحمد في « المسند » ٥/ ٤٢ وابن حبان رقم (٢٣٧٠) « موارد » . وهو حديث حسن .

(٢) رواه أبو داود رقم (١٥٢٥) في الصلاة : باب الاستغفار ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٦/ ٣٦٩ ، وابن ماجه رقم (٣٨٨٢) في الدعاء : باب الدعاء عند الكرب ، وله شاهد من حديث عائشة عند ابن حبان رقم (٢٣٦٩) « موارد » في الأذكار : باب ما يقول عند الكرب وهو حديث حسن ، وانظر تخريج الحديث في « جامع الأصول » ٤/ ٢٩٧ و« صحيح الجامع » رقم (٢٦٢٠) ، ورواية « سبع مرات » لم أرها .

رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ ، إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ »(١) .

وفي رواية : « إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُها مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَلِمَةَ أَخِي يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ »(٢) .

وفي « مسند الإمام أحمد » و « صحيح ابن حبـان » عن عبد اللّه بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « مَا أَصَابَ عَبْداً هم وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ بَصَرِي(*) ، وَجَلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحاً »(٣) .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٥٠٠) في الدعوات : باب رقم (٨٥) ، وروواه أيضاً أحمد في « المسند » ١/ ١٧٠ والحاكم ١/ ٥٠٥ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الحافظ ابن حجر في « أمالي الأذكار » كما في « الفتوحات الربانية » ٤/١١ وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٣٧٨) .

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٣٤٣) ، وفي سنده ضعف ، ورواه الحاكم بنحوه ١/ ٥٠٥ وسكت عنه هو والذهبي . وقال الحافظ في تخريج الأذكار : هذا حديث غريب . قلت : ولكن يشهد له معنى الذي قبله .

(*) في « الكلم الطيب » لشيخ الاسلام ابن تيمية : « نور صدري » .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ١/ ٣٩١ و٤٥٢ ، وابن حبان رقم (٢٣٧٢) « موارد » في الأذكار : باب ما يقول إذا أصابه هم أو حزن ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٩٩) .

الفصل الثامن عشر
في الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والأذىٰ

قال اللَّه سبحانه وتعالى عن نبيه نوح ﷺ : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾ [نوح : ١٠ ـ ١٢] .

وفي بعض « المسانيد » ، عن ابن عباس : أَن رسول اللَّه ﷺ قال : « مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً ، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْث لَا يَحْتَسِب »(١) .

وذكر أبو عمر بن عبد البر(*) في « التمهيد » له حديثاً مرفوعاً

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٥١٨) في الصلاة : باب في الاستغفار ، وأحمد في « المسند » ١ / ٢٤٨ ، وابن ماجه رقم (٣٨١٩) في الأدب : باب الاستغفار ، وفي سنده الحكم ابن مصعب المخزومي الدمشقي ، قال أبو حاتم : مجهول ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وفي الضعفاء أيضاً ، وترجمه البخاري في « التاريخ الكبير » ولم يذكر فيه جرحاً ، وباقي رجاله ثقات ، وقد صحح اسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على « المسند » رقم (٢٢٣٤) بناء على أنه ثقة عند البخاري لأنه لم يذكر فيه جرحاً فانظره . وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٨٤١) .

(*) هو يوسف بن عبد اللّٰه بن محمد بن عبد البر بن عاصم ، أبو عمر ، النمري الأندلسي ، القرطبي ، المالكي ، حافظ ، محدث ، مؤرخ ، مقرىء ، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ ، وتوفي في شاطبة ـ شرقي الأندلس ـ سنة ٤٦٣هـ . من تصانيفه : « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » و « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » و « جامع بيان العلم وفضله » وغيرها .

إلى النبي ﷺ : « مَنْ قَرأَ سُورَةَ الوَاقِعَةِ كُلَّ يَوْمٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبداً »[1] .

الفصـــل التاسـع عشـر

في الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف سلطاناً وغيره

في « سنن أبي داود » و« النسائي » ، عن أبي موسى ، أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال : « اللَّهُمَّ إنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ »[2] .

وَيُذْكَرُ عن النبي ﷺ أَنه كان يقول عند لقاء العَدُوِّ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَأَنْتَ نَاصِري ، وَبِكَ أُقَاتِلُ »[3] .

وَعَنه ﷺ أَنه كان في غزوة فقال : « يَا مَالِكَ يَوْم الدِّين ، إِيَّاكَ

---

(١) ورواه البيهقي من حديث ابن مسعود ، قال المناوي في «فيض القدير» ٦/ ٢٠١ : وفيه أبو شجاع . قال في « الميزان » : نكرة لا يعرف ، ثم أورد له هذا الخبر ، قال : وقد أجمع على ضعفه أحمد وأبو حاتم وابن الدارقطني والبيهقي وغيرهم . انظر « الأحاديث الضعيفة » رقم (٢٨٩) .

(٢) رواه أبو داود رقم (١٥٣٧) في الصلاة : باب ما يقول إذا خاف قوماً ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٤١٤ و٤١٥ ، ولم نجده في النسائي ولعله في « الكبرى » واللّه أعلم ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٥٨٢) . انظر « الفتوحات الربانية » ٤/ ١٦ و١٧ .

(٣) رواه أبو داود رقم (٢٦٣٢) في الجهاد : باب ما يدعي عند اللقاء ، والترمذي رقم (٣٥٧٨) في الدعوات : باب الدعاء إذا غزا ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/ ١٨٤ من حديث أنس رضي الله عنه ، وإسناده صحيح .

أَعْبُدُ ، وَإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ » ، قال أنس : فلقد رَأَيْتُ الرِّجَالَ تصرعها المَلاَئِكَةُ مِنْ بَيْن يَدَيْهَا وَمِنْ خَلْفِهَا[1] .

وعن ابن عمر قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إِذَا خِفْتَ سُلْطَاناً أَوْ غَيْرَهُ فَقُلْ : لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، عَزَّ جَارُكَ ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ [وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ] »[2] .

وفي « صحيح البخاري » عن ابن عباس قال : ﴿ **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ** ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ النَّاسُ ﴿ **إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ** ﴾ [آل عمران : ١٧٣][3] .

الفصـل العشـرون
في الأذكار التي تطرد الشيطان

قد تقدم «أَنَّ مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ عِنْدَ نَوْمِهِ لَمْ يَقْرَبْهُ شَيْطَانٌ»[4]، وَ«أَنَّ مَنْ قَرَأَ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ كَفَتَاهُ»[5]، «وَمَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ : لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ، وَهُوَ عَلَى

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٣٣٤) ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة » برقم (٣٤٥) ، وإسناده ضعيف. والزيادة من ابن السني.

(٣) رواه البخاري ٨/ ١٧٢ في تفسير سورة آل عمران ، باب قوله تعالى : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** ﴾ .

(٤) تقدم تخريجه ص (١٧١) رقم (٢) .

(٥) تقدم تخريجه ص (٢٠٤) رقم (٣) .

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ، كَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ كُلَّهُ »[1] .

وقد قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨].

وكان النبي ﷺ يقول : « أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ »[2] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦] .

والأذان يطرد الشيطان كما تقدم .

وعن زيد بن أسلم : أَنَّهُ وَلِيَ مَعَادِنَ ، فَذَكَرُوا كَثْرَةَ الجِنِّ بها ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُؤَذِّنُوا كُلَّ وَقْتٍ ، وَيُكْثِرُوا مِنْ ذٰلِكَ ، فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَ بَعْدَ ذٰلِكَ شَيْئاً[3] .

وفي « صحيح مسلم » عن عثمان بن أبي العاص[*] رضي الله

---

(١) تقدم تخريجه ص (٩١) رقم (١) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٧٧٥) في الصلاة : باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ، والترمذي رقم (٢٤٢) في الصلاة : باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٥٠ من حديث أبي سعيد الخدري ، وهو حديث صحيح ، وقال الترمذي : وفي الباب عن علي ، وعائشة ، وعبد الله بن مسعود ، وجابر ، وجبير بن مطعم ، وابن عمر ، وحديث أبي سعيد أشهر حديث في الباب . انظر « الإرواء » رقم (٣٤٢) .

(٣) لم أجده ، وانظر « صحيح مسلم » رقم (٣٨٩) (١٨) و« فتح الباري » للحافظ ابن حجر العسقلاني ٢/ ٧٢ . انظر « مصائب الإنسان من مكائد الشيطان » لابن مفلح ص (١٥٠) من مطبوعات مكتبة دار البيان بدمشق .

(*) هو أبو عبد الله عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان ، الثقفي ، واستعمله النبي ﷺ على الطائف ، فلم يزل عليها حياة رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وسنتين =

عنه أنه قال : يا رسول اللّه ، إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يَلْبسُهَا علي ، فقال رسول اللّه ﷺ : « ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ : خِنْزَبٌ ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ ، وَاتْفُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثاً » ففعلت ذلك ، فأذهبه اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِي[1] .

وأمر ابن عباس رجلاً وجد في نفسه شيئاً من الوسوسة والشك أن يقرأ : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ وٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] .

ومن أعظم ما يندفع به شره بقراءة[2] المعوذتين ، وأول ﴿ الصَّافَات ﴾ وآخر ﴿ الحَشْر ﴾ .

الفصل الحادي والعشرون
في الذكر الذي تحفظ به النعم ،وما يقال عند تجددها

قال اللّه سبحانه وتعالى في قصة الرجلين : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ

= من خلافة عمر، ثم عزله عمر ، وولّاه عمان والبحرين ، وكان وفد على النبي ﷺ في وفد ثقيف ، وهو أحدثهم سناً ، وله تسع وعشرون سنة ، وذلك سنة عشرة ، وسكن البصرة ، ومات بها سنة إحدى وخمسين ، ولما مات النبي ﷺ وعزمت ثقيف على الردة ، قال لهم : يا معشر ثقيف ! كنتم آخر الناس إسلاماً ، فلا تكونوا أول الناس ردّة ، فامتنعوا من الردة .

روى عنه الحسن البصري ، وابن المسيب ، وموسى بن طلحة ، ونافع بن جبير .

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٠٣) في السلام : باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٢١٦ ، وفي الباب عن عبيد بن رفاعة عن أحمد ، وعبد الرزاق ، وابن أبي شيبة .

(٢) في الأصول « قراءة » والصواب ، ما أثبتناه .

جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه ﴾ [الكهف : ٣٩] . فينبغي لمن دخل بستانه ، أو داره ، أو رأى في ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر إلى هذه الكلمة ، فإنه لا يرى فيه سوءاً .

وعن أنس قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً فِي أَهْلٍ وَمَالٍ وَوَلَدٍ فَقَالَ ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ فَيَرَىٰ فِيهَا آفَةً دُونَ المَوْتِ »[1] .

وعنه ﷺ أنه كان إذا رأى ما يسره قال : « الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ » ، وإذا رأى ما يسوؤه قال : « الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ »[2] .

الفصل الثاني والعشرون
في الذكر عند المصيبة[3]

قال اللَّه تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِم صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧] .

---

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/ ١٤٠ ونسبه للطبراني في « الصغير » و « الأوسط » ، وقال : وفيه عبد الملك بن زرارة ، وهو ضعيف .

(٢) رواه بمعناه ابن ماجه رقم (٣٨٠٣) في الأدب : باب فضل الحامدين ، وزاد في « آخره » : « رب أعوذ بك من حال أهل النار » ورواه أيضاً ابن السني رقم (٣٧٨) والحاكم ١/ ٤٩٩ وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٢٦٥) .

(٣) انظر من منشورات دار البيان بدمشق « تسلية أهل المصائب » للمنبجي الحنبلي .

وَيُذْكَرُ عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لِيَسْتَرْجِعْ أَحَدُكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ فِي شَسعِ نَعْلِهِ فَإِنَّهَا مِنَ المَصَائِبِ »[1] .

وقالت أم سلمة : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ : إِنَّا للَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي ، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا ، إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي مُصِيبَته ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا » قالت : فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول اللَّه ﷺ ، فأخلف اللَّه لي خيراً منه ، رسولَ اللَّه ﷺ[2] .

وروي أيضاً عنها رضي اللَّه عنها قالت : دخل رسول اللَّه ﷺ على أبي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ ، فَأَغْمَضَهُ ، ثم قال : « إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ » فضج ناس من أهله ، فقال : « لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ ما تَقُولُونَ » ثم قال : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ[3] ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ »[4] .

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٣٥٢) ، وفي سنده يحيى بن عبد الله التيمي لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات ، لكن له شاهد مرسل يرتقي به .

(٢) رواه مسلم رقم (٩١٨) (٤) في الجنائز : باب ما يقال عند المصيبة ، و « الموطأ » ١/ ٢٣٦ في الجنائز : باب جامع الحسبة في المصيبة ، وأبو داود رقم (٣١١٩) في الجنائز : باب ما يستحب أن يقال عند الميت من الكلام ، والترمذي رقم (٣٥٠٦) في الدعوات باب رقم ٨٨ ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٣٠٩ و٣١٣ و٣١٧ و ٣٢١ .

(٣) قوله : « **واخلفه في عقبه في الغابرين** » أي كن خليفة له في ذريته . والعقب مؤخر الرجل ، واستعير للولد وولد الولد ، وقولهم : لا عقب له : أي لم يبق له ولد ذكر . والغابرين : أي الباقين كقوله تعالى : ﴿ **إلا امرأته كانت من الغابرين** ﴾ .

(٤) رواه مسلم رقم (٩٢٠) في الجنائز : باب في إغماض الميت ، والترمذي رقم=

الفصـــل الثالث والعشـرون

في الذكر الذي يدفع به الدين ويرجى قضاؤه

وفي الترمذي عن علي رضي اللّه تعالى عنه ، أن مُكاتَباً جاءَهُ فقال : إني عَجَزْتُ عن كتابتي فأعنِّي ، فقال : أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ[1] دَيْناً إلَّا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ ، قُلْ : « اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنَ سِوَاكَ » قال الترمذي : حديث حسن[2] .

الفصـــل الرابع والعشـرون

في الذكر الذي يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرهما

في « صحيح البخاري » عن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه تعالى عنهما قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسْين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَيَقُولُ : « إنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهِمَا إسْمَاعِيلَ

= (٩٧٧) في الجنائز : باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت والدعاء له ، وأبو داود رقم (٣١١٥) و (٣١١٨) في الجنائز : باب ما يستحب أن يقال عند الميت من الكلام : وباب تغميض الميت ، والنسائي ٤/ ٤ و٥ في الجنائز : باب كثرة ذكر الموت ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٢٩٧ .

(١) كذا في طبعات « الوابل الصيب » جميعها،وفي الترمذي طبعة البابي الحلبي : ثبير ، قال ياقوت في معجم البلدان : قال نصر : ثبير من أعظم جبال مكة بينها وبين عرفة ، سمّي ثبيراً برجل من هذيل مات في ذلك الجَبَل فعرف الجبل به .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٥٥٨) في الدعوات : باب رقم (١٢١) ، وأحمد في « المسند » ١/ ١٥٣ ، وهو حديث حسن ، حسنه الترمذي في السنن ، والحافظ ابن حجر في « تخريج الأذكار » .والألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٦٢٢) .

وَإِسْحَاقَ : أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ »[1] .

وفي « الصحيحين » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رَقَى لَدِيغاً بِفَاتِحَةِ الكِتَاب ، فَجَعَلَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرأُ : ﴿ **الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِين** ﴾ ، فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ[2] . . . الحديث[3] .

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء ، أو كانت قرحة به ، أو جرح ، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا - ووضع سفيان بن عيينة إصبعه بالأرض ثم رفعها - وقال : « بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ[4] بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ

---

(١) رواه البخاري ٦/٢٩٢ في الأنبياء: باب ﴿**واتخذ الله ابراهيم خليلاً**﴾، وأبو داود ورقم (٤٧٣٧) في السنة : باب قي القرآن ، والترمذي رقم (٢٠٦١) في الطب : باب رقم ١٨ ، وابن ماجه رقم (٣٥٢٥) في الطب : باب ما عوذ به النبي ﷺ ، وأحمد في « المسند » ١/ ٢٣٦ . في الترمذي وابن ماجه وأحمد : ذكر أن إبراهيم كان يعوذ اسماعيل واسحاق عليهم السلام .

(٢) القلبة : (بفتح القاف واللام) : العلة والألم .

(٣) رواه البخاري ١٠/ ١٧٨ في الطب : باب النفث في الرقية ، وباب الرقى بفاتحة الكتاب ، وفي الإجارة : باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب ، وفي فضائل القرآن : باب فاتحة الكتاب ، ومسلم رقم (٢٢٠١) في السلام : باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ، وأبو داود رقم (٣٩٠٠) في الطب : باب كيف الرقى ، والترمذي رقم (٢٠٦٤) و(٢٠٦٥) في الطب : باب ما جاء في أخذ الأجرة على التعويذ ، وابن ماجة رقم (٢١٥٦) في التجارات : باب أجر الراقي ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٢ و ١٠ و ٤٤ . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (٥٧٢٠) .

(٤) قوله : « أرضنا » قال جمهور العلماء : المراد بـ [illegible] هنا جملة الأرض ، وقيل : أرض المدينة خاصة لبركتها . وقوله : « بريقة » والريقة أقل من الريق . ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب ، فيعلق بها =

سَقِيمُنا، بِإِذْنِ رَبِّنا »[1] .

وفي « الصحيحين » أيضاً عنها رضي اللّه عنها : « أَن النبي ﷺ كان يعوِّذ بعض أهله ، يمسح بيده اليمنى ويقول : « اللَّهُمَّ رَبَّ النَّـاسِ ، أَذْهِبِ البَأْسَ ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّـافِي ، لَا شِفَـاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقماً »[2] .

وفي « صحيح مسلم » عن عثمان بن أبي العاص رضي اللّه عنه : أنه شكا إلى رسول اللّه ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم ، فقال النبي ﷺ : « ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ : بِسْمِ اللَّهِ ـ ثَلاثاً ـ وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ »[3] .

= منه شيء ، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ، ويقول هذا الكلام في حال المسح .

(1) رواه البخاري ١٠/ ١٧٦ و١٧٧ في الطب : باب رقية رسول الله ﷺ ، ومسلم رقم (٢١٩٤) في السلام : باب استحباب الرقية من العين ، وأبو داود رقم (٣٨٩٥) في الطب : باب كيف الرقي ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٩٣ ، وابن ماجه في الطب : باب ما عوَّذ به النبي ﷺ وما عُوِّذ به ، وابن السني رقم (٥٨١) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » .

(2) رواه البخاري ١٠/ ١٧٦ في الطب : باب ما جاء في رقية النبي ﷺ ، ومسلم رقم (٢١٩١) في السلام : باب استحباب رقية المريض وأحمد في « المسند » ٦/ ٤٥ و١٠٩ و١١٥ و١٢٦ و١٢٧ و١٣١ و٢٦١ و٢٧٨ ، وابن ماجه رقم (١٦١٩) في الجنائز : باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ ، ورقم (٣٥٢٠) في الطب : باب ما عوِّذ به النبي ﷺ وما عُوِّذ به .

(3) رواه مسلم رقم (٢٢٠٢) في السلام : باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، ولفظه عنده في آخره: «أعوذ باللّه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» وأحمد في « المسند » ٤/ ٢١ و٢١٧ وأبو داود رقم (٣٨٩١) والترمذي رقم (٢٠٨١) بلفظ « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » وابن ماجه رقم (٣٥٢٢) في الطب : باب أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد ، كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى .

وفي « السنن » عن ابن عباس رضي اللّه عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ عَادَ مَريضاً لَمْ يَحْضُر أَجَلُهُ ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَسْأَلُ اللَّهَ العَظِيمَ ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ ، أَنْ يَشْفِيكَ ، إلَّا عَافَاهُ اللَّهُ تَعالَىٰ »[1] .

وفي « سنن أبي داود والنسائي » ، عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « مَن اشْتَكَىٰ مِنْكُمْ ، أَوْ اشْتَكَىٰ أَخٌ لَهُ فَلْيَقُلْ : رَبُّنَا اللَّهُ الَّذي فِي السَّمَاءِ ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ ، فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ ، اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا ، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الوَجَعِ ، فَيَبْرَأُ »[2] .

الفصل الخامس والعشرون
في ذكر دخول المقابر

في « صحيح مسلم » عن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب قال : كان رسول اللَّه ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَىٰ المَقَابِر ، أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣١٠٦) في الجنائز : باب الدعاء للمريض عند العيادة ، والترمذي رقم (٢٠٨٤) في الطب : باب رقم ٣٢ ، وأحمد في « المسند » ١ / ٢٣٩ و٢٤٢ و٣٥٢ ، وحسنه الترمذي ، وهو كما قال . وليس عندهما لفظة : « ويعاقبك » .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٨٩٢) في الطب : باب كيف الرقي ، وأحمد في « المسند » ٦ / ٢١ وفي سنده زيادة بن محمد الأنصاري ، وهو منكر الحديث . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٤٣٠) : ضعيف جداً .

اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ »[1] .

وفي « سنن ابن ماجه » عن عائشة ، قالت : فقدت النبي ﷺ : فإذا هو بالبقيع فقال : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ ، وَإِنَّا بِكُمْ لَاحِقُونَ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ »[2] .

الفصل السادس والعشرون
في ذكر الاستسقاء

قال تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴾ [نوح : ١٠ و ١١] .

عن جابر بن عبد الله قال : أتت النبي ﷺ بَوَاكٍ فقال : « اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً ، مَرِيئاً ، نَافِعاً غَيْرَ ضَارٍ ، عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ » فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ[3] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٩٧٥) في الجنائز : باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ، ورواه أيضاً النسائي ٤ / ٩٤ في الجنائز : باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين ، وابن ماجه رقم (١٥٤٧) في الجنائز : باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر، وأحمد في « المسند » ٥ / ٣٥٣ .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (١٥٤٦) في الجنائز : باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٦ / ٧١ ، وابن السني رقم (٥٨٤) ، وهو حديث حسن ، وقد حسنه الحافظ في « تخريج الاذكار » ٤ / ٢٢١ . انظر « الإرواء » رقم (٧٧٦) .

(٣) رواه أبو داود رقم (١١٦٩) في الصلاة : باب رفع اليدين في الاستسقاء ، وإسناده صحيح .

وعن عائشة : شَكَا النَّاسُ إلَى رَسُول اللَّه ﷺ قَحُوطَ المَطَرِ ، فَأَمَر بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي المُصَلَّى ، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْماً يَخْرُجُونَ فِيهِ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَدا حَاجِبُ الشَّمْس ، فَقَعَدَ عَلَى المِنْبَرِ ، فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ قَالَ : « إنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ ، وَاسْتِئْخَارَ المَطَرِ عَنْ إبَّان زَمَانِهِ عَنْكُمْ ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ تَدْعُوهُ ، وَوَعَدكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ » . ثم قال : ﴿ **الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالمين * الرَّحْمٰنِ الرَّحيم * مَلِكِ يَوْمِ الدِّين** ﴾ ، لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ الغَنِيُّ ، وَنَحْنُ الفُقَرَاءُ ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الغَيْثَ ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَه عَلَيْنا(١) قُوَّةً وَبَلَاغاً إلى حِينٍ » ، ثم رفع يديه ، فلم يزل في الرفع حتى بَدَا بَيَاضُ إبْطَيْهِ ، ثم حَوَّلَ إلى النَّاس ظَهْرَهُ ، وَقَلَبَ ـ أَوْ حَوَّلَ ـ رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعُ يَدَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاس ، فَنَزَلَ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْن ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَحَابَةً ، فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإذنِ اللَّه تَعَالَى ، فلم يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ ، فلما رأى سُرْعَتَهُمْ إلَى الكِنِّ(١) ، ضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَقَالَ : « أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ »(٢) .

وفي « سنن أبي داود » عن عبد الله بن عمرو : كان رسول الله ﷺ إذا استسقى قال : « اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ ، وَانْشُرْ

---

(١) كذا في النسخ جميعها وفي أبي داود : أنزلت لنا .

(٢) رواه أبو داود رقم (١١٧٣) في الصلاة : باب رفع اليدين في الاستسقاء ، وإسناده حسن ، وقال أبو داود : وهذا حديث غريب إسناده جيد ، أهل المدينة يقرؤون ﴿ ملك يوم الدين ﴾ وإن هذا الحديث حجة لهم .

رَحْمَتَك ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ المَيِّتَ »(١) .

وقال الشعبي : خرج عمر يستسقي ، فلم يزد على الاستغفار . فقالوا : ما رأيناك استسقيت ، فقال : لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزلون بها المطر(٢) . ثم قرأ : ﴿ **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً** ﴾ [نوح : ١٠ و ١١] ، ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثم تُوبُوا إليه يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إلى أَجَلٍ مُسَمًّى** ﴾ . . . الآية [هود : ٣] .

الفصل السابع والعشرون
في أذكار الريح إذا هاجت

قال أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الرِّيحُ مِن رَوْحِ اللَّهِ تَعَالَىٰ ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ ، وَتَأْتِي بِالعَذَابِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ خَيْرِهَا ، وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا » رواه أبو داود(٣) .

---

(١) رواه أبو داود رقم (١١٧٦) في الصلاة : باب رفع اليدين في الاستسقاء ، وإسناده حسن ، ورواه مالك في « الموطأ » ١/ ١٩٠ و١٩١ مرسلاً ، وقد وصله أبو داود كما علمت .

(٢) المجاديح : واحدها مجدح ، وهو نجم قيل : هو الدبران ، وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر .

(٣) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٧) في الأدب : باب ما يقول إذا هاجت الريح ، وابن ماجه رقم (٣٧٢٧) في الأدب : باب النهي عن سب الريح ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٦٨ و٤٠٩ و٥١٨ والبخاري في « الأدب المفرد » رقم (٩٠٦) ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٥٥٨) .

وفي « صحيح مسلم » عن عائشة قالت : كانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ : « اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا ، وَخَيْرَ مَا فِيهَا ، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ »[1] .

وفي « سنن أبي داود » عن عائشة أيضاً رضي الله عنها : « أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذَا رَأَى نَاشِئاً في أُفق السَّماءِ تَرَكَ العَمَلَ وَإنْ كَانَ فِي صَلاةٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا » فإن مَطَرَ[2] قَالَ : « اللَّهُمَّ صَيِّباً هَنِيئاً »[2] .

الفصــل الثامن والعشرون
في الذكر عند الرعد

كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال : سُبْحَان الَّذي ﴿ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ والمَلائِكَةُ مِنْ خِيْفَتِهِ ﴾ [الرعد : ١٤][3] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٨٩٩) (١٥) في الاستسقاء : باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم ، ورواه البخاري ٦/ ٢١٦ في بدء الخلق : باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾ ، وفي التفسير والأدب ، والترمذي رقم (٣٤٤٥) .

(٢) هكذا هي في إحدى النسخ وهي موافقة لما في « أبي داود » وفي بقية النسخ : فإن أمطرت .

(٢) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٩) في الأدب : باب ما يقول إذا هاجت الريح ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٦/ ١٩٠ ، وابن ماجه رقم (٣١٨٩) في الدعاء : باب ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب ، وإسناده صحيح .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » ٢/ ٩٩٢ في الكلام ، باب القول إذا سمعت الرعد من طريقه =

وعن كعب أنه قال : من قال ذلك ثلاثاً ، عُوفِيَ مِن ذَلِكَ الرَّعْدِ[1] .

وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرَّعْدِ وَالصَّواعِقَ قال : « اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ »[2] .

= عن عامر بن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد . . وذكره . . أقول : وهو تحريف فقد رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧٢٣)قال: حدثني مالك بن أنس عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن الزبير . . . فذكره ، وهذا إسناد صحيح وصححه النووي في « الأذكار » رقم (٥٥٨) من طبعتنا ـ مكتبة دار البيان بدمشق ، والحافظ في « تخريج الأذكار » من قول عبد الله بن الزبير .

(١) قال الحافظ في « تخريج الأذكار » كما نقل عنه ابن علان في « الفتوحات الربانية » : وهو عندنا بالاسناد إلى الطبراني بإسناده إلى ابن عباس قال : كنا مع عمر بن الخطاب في سفر ، فأصابنا رعد وبرق ومطر ، فقال لنا كعب : من قال حين يسمع الرعد : سبحان من يسبح الرعد بحمده . . الخ ثم لقيت عمر في بعض الطريق ، فإذا بردة أصابت أنفه ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : بردة أصابت أنفي فأثرت فيَّ ، فقلت : إن كنا قال . . . فذكره ، فقلنا ؛ وعوفينا ، فقال عمر : فهلا أعلمتمونا حتى نقول ؟ قال الحافظ : هذا موقوف حسن الاسناد .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٤٤٦) في الدعوات ، باب ما يقال إذا سمع الرعد ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/ ١٠٠ وفي سنده ضعف ، وضعفه النووي في « الأذكار » ؛ رقم (٥٥٧) من طبعتنا ـ مكتبة دار البيان بدمشق ، وتعقبه الحافظ في تخريج الأذكار فقال : رواه أحمد والبخاري في « الأدب المفرد » ، والترمذي والنسائي والحاكم من طرق متعددة . انظر « شرح الأذكار » ٤/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤ لابن علان .

الفصـــل التاسع والعشرون
في الذكر عند نزول الغيث

في « الصحيحين » عن زيد بن خالد الجُهَنِي(*) قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحُدَيْبِيَةِ في إِثْرِ سماءٍ كَانَتْ من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هَلْ تَدْرُون مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قالوا : اللّه ورسوله أعلم . قال : « قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنا بفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي ، وَكَافِرٌ بالكَوَاكِب ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ، فَذَاكَ كَافِرٌ بِي ، مُؤْمِنٌ بِالكَوَاكِبِ »(١) .

وقد قيل : إن الدعاء عند نزول الغيث مستجاب(٢) .

وفي « صحيحِ البخاري » عن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ

(*) هو أبو طلحة ، وقيل : أبو عبد الرحمن زيد بن خالد الجهني ، من جهينة بن زيد . نزل الكوفة .

روى عنه عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة ، وعطاء بن يسار .

مات بالكوفة سنة ثمانٍ وسبعين ، ويقال : مات في آخر أيام معاوية ، وهو ابن خمس وثمانين سنة ، وقيل في وفاته غير ذلك .

(١) رواه البخاري ٢/ ٢٧٧ في صفة الصلاة : باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، وفي الاستسقاء : باب قول الله تعالى : ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ ، وفي المغازي : باب غزوة الحديبية ، وفي التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ ومسلم رقم (٧١) في الإيمان : باب بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء ، و « الموطأ » ١/ ١٩٢ في الاستسقاء : باب الاستمطار بالنجوم ، وأبو داود رقم (٣٩٠٦) في الطب : باب في النجوم : والنسائي ٣/ ١٦٥ في الاستسقاء : باب كراهية الاستمطار بالكواكب، وأحمد في « المسند » ٤/ ١١٧ .

(٢) ورد بذلك حديث ضعيف بلفظ : « تفتح أبواب السماء الخمس . . . ولنـزول القطر . . » الحديث. انظر في ضعيف الجامع رقم (٢٤٦٣) و (٢٤٦٢) .

النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأى المَطَر قَالَ : « صَيِّباً نَافِعاً »[1] .

وفي « صحيح مسلم » عن أنس رضي الله عنه قال : أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ مَطَرٌ ، فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ المَطَرِ ، فَقُلْنَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لِمَ صَنَعْتَ هٰذا ؟ قَالَ : لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ[2] »[3] .

الفصل الثلاثون
في الذكر والدعاء عند زيادة المطر
وكثرة المياه والخوف منها

في « الصحيحين » عن أنس قال : دَخَلَ رَجُلٌ المَسْجِدَ يَوْمَ جُمْعَةٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ النَّاسَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ، هلكتِ الأموالُ ، وانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يُغيثُنَا ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا» قال أَنَسُ : [وَلَا][4] وَاللَّهِ مَا نَرَى في السَّمَاءِ مِنْ سَحابٍ وَلَا قَزْعَةٍ ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ ، فَطَلَعَتْ

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٤٣٠ في الاستسقاء : باب ما يقال إذا مطرت .

(٢) قوله : « حديث عهد بربه » أي بتكوين ربه إياه ، ومعناه أن المطر رحمة ، وهي قريبة العهد يخلق الله تعالى لها ، فيتبرك بها .

(٣) رواه مسلم رقم (٨٩٨) في الاستسقاء : باب الدعاء في الاستسقاء : باب الدعاء في الاستسقاء ، وأبو داود رقم (٥١٠٠) في الأدب : باب في المطر ، وأحمد في « المسند » ٣/ ١٣٣ و٢٦٧ .

(٤) الزيادة من « الصحيحين » .

مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مثلُ التُّرسِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَت السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ ، فَلَا واللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتاً ، ثُمَّ دَخلَ رَجُلٌ مِنْ ذٰلِكَ الباب فِي الجُمُعَةِ المُقبلَةِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِماً ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَلَكَتِ الأَمْوَالُ ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّه يُمْسِكُهَا عَنَّا ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْه ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ، اللَّهُمَّ عَلَى الآكام وَالظِّرَاب(١) ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ ، وَمَنابِتَ الشَّجَرِ » قَالَ : فَأَقْلَعَتْ ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ »(٢) .

الفصل الحادي والثلاثون
في الذكر عند رؤية الهلال

عن عبد الله بن عمر قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأى الهِلَالَ قَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ ، وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَىٰ ، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ »(٣) .

وفي « سنن أبي داود » عن قتادة ، أنه بلغه : أن نبي الله ﷺ

---

(١) الظراب : واحدها : ظرب ، وهي الروابي الصغار .

(٢) رواه البخاري ٢ / ٤٢٢ في الاستسقاء : باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ، ومسلم رقم (٨٩٧) في الاستسقاء : باب الدعاء في الاستسقاء ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/ ١٠٤ و١٨٧ و١٩٤ و٢٦١ و٢٧١ ، وأبو داود رقم (١١٧٤) في الصلاة : باب رفع اليدين في الاستسقاء ، والنسائي ٣/ ١٥٩ - ١٦٠ في الاستسقاء ؛ باب كيف يرفع الامام يده .

(٣) رواه الدارمي رقم (١٦٩٤) في الصوم : باب ما يقال عند رؤية الهلال ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٧٤) « موارد » في الأذكار : باب ما يقول اذا رأى الهلال ، وهو حديث حسن . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٨١٦) .

كان إذا رأى الهلال قال : « هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ ، هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ ، [هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ] ، آمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ » ثلاث مرات . ثُمَّ يَقُولُ : « الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا ، وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا »(١) .

الفصـــل الثاني والثلاثون
في الذكر للصائم وعند فطره

عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ ، الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرُ ، وَالإمامُ العَادِلُ ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن(٢) .

وروى ابن ماجه ، عن ابن أبي مليكة(*) ، عن عبد اللَّه بن

---

(١) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٢) في الأدب ، باب ما يقول الرجل إذا رأى الهلال وهو مرسل . قال الحافظ في « تخريج الأذكار » : وجدت له شاهداً مرسلاً أيضاً ، أخرجه مسدد في « مسنده » الكبير ورجاله ثقات ، قال : ووجدت له شاهداً موصولاً من حديث أنس . قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٤١٤) : ضعيف . والزيادة من أبي داود .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٥٩١) في الدعوات : باب رقم (١٣٩) ، ورقم (٢٥٢٨) في صفة الجنة : باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢ / ٣٠٥ و ٤٤٥ ، وابن ماجه رقم (١٧٥٢) في الصيام : باب الصائم لا ترد دعوته ، قال الترمذي : حديث حسن ، وكذا الحافظ ابن حجر . قال الألباني : وفيه نظر عندي ، لأن مداره على أبي مُدلة ، قال الذهبي : لا يكاد يعرف . نعم ذكر له الحافظ طرقاً أخرى عن أبي هريرة ، ومع أنه ضعف جلها فهي مضطربة المتن ، فبعضها تذكر « دعوة المسافر » بدل « الإمام العادل » وبعضها تذكر « ودعوة الوالد على ولده » وبعضها « ودعوة المرء على نفسه » وذلك يدل على ضعف الحديث وعدم ضبطه بحيث لا يستطيع الناقد أن يقول : هذا نص الحديث ولفظه . انظر « شرح ابن علان » ٤ / ٤٣٨) . اهـ .

(*) هو أبو محمد ، وقيل : أبو بكر : عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن أبي مليكة ، واسم أبي

عمرو : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فَطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ »(١) .

وقال ابن أبي مليكة : سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما يقول إذا أفطر : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي .

ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان إذا أفطر قال : « اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ ، وَعَلى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ »(٢) .

ومن وجه آخر : « اللَّهُمَّ لَكَ صُمْنَا ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا ، فَتَقَبَّلْ مِنَّا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ »(٣) .

الفصل الثالث والثلاثون
في أذكار السفر

روى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال : « مَا خَلَّفَ أَحَدٌ عِنْدَ

= مليكة : زهير بن عبد الله بن جدعان بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التيمي القرشي الأحول المكي ، من مشاهير التابعين وعلمائهم ، وكان قاضياً على عهد عبد الله بن الزبير. قال : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ . سمع ابن عباس، وابن الزبير، وعائشة. روى عنه ابن جريج وخلق سواه . مات سنة سبع عشرة ومائة .

(١) رواه ابن ماجه رقم (١٧٥٣) في الصيام : باب في الصائم لا ترد دعوته وابن السني رقم (٤٨١) ، وفي سنده إسحاق بن عبيد الله المدني لم يوثقه غير ابن حبان ، ورواه الطبراني في الدعاء من طريق أخرى ، قال الحافظ في « تخريج الأذكار » : هذا حديث حسن أخرجه أبو يعلى في « مسنده » ، وأخرجه الحاكم من وجه آخر . وانظر « شرح الأذكار » ٤/ ٣٤٢ . وقد ضعفه الألباني في «الإرواء» رقم (٩٢١) .

(٢) رواه ابو داود رقم (٢٣٥٨) في الصيام : باب القول عند الإفطار مرسلاً ، لكن له شواهد يقوى بها منها الذي بعده . انظر « الإرواء » رقم (٩١٩) .

(٣) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٤٨١) من حديث ابن عباس ، وفي سنده ضعف لكن يشهد له الذي قبله . انظر « الإرواء » رقم (٩١٩) .

أَهْلِهِ أَفْضَلَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ يَرْكَعُهُمَا عِنْدَهُمْ حِينَ يُرِيدُ سَفَراً »[(١)] .

وفي « مسند الإمام أحمد » عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ أَرَادَ سَفَراً فَلْيَقُلْ لِمَنْ يُخَلِّفُ : أَسْتَودِعُكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ »[(٢)] .

وفي « المسند » أيضاً ، عن ابن عمر[(٣)] عن النبي ﷺ ، قال : « إِنَّ اللَّهَ إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئاً حَفِظَهُ »[(٤)] .

وقال سالم : كان ابن عمر يقول لرجل إذا أراد سفراً : أُدْنُ مِنِّي أُوَدِّعْكَ ، كَمَا كَانَ رسول الله ﷺ يُوَدِّعُنَا ، فَيَقُولُ : « أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ »[(٥)] .

---

(١) قال الألباني في «الأحاديث الضعيفة» رقم (٣٧٢) : ضعيف، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » وذكر له شواهد . انظر « شرح الأذكار » ٥/ ١٠٦ .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٤٠٣ ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٢٨٢٥) في الجهاد : باب تشييع الغزاة ووداعهم ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٤٩٩) ، وإسناده حسن ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » ٥/ ١١٤ . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٦) .

(٣) في النسخ المطبوعة : عن عمر .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٨٧ وإسناده صحيح ، ورواه أيضاً ابن حبان من طريق آخر رقم (٣٣٧٦) « موارد » في الأذكار : باب ما يقول عند الوداع ، وإسناده صحيح أيضاً ، وصححه الحافظ في « تخريج الأذكار » ٥/ ١١٣ .

(٥) رواه الترمذي رقم (٣٤٣٨) في الدعوات : باب ما يقول إذا ودع انساناً ، وأبو داود رقم (٢٦٠٠) في الجهاد : باب الدعاء عند الوداع ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٧ و ٢٥ و ٣٨ و ١٣٦ و ٣٥٨ ، وابن ماجه رقم (٢٨٢٦) في الجهاد : باب تشييع الغزاة ووداعهم ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، وصححه الحاكم في « المستدرك » ١/ ٤٤٢ ووافقه الذهبي ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٧٦) « موارد » . فالحديث صحيح. وانظر ما قاله الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٤) .

ومن وجه آخر : كان النبي ﷺ إذا ودَّع رَجُلاً أَخَذَ بِيَدِهِ ، فَلاَ يَدَعْهَا حَتَّىٰ يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدَعُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ . . . وذكر تمام الحديث(١) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح(٢) .

وقال أنس رضي الله عنه : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني أريد سفراً فزودني . فقال : « زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى » ، قال : زدني ، قال : « وَغَفَرَ ذَنْبَكَ » ، قال : زدني ، قال : « وَيَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ » قال الترمذي : حديث حسن(٣) .

وعن أبي هريرة أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إني أريد أن أسافر فأوصني ، قال : « عَلَيْكَ بتَقْوَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالتَّكْبيرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ »(٤) فلما ولى الرَّجُلُ قَالَ : « اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ البُعْدَ ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ » قال الترمذي : حديث حسن(٥) .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٤٣٨) في الدعوات : باب رقم ٤٥ وفي سنده إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد بن أمية وهو مجهول ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب أقول : لكن للحديث شواهد يرقى بها ، فهو بها حسن ، وقد ذكر الحافظ شواهداً للحديث في « تخريج الأذكار » فانظرها في « شرح الأذكار » ٥/ ١١٨ . وقد صححه الألباني ، انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٤) .

(٢) كذا في الأصل وفي الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه .

(٣) وهو كما قال ، وحسنه الحافظ ، وقد رواه الترمذي رقم (٣٤٤٠) في الدعوات : باب رقم (٤٦) ، ورواه أيضاً الدارمي بلفظ آخر رقم (٢٦٧٤) في الاستئذان : باب ما يقول إذا ودع رجلاً ، والحاكم ٢/ ٩٧ ،وابن السني رقم (٥٠٢) .

(٤) الشرف : المكان المرتفع .

(٥) وهو كما قال ، رواه الترمذي رقم (٣٤٤١) في الدعوات : باب رقم (٤٧) ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/ ٣٣٢ و٤٣٣ ، والحاكم ٢/ ٩٨ وصححه ووافقه الذهبي ، كما رواه ابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٧٨) و (٢٣٧٩) و « موارد » في الاذكار : باب وصية المسافر والدعاء له .

الفصل الرابع والثلاثون
في ركوب الدابة والذكر عنده

قال علي بن ربيعة(*) : شهدت علي بن أبي طالب رضي الله عنه أُتي بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله في الركاب قال : بسم الله ، فلما استوى على ظهرها قال : الحمد لله ، ثم قال : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِين * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُون** ﴾ [الزخرف : ١٣ - ١٤] ثم قال : الحمد لله ثلاث مرات ، ثم قال : الله أكبر ثلاث مرات ، ثم قال : سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم ضحك . فقيل: يا أمير المؤمنين! من أي شيء ضحكت؟ فقال: رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت ، ثم ضحك ، فقلت : يا رسول الله ، من أي شيء ضحكت ؟ فقال : « إِنَّ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَعْجَبُ مِن عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي » رواه أهل السنن ، وصححه الترمذي(١) .

(*) هو أبو المغيرة علي بن ربيعة الوالبي الأسدي الكوفي . سمع علياً ، وابن عمر ، وأسماء بن الحكم .

روى عنه سعيد بن عبيد ، وسلمة بن كهيل .

يعد في الطبعة الثانية من تابعي الكوفي ، وهو من أسد خزيمة .

(١) رواه أبو داود رقم (٢٦٠٢) في الجهاد: باب ما يقول الرجل إذا ركب،والترمذي رقم (٣٤٤٣) في الدعوات: باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة ، وقال : حسن صحيح ، والحاكم ٢/ ٩٩ وصححه،ورواه ابن حبان رقم (٢٣٨٠) و(٢٣٨١) في الأذكار: باب ما يقول إذا ركب الدابة ، وأحمد في « المسند » ١/ ٩٧ و١٢٨ ، وعبد الرزاق في « مصنفه » رقم (١٩٤٨٠) من طريق أبي اسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة عن علي =

وفي « صحيح مسلم » عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما ، أن رسول اللّه ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر ، كبر ثلاثاً ثم قال : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ** ﴾ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ وَالتَّقْوَىٰ ، وَمِنَ العَمَلِ مَا تَرْضَىٰ ، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هٰذَا ، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ فِي المَالِ وَالأَهْلِ » ، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن « آيِبُونَ ، تَائِبُونَ ، عَابِدُونَ ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ »(١) .

وفي وجه آخر : « كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ إِذَا عَلَوا الثَّنَايَا كَبَّرُوا ، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا »(٢) .

= ابن أبي طالب ، وقد رواه أبو إسحاق بالعنعنة ، قال الحافظ في « تخريج الأذكار » كما نقل عنه ابن علان : إن أبا إسحاق دلس بحذفه رجلين أو أكثر . نقول : وقد رواه الحاكم من طريق أخرى ٢/ ٩٨ عن المنهال بن عمرو عن علي بن ربيعة ، وصححه ووافقه الذهبي ، ولذا قال الترمذي : حديث حسن صحيح وهو كما قال ، وانظر بقية كلام الحافظ في « شرح الأذكار » لابن علان ٥/ ١٢٥ .

(١) رواه مسلم رقم (١٣٤٢) في الحج : باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ، والترمذي رقم (٣٤٤٤) في الدعوات : باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة ، وأبو داود رقم (٢٥٩٩) في الجهاد : باب ما يقول الرجل إذا سافر ، وأحمد في « المسند » ٢/ ١٤٤ و ١٥٠ .

(٢) ظاهر كلام المصنف أن هذه الزيادة هي بسند الحديث الذي قبله ، وقد رواها أبو داود رقم (٢٥٩٩) في الجهاد : باب ما يقول الرجل إذا سافر مدرجة على حديث ابن عمر الذي قبله ، وقد روى هذه الزيادة عبد الرزاق في « مصنفه » رقم (٩٢٤٩) منفردة من طريقه عن ابن جريج قال : « كان النبي ﷺ وجيوشه إذا علو الثنايا كبروا ، وإذا هبطوا سبحوا ، وضعت الصلاة على ذلك » وإسناده معضل ، قال الحافظ في « تخريج =

الفصل الخامس والثلاثون

في ذكر الرجوع من السفر

قال عبد اللّه بن عمر : « كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا قَفَلَ مِن حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ أَوْ غَزْوٍ ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْض ثلاث تَكْبيْرَاتٍ ، ثُمَّ يَقولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدير ، آيِبُونَ ، تَائِبُونَ ، عَابِدُونَ ، سَاجِدُونَ ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ ، صَدَقَ اللّهُ وَعْدَهُ ، وَنَصر عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ » . رواه البخاري ومسلم[1] .

* * *

= الأذكار » كما نقل عنه ابن علان ، بعد ان ذكر الحديث : هكذا أخرجه معضلاً ولم يذكر فيه لابن جريج سنداً فظهر أن من عطفه على الأول أو مزجه أدرجه ، وهذا من أدق ما وجد في المدرج .

(١) رواه البخاري ١١/ ١٦٠ في الدعوات : باب الدعاء إذا أراد سفر أو رجع ، وفي الحج : باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو ، وفي الجهاد : باب التكبير اذا علا شرفاً ، وباب ما يقول إذا رجع من الغزو ، وفي المغازي : باب غزوة الخندق ، ومسلم رقم (١٣٤٤) في الحج : باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج أو غيره ، و« الموطأ » ٢٠/ ٤٢١ في الحج : باب جامع الحج ، والترمذي رقم (٩٥٠) في الحج : باب ما جاء فيما يقول عند القفول من الحج والعمرة ، وأبو داود رقم (٢٧٧٠) في الجهاد : باب في التكبير على كل شرف ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٥ و ١٠ و٦٣ و١٠٥ .

الفصل السادس والثلاثون
في الذكر على الدابة إذا استصعبت

قال يونس بن عبيد(*) : ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول في أذنها : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُوْنَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ في السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وإليْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٣] إلا وقفت بإذن اللَّه تعالى[١] .

قال شيخنا قدس اللّه روحه[٢] : وقد فعلنا ذلك فكان كذلك .

الفصل السابع والثلاثون
في الدابة إذا انفلتت وما يذكر عند ذلك

عن ابن مسعود رضي اللّه عنه ، عن رسول اللّه ﷺ قال : « إذا انْفَلَتَتْ دَابَةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلاَةٍ ، فَلْيُنَادِ : يَا عِبَادَ اللّهِ

(*) هو أبو عبد اللّه يونس بن عبيد البصري ، مولى عبد القيس سمع الحسن وابن سيرين . روى عنه الثوري وشعبة . مات سنة تسع وثلاثين ومائة .

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٥١٠) من حديث المنهال بن عيسى عن يونس بن عبيد ، قال الحافظ في « تخريج الأذكار » : هو خبر مقطوع ، وراويه عنه المنهال بن عيسى ، قال أبو حاتم : مجهول ، وقد وجدته عن أعلى من يونس ، أخرجه الثعلبي ، في « التفسير » بسنده من طريق الحكم عن مجاهد عن ابن عباس .

(٢) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في « الكلم الطيب » رقم (١٧٥) من طبعة مكتبة دار البيان بدمشق .

احْبِسُوا ، [يا عِبَادِ اللّهِ احْبِسُوا] فَإِنَّ للّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَاضِراً سَيَحْبِسُهُ »(١) .

الفصــل الثامن والثلاثون
في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها

عن صُهَيْبٍ(*) رضي اللّه عنه ، أن النبي ﷺ لم يَرَ قَرْيَةً يُرِيدُ

---

(١) رواه ابن السني « في عمل اليوم والليلة » رقم (٥٠٩) وإسناده ضعيف ، قال الحافظ في « تخريج الأذكار » : حديث غريب أخرجه ابن السني ، وأخرجه الطبراني ، وفي السند انقطاع ، وقد جاء بمعناه حديث آخر أخرجه الطبراني بسند منقطع عن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ قال : « إذا ضل أحدكم أو أراد عوناً وهو بأرض ليس بها إنس فليقل : يا عباد الله أعينوني ، ثلاثاً ، فإن لله عباداً لا يراهم » ، ثم قال : ولحديث عتبة شاهد من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر ، فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله أعينوني » قال الحافظ : هذا حديث حسن الاسناد غريب جداً أخرجه البزار وقال : لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد .
وقد أطال الكلام عليه الألباني في « الأحاديث الضعيفة» رقم (٦٥٥) والزيادة منه .

(*) هو أبو يحيـى صهيب بن سنان ، مولى عبد اللّه بن جدعان التيمي ، وفي نسبه خلاف كثير ، إلا أنه ابن النمر بن قاسط ، كانت منازلهم بأرض الموصل فيما بين دجلة والفرات ، فأغـارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو غلام صغير ، فنشأ بالروم ، فابتاعه منهم كليب ، ثم قدمت به مكة ، فاشتراه عبد اللّه بن جدعان التيمي ، فأعتقه فأقام معه إلى أن هلك ، وبُعث النبي ﷺ ، ويقال : إنه لما كبر في الروم وعقل هرب منهم ، وقدم مكة فحالف عبد اللّه بن جدعان ، وأسلم قديماً بمكة ، يقال : انه أسلم هو وعمار بن ياسر في يوم واحد ورسول اللّه ﷺ بدار الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلاً .
وكان من المستضعفين المعذبين في اللّه بمكة ، ثم هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ ، وهو من السابقين الأولين ، وفيه نزلـت ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات اللّه** . . . ﴾ وشهد بدراً والمشاهد كلها .
روى عنه ابن عمر ، وجابر، وابن المسيب .
ومات سنة ثمانٍ وثلاثين بالمدينة ، وهو ابن سبعين سنة ، ودفن بالبقيع ، وقيل : مات سنة تسع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

دُخُولَهَا إلّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ ، وَرَبَّ الأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هٰذِهِ القَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا ، وَخَيْرَ مَا فِيهَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا » رَواه النسائي[1] .

الفصل التاسع والثلاثون
في ذكر المنزل يريد نزوله

قالت خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ(*) رضي اللّه عنها : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذٰلِكَ » . رواه مسلم[2] .

---

(١) رواه النسائي في « السنن » ٣/ ٧٣ في السهو ، باب نوع آخر من الدعاء عند الانصراف من الصلاة اللفظ آخر ، ولعل للفظ الذي ساقه المصنف هو في « الكبرى » ورواه أيضاً ابن السني رقم (٥١٨) وابن حبان رقم (٢٣٧٧) « موارد » في الأذكار :باب ما يقول : إذا رأى قرية يريد دخولها ، والحاكم ٢/ ١٠٠ وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » ٥/ ١٥٤ ـ ١٥٥ .

(*) هي أم شريك خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال السلمية . امرأة عثمان بن مظعون ، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ في قول بعضهم، وكانت امرأة صالحة فاضلة .

روى عنها سعد بن أبي وقاص ، وابن المسيب ، وعمر بن عبد العزيز .

(٢) رقم (٢٧٠٨) في الذكر والدعاء : باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره ، ورواه أيضاً « الموطأ » ٢/ ٩٧٨ في الاستئذان : باب ما يؤمر به من الكلام =

وعن عبد اللّهِ بن عمر رضي اللّه عنهما قال : كان رسول اللّه ﷺ إذا سافر فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ قَالَ : « يَا أَرْضُ ! رَبِّي وَرَبُّكُ اللّهُ ، أَعُوذُ باللّهِ مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ ، وَشَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ ، وَأَعُوذُ باللّهِ مِن أَسَدٍ وَأَسْوَدٍ ، وَمِنَ الحَيَّةِ والعَقْرَبِ ، وَمِنْ سَاكِنِ البَلَدِ ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ » . رواه أبو داود[1] .

الفصل الأربعون
في ذكر الطعام والشراب

قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا اللّهَ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٢] .

وقال عمر بن أبي سلمة(*) رضي اللّه عنهما قال لي

= في السفر ، والترمذي رقم (٣٤٣٣) في الدعوات : باب ما يقول إذا نزل منزلاً ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٣٧٧ و٣٧٨ و٤٠٩ ، والدارمي رقم (٢٦٨٣) في الاستئذان : باب ما يقول إذا نزل منزلاً .

(١) رقم (٢٦٠٣) في الجهاد ، باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل ، وروواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/ ١٣٢ وفي سنده الزبير بن الوليد لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ٢/ ١٠٠ ووافقه الذهبي ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » ٥/ ١٦٤ .

(*) هو أبو حفص عمر بن أبي سلمة ، واسم أبي سلمة عبد اللّه بن عبد الأسد المخزومي القرشي .

وهو ربيب النبي ﷺ ، وأمه أم سلمة زوج النبي ﷺ ولد بأرض الحبشة في السنة الثانية من الهجرة ، وقبض رسول اللّه ﷺ وله تسع سنين .

ومات زمن عبد الملك بن مروان بالمدينة سنة ثلاث وثمانين ، حفظ عن رسول اللّه =

رسول اللّه ﷺ : « يَا بُنَيَّ ، سَمِّ اللّهَ تَعَالَىٰ ، وكُلْ بِيمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ » متفق عليه[1] .

وقالت عائشة رضي اللّه عنها : قال رسول اللّه ﷺ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللّهِ تَعَالَىٰ فِي أَوَّلِهِ ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللّهِ تَعَالَىٰ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ : بِسْمِ اللّهِ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ » ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح[2] .

وقال أُمَيَّةَ بن مَخْشِيّ[*] رضي اللّه عنه : كان رسول اللّه ﷺ

= ﷺ وروى عنه أحاديث.

روى عنه ابن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبو أمـامة بن سهل ، ومحمد ابنه .

(١) رواه البخاري ٩/ ٤٥٨ في الأطعمة : باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ، وباب الأكل مما يليه ، ومسلم رقم (٢٠٢٢) في الأشربة : باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ، و « الموطأ » ٢/ ٩٣٤ في صفة النبي ﷺ : باب جامع ما جاء في الطعام والشراب ، وأبو داود رقم (٣٧٧٧) في الأطعمة : باب الأكل باليمين ، والترمذي رقم (١٨٥٨) في الأطعمة : باب ما جاء في التسمية على الطعام ، وابن ماجه رقم (٣٢٦٧) في الأطعمة : باب الأكل باليمين ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (١٣٣٨) « موارد » في الأطعمة : باب التسمية على الطعام وآداب الأكل . والدارمي رقم (٢٠٢٥) في الأطعمة : باب التسمية على الطعام ، ورقم (٢٠٥١) فيه : باب الأكل مما يليه .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٨٥٩) في الأطعمة : باب ما جاء في التسمية على الطعام ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٣٧٦٧) في الأطعمة : باب التسمية على الطعام ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (١٣٤٠) « موارد » في الأطعمة : باب التسمية على الطعام وآداب الأكل ، وهو حديث صحيح ، وانظر « شرح الأذكار » ٥/ ١٨٢ و ١٨٣ . « الإرواء » رقم (١٩٦٥) .

(*) هو أبو عبد اللّه أمية بن مخشي الأزدي ، عداده في أهل البصرة ، روى عن أيخه المثنى بن عبد الرحمن بن مخشي .

جالساً ورجل يأكلُ ، فَلَمْ يُسَمِّ حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة ، فلما رفعها إلى فيه قال : بسم اللّهِ أوله وآخره ، فضحك النبي ﷺ ثم قال : « مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللّهِ تَعَالَىٰ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ » رواه أبو داود(١) .

وقال رسول اللّه ﷺ : « إِنَّ اللّهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، وَيَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا » . رواه مسلم في « صحيحه » من حديث أنس رضي اللّه عنه(٢) .

وقال أبو هريرة : « مَا عَابَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ طَعَاماً قَطُّ ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ ، وَإِلَّا تَرَكَهُ » . متفق عليه(٣) .

وعن وحشي(*) : أن أناساً قالوا : يا رسول اللّه ، إنا نأكل

---

(١) رقم (٣٧٦٨) في الأطعمة : باب التسمية على الطعام ، وابن السني رقم (٤٦١) والحاكم ٤/ ١٠٨ ـ ١٠٩ ، أحمد في « المسند » ٤/ ٣٣٦ وفي إسناده المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي ، وهو مستور ، كما قال الحافظ في « التقريب » انظر « الإرواء » رقم (١٩٦٥) .

(٢) رقم (٢٧٣٤) في الذكر : باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (١٨١٧) في الأطعمة : باب ما جاء في الحمد على الطعام اذا فُرِغَ منه ، وأحمد في « المسند » ٣/ ١٠٠ و ١١٧ وفي الباب عن عقبة بن عامر وأبي سعيد وعائشة وأبي أيوب وأبي هريرة رضي الله عنهم .

(٣) رواه البخاري ٩/ ٤٧٧ في الأطعمة : باب ما عاب النبي ﷺ طعاماً ، وفي الأنبياء : باب صفة النبي ﷺ ، ومسلم رقم (٢٠٦٤) في الأشربة : باب لا يعيب الطعام ، وأبو داود رقم (٣٧٦٤) في الأطعمة : باب في كراهية ذم الطعام ، والترمذي رقم (٢٠٣٢) في البر والصلة باب ما جاء في ترك العيب للنعمة ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٤٢٧ و ٤٧٤ و ٤٧٩ و ٤٨١ و ٤٩٥ .

(*) هو أبو دسمة ، وحشي بن حرب الحبشي ، من سودان مكة ، مولى جبير بن مطعم ، وهو الذي قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أُحد ، وكان وحشي يومئذ كافراً ، أسلم بعد =

ولا نشبع ، قال : « فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ » ؟ قالـوا ؛ نعم . قال : « فَاجْتَمِعُوا عَلَىٰ طَعَامِكُمْ ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ تَعَالَىٰ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ » رواه أبو داود[1] .

وعن معـاذ [بن أنس][*] رضي اللّه عنـه قـال : قـال رسول اللّه ﷺ : « مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ[2] فَقَالَ : الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هٰذَا الطَّعَامَ ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ، قال الترمذي : حديث حسن[3] .

وعن أبي سعيد رضي اللّه عنه : أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من

= الطائف ، وشهد اليمامة ، وزعم أنه قتل مسيلمة ، فقال : قتلت خير الناس وشر الناس بحربتي هذه .
نزل الشام ، ومات بحمص .
روى عنه ابناه إسحاق وحرب ، وجعفر بن عمرو بن أمية الضمري .

(١) رقم (٣٧٦٤) في الأطعمة : باب في الاجتماع على الطعام ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/ ٥٠١ ، وابن ماجه رقم (٣٢٨٦) وابن حبان في « صحيحه » رقم (١٣٤٥) « موارد » في الأطعمة : باب الاجتماع على الطعام. وإسناده ضعيف ، وفي الموضوع أحاديث أخرى ، إنظرها في « مجمع الزوائد » ٥/ ٢٠ و٢١ .

(*) هو معاذ بن أنس الجهني ، معدود في أهل مصر ، وحديثه عندهم .
روى عنه ابنه سهل ، وسهل ابنه لين الحديث ، إلا أن أحاديثه حسان في الرغائب والفضائل .

(٢) كذا في النسخ المطبوعة ، والذي عند الترمذي وأبي داود وابن ماجه : « من أكل طعاماً » .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٤٥٤) في الدعوات : باب ما يقول إذا فرغ من الطعام ، وأبو داود رقم (٤٠٢٣) في اللباس : باب رقم ١ ، وابن ماجه رقم (٣٢٨٥) في الأطعمة : باب ما يقال إذا فرغ من الطعام ، وابن السني رقم (٤٦٨) ، وأحمـد ٣/ ٤٣٩ ، والحاكم ١/ ٥٠٧ و ٤/ ١٩٢ وإسناده حسن ، وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار » ١/ ٣٠٤ ، والألباني في « الإرواء » رقم (١٩٨٩) .

طعامه قال : « الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَطْعَمَنا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ » رواه أبو داود والترمذي[1] .

وذكر النسائي عن رجل خدم النبي ﷺ أنه كان يسمع النبي ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول : « بِسْمِ اللّهِ » وإذا فرغ من طعامه قال : « اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ وَسَقَيْتَ ، وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ ، وَهَدَيْتَ وَأَحْيَيْتَ ، فَلَكَ الحَمْدَ عَلَىٰ مَا أَعْطَيْتَ »[2] .

وفي « صحيح البخاري » عن أبي أمامة رضي اللّه عنه ، أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال : « الحَمْدُ لِلّهِ كَثِيراً مُبَارَكاً فِيهِ ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مودَّعٍ ، وَلَا مُسْتَغْنَىً عَنْهُ رَبُّنَا »[3] .

* * *

(١) رواه أبو داود رقم (٣٨٥٠) في الأطعمة : باب ما يقول الرجل إذا طعم ، والترمذي رقم (٣٤٥٣) في الدعوات : باب يقول إذا فرغ من الطعام ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/ ٣٢ وابن ماجه رقم (٣٢٨٣) ، وابن السني رقم (٤٦٨) ، وفي سنده إسماعيل بن رياح السلمي وهو مجهول ، ومع ذلك فقد قال الحافظ في « تخريج الأذكار » : هذا حديث حسن . وذكره أيضاً في « الفتح » وسكت عنه . أقول : والحديث إلى قوله : « وسقانا » حديث حسن وله شواهد كثيرة .
قال الألباني في « الكلم » : ضعيف الإسناد .

(٢) رواه النسائي في « الكبرى » كما قال الحافظ في « تخريج الأذكار » ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤/ ٦٢ و٣٣٧ و٥/ ٣٧٥ وابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٤٦٥) وإسناده صحيح ، وصحح إسناده الحافظ في « الفتح » وقال في « تخريج الأذكار » : هذا حديث صحيح . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٧١) .

(٣) رواه البخاري ٩/ ٥٠١ في الأطعمة : باب ما يقول إذا فرغ من طعامه ، وأبو داود رقم (٣٨٤٩) في الأطعمة : باب ما يقول الرجل إذا طعم ، والترمذي رقم (٣٤٥٣) في الدعوات : باب ما يقول إذا فرغ من الطعام ، وابن ماجه رقم (٣٢٨٤) في الأطعمة : باب ما يقال إذا فرغ من الطعام ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٢٥٣ و ٢٥٦ و ٢٦١ و ٢٦٧ ، وابن السني رقم (٤٦٩) .

الفصل الحادي والأربعون
في ذكر الضيف إذا نزل بقوم

عن عبد اللّه بن بُسْرٍ قال : نَزَلَ رسول اللّه ﷺ على أَبي ، فقربنا إليه طعاماً وَوَطْبَةً[١] ، فَأَكَلَ مِنْهَا ، ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ ، فَكَانَ يَأْكُلُهُ وَيُلْقِي النَّوَىٰ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ ، وَيَجْمَعُ السَّبَابَةَ والوُسْطَىٰ » قال شعبة : هو ظني ، وهو فيه إن شاء اللّه إلقاء النوى [بين الإصبعين][٢] . « ثم أُتِيَ بشرابٍ فشربه ، ثم ناوله الذي عن يمينه ، قال : فقال أبي ـ وأخذ بلجام دابته ـ ادع اللّه لنا ، فقال : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ » رواه مسلم[٣] .

وعن أنس : «أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة ، فجاء بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ[٤] فأكل ، ثم قال النبي ﷺ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلاَئِكَةُ » رواه أبو داود[٥] .

---

(١) الوطبة : الحيس يجمع التمر البرني والأقط المدقوق والسمن .

(٢) معناه : أن شعبة راوي الحديث قال : الذي أظنه أن إلقاء النوى مذكور في الحديث ، وقد جزم بها في الرواية الأخرى فكأنه تذكر ما كان متردداً فيه .

(٣) رقم (٢٠٤٢) في الأشربة : باب استحباب وضع النوى خارج التمر ، واستحباب دعاء الضيف لأهل الطعام . والزيادة من « صحيح مسلم » .

(٤) قال الحافظ ابن حجر : ما أظن الزيت إلا تصحيفا عن الزبيب .

(٥) رقم (٣٨٥٤) في الأطعمة : باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/ ١٣٨ ، والدارمي رقم (١٧٧٩) في الصيام : باب دعاء الصائم لمن يفطر عنده ، والبيهقي في « السنن » ٧/ ٢٨٧ ، وابن السني رقم (٤٨٣) والطبراني في الدعاء ، وهو حديث صحيح ، انظر كلام الحافظ ابن حجر على هذا الحديث ، وتعقبه الامام النووي في « الفتوحات الربانية » ٤/ ٣٤٣ و٣٤٤ . انظر « آداب الزفاف في السنة المطهرة » للألباني ص ٩١ ـ ٩٢ .

وعن جابر قال : صنع أبو الهيثم بن التيهان(*) للنبي ﷺ طعاماً ، فدعا النبيَّ ﷺ وأصحابه ، فلما فرغوا قال : « أَثِيبُوا أَخَاكُمْ » قالوا : يا رسول اللّه ! وما إثَابته ؟ قال : « إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ فَأُكِلَ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَادْعُوا لَهُ ، فَذٰلِكَ إِثَابَتُهُ » رواه أبو داود(١) .

الفصـــل الـثـاني والاربعـون
في الســـلام

عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما أن رجلاً سأل رسول اللّه ﷺ : أي الإسلام خير ؟ قال : « تُطْعِمَ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفُ » متفق عليه(٢) .

وقال أبو هريرة : قال رسول اللّه ﷺ : « لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّىٰ

(*) هو مالك بن التيهان بن مالك ، وقيل : اسم التيهان مالك ، وفي نسبه خلاف ، فمنهم من يجعله أنصارياً من الأوس ، ومنهم من يجعله من بلي بن الحاف بن قضاعة ، وأنه حليف بني عبد الأشهل ، شهد العقبة الأولى والثانية ، وكان أحد الستة الذين لقوا رسول اللّه ﷺ قبل ذلك بالعقبة ، فيما زعم بنو عبد الأشهل ، وهو أحد النقباء الاثني عشر ، وشهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها .

روى عنه أبو هريرة ، ومات في خلافة عمر سنة عشرين بالمدينة ، وقيل : قتل بصفين سنة سبع وثلاثين ، وقيل غير ذلك .

(١) رقم (٣٨٥٣) في الأطعمة : باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام ، وفي سنده جهالة وضعف ، لكن للحديث شواهد ذكرها الحافظ في « تخريج الأذكار » فارجع إليها ٥/ ٢٤٨ .

(٢) رواه البخاري ١/ ٥٢ و٥٣ في الإيمان : باب اطعام الطعام من الإسلام ، ومسلم رقم (٣٩) في الإيمان : باب بيان تفاضل الإسلام ، والنسائي ـ٨/ ١٠٧ في الإيمان : باب أي الإسلام خير ، وأبو داود رقم (٥١٩٤) في الأدب باب إفشاء السلام ، وابن =

تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُوا ، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » رواه أبو داود(١) .

وقال عمار بن ياسر رضي اللّه عنهما : « ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ [فقد] جَمَعَ الإيمانَ : الإنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ » ذكره البخاري(٣) .

وقال عمران بن حصين(*) : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :

ماجة رقم (٣٢٥٣) في الأطعمة : باب اطعام الطعام ، وأحمد في « المسند » ٢/ ١٦٩ .

(١) رقم (٥١٩٣) في الأدب : باب في إفشاء السلام ، وقد أبعد المصنف النجعة ، فالحديث عند مسلم أيضاً رقم (٥٤) في الإيمان : باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأوله : « لا تدخلون » ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٢٦٨٩) في الاستئذان : باب ما جاء في افشاء السلام ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٣٩١ و٤٤٢ و٤٤٧ و٤٩٥ و٥١٢ ، وابن ماجه رقم (٦٨) في المقدمة : باب في الإيمان . والبخاري في « الأدب المفرد » رقم (٩٨٠) . انظر « الإرواء » رقم (٧٧٧) .

(٢) رواه البخاري معلقاً موقوفاً ١/ ٧٧ في الإيمان ، باب السلام من الاسلام ، قال الحافظ في « الفتح » : وهذا الأثر أخرجه أحمد في كتاب الايمان من طريق سفيان الثوري ، ورواه يعقوب بن شيبة في « مسنده » من طريق شعبة وزهير بن معاوية وغيرهما ، كلهم عن أبي إسحاق السبيعي ، عن صلة بن زفر ، عن عمار ، وهكذا رويناه في « جامع معمر » عن أبي إسحاق ، وكذا حدث به عبد الرزاق في « مصنفه » عن معمر ، قال الحافظ : وقد رفعه بعضهم من طريق عبد الرزاق وهو معلول .

أقول : والحديث رواه عبد الرزاق في « مصنفه » رقم (١٩٤٣٩) موقوفاً . وإسناده صحيح ، وقال الحافظ في « الفتح » : ومثله لا يقال بالرأي . فهو في حكم المرفوع . ورواه ابن أبي شيبة في « الإيمان » رقم (١٣١) ، والزيادة من البخاري .

(*) هو أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن سالم بن غاضرة بن سلول بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمر الخزاعي الكعبي .

أسلم عام خيبر ، سكن البصرة إلى أن مات بها سنة اثنتين وخمسين ، وقيل : سنة ثلاث .

=

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فرد عليه ثم جلس ، فقال النبي ﷺ : « عَشْرٌ » ، ثم جاء آخر ، فقال : السلام عليكم ورحمة اللّه ، فرد عليه ، فجلس ، فقال : « عِشْرُونَ » ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته ، فرد عليه ، فجلس ، فقال : « ثَلَاثُونَ » . قال الترمذي : حديث حسن[1] .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ ٱبْتَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ » قال الترمذي : حديث حسن[2] .

وخرج أبو داود ، عن علي رضي اللّه عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يُجْزِىءُ عَنِ الجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ وَيُجْزِىءُ عَنِ الجُلُوسِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ »[3] .

وقال أنس : « مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى صِبْيَانٍ يَلْعَبُونَ ، فَسَلَّمَ

= وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، وأسلم هو وأبوه .
روى عنه أبو رجاء العطاردي ، ومطرف بن عبد اللّه ، وزرارة بن أبي أوفى .

(١) أبو داود رقم (٥١٩٥) في الأدب : باب كيف السلام ، والترمذي رقم (٢٦٩٠) في الاستئذان : باب ما ذكر في فضل السلام ، والدارمي رقم (٢٦٤٣) في الاستئذان : باب في فضل السلام ورده ، وهو حديث حسن ، حسنه الترمذي وغيره ، وقال الترمذي : وفي الباب عن علي وأبي سعيد وسهل بن حنيف ، وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » رقم (٩٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٦٩٥) في الاستئذان : باب ما جاء في فضل الذي يبدأ بالسلام ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٥١٩٧) في الأدب : باب في فضل من بدأ السلام واللفظ له ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٢٥٤ و٢٦١ و٢٦٤ و٢٦٩ وإسناده صحيح .

(٣) رواه أبو داود رقم (٥٢١٠) في الأدب : باب ما جاء في رد الواحد عن الجماعة ، وهو حديث حسن بشواهده ، انظر « الإرواء » رقم (٧٧٧) .

عَلَيْهِمْ » . حديث صحيح[1] .

وقال أبو هريرة : قال رسول اللّه ﷺ : « إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَجلِسَ فَلْيَجْلِسْ ، ثُمَّ إِذَا قَامَ ، فَلْيُسَلِّمْ ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقّ مِنَ الآخِرَةِ »[2] .

الفصل الثالث والاربعون
في الذكر عند العطاس

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ : « إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ العُطَاسَ ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم وَحَمِدَ اللّهُ ، كَانَ حَقّاً عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ : يَرْحَمُكَ اللّهُ ، وَأَمَّا التَثاؤُبَ فَإِنَّما هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ » رواه البخاري[3] .

---

(١) رواه البخاري ١١/ ٢٧ في الاستئذان : باب التسليم على الصبيان ، ومسلم رقم (٢١٦٨) في السلام : باب استحباب السلام على الصبيان ، وأبو داود رقم (٥٢٠٢) في الأدب : باب السلام على الصبيان ، والترمذي رقم (٢٦٩٧) في الاستئذان : باب ما جاء في التسليم على الصبيان .

(٢) رواه أبو داود (٥٢٠٨) في الأدب : باب في السلام اذا قام من المجلس ، والترمذي رقم (٢٧٠٧) في الاستئذان : باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند النوم ، واسناده حسن ، وقال الترمذي : حديث حسن . ورواه أيضاً الحاكم وصححه ، وصححه ابن حبان (رقم (١٩٣١) و (١٩٣٢) « موارد » في الأدب : باب ما جاء في السلام . وهو حديث حسن كما قاله الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٩٢) .

(٣) رواه البخاري ١٠/ ٥٠١ في الأدب : باب ما يستحب به العطاس ويكره من التثاؤب ، وباب إذا تثاقب فليضع يده على فيه ، وفي بدء الخلق : باب صفة ابليس وجنوده ، =

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال : « إذا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ : الحَمْدُ لِلّهِ ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ : يَرْحَمُكَ اللّهُ ، فإذَا قَالَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللّهُ ، فَلْيَقُلْ : يَهْدِيكُمْ اللّهُ وَيُصْلِحْ بَالَكُمْ » رواه البخاري ، وفي لفظ أبي داود : « الحَمْدُ لِلّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ »(١) .

وقال أبو موسى الأشعري رضي اللّه عنه : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللّهُ فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمِدِ اللّهَ ، فَلاَ تُشَمِّتُوهُ » رواه مسلم(٢) .

الفصل الرابع والأربعون
في ذكر النكاح والتهنئة به ، وذكر الدخول بالزوجة(٣)

قال ابن مسعود : علمنا رسول الله ﷺ خُطْبَةَ النكاح :

= ومسلم مختصراً رقم (٢٩٩٤) في الزهد : باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب ، وأبو داود رقم (٥٠٢٨) في الأدب : باب ما جاء في التثاؤب ، والترمذي رقم (٣٧٠) في الصلاة : باب ما جاء في كراهية التثاؤب في الصلاة ، ورقم (٢٧٤٧) و(٢٧٤٨) في الأدب : باب ما جاء أن اللّه يحب العطاس ويكره التثاؤب ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٦٥ و ٤٢٨ و ٥١٧ .

(١) رواه البخاري ١٠/ ٥٠٢ في الأدب ، باب إذا عطس كيف يشمت ، وأبو داود رقم (٥٠٣٣) في الأدب : باب ما جاء في تشميت العاطس ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/ ٣٥٣ .

(٢) رقم (٢٩٩٢) في « الزهد » : باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤/ ٤١٤ .

(٣) من أراد التوسع فليرجع الى كتاب « آداب الزفاف في السنة المطهرة » لناصر الدين الألباني .

« الحَمْدُ للَّهِ نَحْمُدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » ـ وفي رواية زيادة : « أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ ، مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لاَ يَضُرُّ إِلاَّ نَفْسَهُ ، وَلاَ يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئاً ـ **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون ﴾** [آل عمران: ١٠٢] [**﴿ يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً ﴾** [النساء : ١] **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَه فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾** [الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١] .

رواه أهل السنن الأربعة ، وقال الترمذي : حديث حسن(١) .

وعن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ كان إذا رفَّأ الإنسانَ إذا تزوج قال: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ،وَبَارَكَ عَلَيْكَ(٢) وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ »(٢) .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢١١٨) في النكاح: باب في خطبة النكاح ، والترمذي رقم (١١٠٥) في النكاح : باب ما جاء في خطبة النكاح ، والنسائي ٣/ ١٠٥ في الجمعة : باب كيف الخطبة ، وابن ماجة رقم (١٨٩٢) في النكاح : باب خطبة النكاح ، وهو حديث صحيح ، ما عدا الزيادة في الرواية الثانية .انظر « تخريج خطبة الحاجة » للألباني .

(٢) قوله « وعافية » ليست في الترمذي .

قال الترمذي : حديث حسن صحيح[1] .

وعن عمرو بن شعيب(*) عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : « إذا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً ، أَوْ اشْتَرَىٰ خَادِماً فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا ، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا جَبَلْتَها عَلَيْهِ ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ بَعِيراً ، فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ » رواه أبو داود[2] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٠٩١) في النكاح : باب ما جاء فيما يقال للمتزوج ورواه أيضاً أبو داود رقم (٢١٣٠) في النكاح : باب ما يقال للمتزوج ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (١٩٠٥) في النكاح : باب تهنئة النكاح ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٣٨١ و ٤٥١ ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (١٢٨٤) « موارد » في النكاح : باب ما يدعى به للذي يريد الزواج ، والحاكم ٢/ ١٨٣ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(*) هو أبو إبراهيم عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي .
سمع أباه ، وابن المسيب ، وطاووساً .
روى عنه الزهري ، وداود بن أبي هند ، وأيوب ، وابن جريج ، وعطاء بن أبي رباح ، ويحيى بن سعيد ، وعمرو بن دينار ، ولم يخرج البخاري ومسلم عنه في «صحيحهما» حديثاً ، لأنه يروي أحاديثه عن أبيه عن جده ، تفرد بما يرويه عن أبيه عن جده هكذا ، وقد تُحدِّث فيه ، فإن كان يريد بقوله عن أبيه عن جده أبا نفسه وجده ، فيكون قد روى عن شعيب عن محمد جده أن رسول الله ﷺ ، وهذا مرسل ، لأن محمداً جده لم يلق النبي ﷺ ، ولا أدركه ، وإن كان يريد بقوله عن أبيه عن جده ، أبا نفسه وهو شعيب ، وجد شعيب الذي هو عبد الله ، فيكون قد ذهب إلى أن شعيباً روى عن جده عبد الله ، وشعيب لم يدرك جده عبد الله فلهذه العلة لم يخرجا حديثه في « صحيحهما » ، وقيل : إن شعيباً أدرك جده عبد الله . وقلت : قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على ألفية السيوطي ص ٨ : « وفي هذا الاسناد خلاف معروف والحق أنه من أصح الأسانيد » ووافقه على ذلك الألباني في « الإرواء » .

(٢) رقم (٢١٦٠) في النكاح : باب جامع النكاح ، ورواه أيضا ابن ماجه رقم (١٩١٨) في النكاح : باب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله والحاكم ٢/ ١٨٥ وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، انظر « آداب الزفاف » للألباني ص ١٨ وابن السني رقم (٦٠٥) وإسناده حسن .

وفي « الصحيحين » عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال :

« لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَهُ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ ، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ أَبَداً »(١) .

الفصل الخامس والأربعون
في الذكر عند الولادة والذكر المتعلق بالولد(٢)

يُذْكَرُ أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا لَمَّا دَنَا ولاَدُها ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ(*) أَنْ تَأْتِيَا فَتَقْرَآ عَلَيْهَا آيَةَ الكُرْسِيِّ ، وَ﴿ إِنَّ رَبَّكُم اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ ﴾ . . . إلى آخر الآيتين [الأعراف : ٥٤ ـ ٥٥] ، وتُعَوِّذاهَا بالمُعَوِّذَتَيْنِ(٣) .

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٣٦) رقم (٣) .

(٢) من أراد التوسع فليرجع الى كتاب « تحفة المودود بأحكام المولود » للمؤلف وهو من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق .

(*) هي أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم ابن دوران بن أسد بن خزيمة.

وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عمة النبي ﷺ . وكانت تحت زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ فطلقها ، ثم تزوجها النبي ﷺ سنة خمس ، وقيل : سنة ثلاث ، وهي أول من مات من أزواجه بعده ، وكان اسمها برة فجعله النبي ﷺ زينب .

قالت عائشة في شأنها : ولم تكن امرأة خيراً منها في الدين وأتقى لله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد تبذلاً لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب إلى الله عز وجل .

ماتت بالمدينة سنة عشرين ، وقيل : سنة إحدى وعشرين ، ولها ثلاث وخمسون سنة ، وصلى عليها عمر بن الخطاب . وهي أول من جعل على جنازتها نعش .

روت عنها عائشة ، وأم حبيبة ، وأنس بن مالك وغيرهم .

(٣) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٦٢٥) وإسناده ضعيف جداً .

وقال أبو رافع(*) : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَذَّنَ في أُذُنِ الحَسَنْ بنَ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ » ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح(١) .

ويذكر عن الحسين بن علي(**) قال : قال رسول الله ﷺ :

(*) هو أسلم مولى النبي ﷺ أبو رافع ، قاله مصعب ، وقال يحيى بن معين : اسمه إبراهيم ، وقيل : ثابت ، وقيل : يزيد ، والأول أشهر وأصح ، وغلبت عليه كنيته .
كان قبطياً وكان للعباس فوهبه للنبي ﷺ ، فلما بشر النبي ﷺ بإسلام العباس أعتقه .
شهد أُحداً وما بعدها من المشاهد ، ولم يشهد بدراً ، وكان إسلامه قبلها ، لأنه كان مقيماً بمكة فيما ذكروا ، وقيل : إنه شهد بدراً وزوجه النبي ﷺ مولاته ، فولدت له عبيد اللَّه .
روى عنه ابناه : عبيد اللَّه ، والحسين ، والحسن ، وعطاء بن يسار ، وسعيد المقبري .
مات قبل قتل عثمان بيسير ، وقيل : مات في خلافة علي .

(١) رواه الترمذي رقم (١٥١٤) في الأضاحي ، باب رقم ١٧ ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (١٥٠٥) في الأدب : باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه ، وأحمد في « المسند » ٩/٦ و ٣٩١ و ٣٩٢ ، وهو حديث حسن بشاهده عند البيهقي في « الشعب » من حديث ابن عباس . انظر « تحفة المودود » لابن القيم ص ٣٠ طبعتنامكتبة دار البيان بدمشق .

(**) هو أبو عبد اللَّه الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي ، سبط رسول اللَّه ﷺ وريحانته ، وسيد شباب أهل الجنة .
ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع ، وكانت فاطمة علقت به بعد أن ولدت الحسن بخمسين ليلة ، وقتل يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء ، ويعرف أيضاً بالطف من أرض العراق ، فيما بين الكوفة والحِلَّة ، قتله سنان بن أنس النخعي ، ويقال له أيضاً : سنان بن أبي سنان ، وقيل : قتله شمر بن ذي الجوشن ، وأجهز عليه خولى بن يزيد الأصبحي من بني حمير ، وحَزَّ رأسه وأتى به عبيد اللَّه بن زياد ، وقال : =

« مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ ، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ اليُمْنَى ، وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ اليُسْرَى ، لَمْ تَضِرَّهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ »(١) .

وقالت عائشة : « كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُؤْتَىٰ بالصِّبْيَانِ ، فَيَدْعُو لَهُمْ بِالبَرَكَةِ وَيُحَنِّكُهُمْ » رَواه أبو داود(٢) .

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : « إنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَ بِتَسْمِيَةِ المَوْلُودِ يَوْمَ سَابِعِهِ ، وَوَضْعُ الأَذَىٰ عَنْهُ ، وَالعِقِّ » . قال الترمذي : حديث حسن(٣) .

وقد سَمَّىٰ النَّبيُّ ﷺ ابْنَهُ ابْرَاهِيمَ ، وَإِبْرَاهِيمَ بنَ أَبي مُوسَىٰ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنَ أَبي طَلْحَةَ ، وَالمُنْذِرَ بنَ أبي أُسَيْدٍ قَرِيْباً مِنْ وِلاَدَتِهِمْ .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّكُمْ تُدْعَونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ ، فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ » ذكره أبو داود(٤) .

= أوقر ركابي فضة وذهباً إني قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أمّاً وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً

روى عنه أبو هريرة ، وابنه علي زين العابدين ، وفاطمة وسكينة ابنتاه .

وكان للحسين يوم قتل ثمان وخمسون سنة .

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٦٢٣) ، وإسناده ضعيف جداً .

(٢) رقم (٥١٠٦) في الأدب ، باب الصبي يولد فيؤذن في أذنه ، ورواه أيضاً مسلم رقم (١٨٦) في الطهارة ، باب حكم بول الطفل الرضيع .

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٨٣٤) في الأدب : باب ما جاء في تعجيل اسم المولود وهو حديث حسن بشواهده .

(٤) رقم (٤٩٤٨) في الأدب : باب في تغيير الأسماء ، والدارمي رقم (٢٦٩٧) في =

وذكر مسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : عَبْدُ اللَّهِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ »(١) .

وعن أبي وهب الجشمي(*) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ ، وإنَّ أَحَبَّ الأَسْمَاءِ إلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : عَبْدُ اللَّهِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَصْدَقُهَا : حَارِثٌ وَهَمَّامٌ ، وَأَقْبَحُهَا : حَرْبٌ وَمُرَّةٌ » رواه أبو داود والنسائي(٢) .

وغير النبي ﷺ الأسماء المكروهة الى أسماء حسنة ، فغير اسم برَّة إلى زَيْنَبْ ، وغير اسم حَزَنٌ إلى سَهْلٍ ، وغير اسم عَاصِيَة فسماها جَمِيلَةَ ، وغير اسم أَصْرَم إلى زُرْعَة(٣) .

= الاستئذان : باب في حسن الأسماء ، وأحمد في « المسند » ٥/ ١٩٤ وابن حبان في « صحيحه » رقم (١٩٤٤) « موارد » في الأدب : باب ما جاء في الأسماء ، من حديث عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدرداء ، ورجاله ثقات ، إلا أن عبد الله بن أبي زكريا لم يسمع من أبي الدرداء .

(*) اسم أبي وهب الجشمي كنيته ، وله صحبة ورواية . روى عنه عقيل بن شبيب .

(١) رواه مسلم رقم (٢١٣٢) في الآداب : باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء ، والترمذي رقم (٢٨٣٥) في الأدب : باب رقم (٦٤) ، وأبو داود (٤٩٤٩) في الأدب: باب تغيير الأسماء، وابن ماجة رقم (٣٨٢٨) في الأدب: باب ما يستحب من الأسماء ، والدارمي رقم (٢٦٩٨) في الاستئذان : باب ما يستحب من الأسماء ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٤ و ١٢٤ .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٩٥٠) في الأدب : باب في تغيير الأسماء ، والنسائي ٦/ ٢١٨ في الخيل : باب ما يستحب من شية الخيل ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤/ ٣٤٥ ، واسناده ضعيف ، لكن لبعض فقراته شواهد .

(٣) هذه ثبتت في الأحاديث الصحيحة .

وسمى حَرْباً سَلْماً ، وسمى المُضْطَجِع المُنْبَعِث ، وسمى أرضاً يقال لها : عَفْرَةَ ، خَضِرَةَ ، وشِعْبَ الضَّلَالَةِ سَماه شِعْبَ الهُدَى ، وبنو الزِّنيَةِ سماهم بني الرِّشْدَةِ [1] .

الفصـــل السادس والأربعون
في صياح الديكة والنهيق والنباح

في « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إذَا سَمِعْتُم نُهَاقَ الحَمِير ، فَتَعَوَّذُوا باللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَاناً ، وَإذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيكَةِ ، فَسَلُوا اللّهَ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكاً »[2] .

وفي « سنن أبي داود » عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الكِلَابِ وَنَهِيقَ الحَمِيرِ بِاللَّيْلِ ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْهُنَّ ، فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لَا تَرَوْنَ » . رواه أبو داود[3] .

---

(١) ذكره أبو داود رقم (٤٩٥٦) في الأدب ، باب في تغيير الاسم القبيح بدون إسناده ، وقال أبو داود : تركت أسانيدها للاختصار .

(٢) رواه البخاري ٦/ ٢٥١ في بدء الخلق ، باب خير مال المسلم غنم ، ومسلم رقم (٢٧٢٩) في الذكر والدعاء ، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٥١٠٢) في الأدب : باب في الديك والبهائم ، والترمذي رقم (٣٤٥٥) في الدعوات : باب اذا سمع نهيق الحمار ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٣٠٧ و ٣٥٥ .

(٣) رواه أبو داود رقم (٥١٠٣) في الأدب : باب ما جاء في الديك والبهائم ، ورواه أيضا أحمد في « المسند » ٣/ ٣٠٦ و ٣٥٥ ، والبخاري في « الأدب المفرد » رقم (١٢٣٣) و (١٢٣٤) ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (١٩٩٦) « موارد » ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٣١٢) ، وهو حديث صحيح بطرقه .

الفصـــل السابع والأربعون
في الذكر يطفأ به الحريق

يذكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِذَا رَأَيْتُمُ الحَرِيقَ فَكَبِّرُوا ، فَإِنَّ التَكْبِيرَ يُطْفِئُهُ »[1] .

الفصـــل الثامن والأربعون
في كفارة المجلس

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ جَلَسَ مَجْلِساً ، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذٰلِكَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، إِلَّا كُفِرَ[2] لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذٰلِكَ » . قال الترمذي: حديث حسن صحيح[3] .

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٢٩٥) و (٢٩٦) و (٢٩٧) و (٢٩٨) في سنده القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمري ، وهو متروك ، ورماه أحمد بالكذب .

(٢) في الترمذي « غُفِرَ له » .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٤٢٩) في الدعوات : باب ما يقول إذا قام من مجلسه ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢ / ٤٩٤ وابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٦٦) « موارد » في الأذكار : باب كفارة المجلس والحاكم وصححه ووافقه الذهبيّ . وهو كما قالا .

وفي حديث آخر : « أَنَّهُ إن كَانَ فِي مَجْلِسِ خَيْرٍ كَانَ كَالطَّابِعِ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي مَجْلِسِ تَخْلِيطٍ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ »(١) .

وفي « السنن » عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَىٰ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً »(٢) .

وعن ابن عمر قال : قَلَّما كان رسول الله ﷺ يقوم في مَجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه : « اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِن خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا ، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَىٰ مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا » . قال الترمذي : حديث حسن(٣) .

---

(١) رواه الحاكم ١/ ٥٣٧ من حديث جبير بن مطعم ، وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ونسبه للطبراني وقال : ورجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٨٥٥) في الأدب . باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله ، والترمذي رقم (٣٣٧٧) في الدعوات : باب القوم يجلسون ولا يذكرون الله ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/ ٣٨٩ و ٤٩٤ و ٥١٥ و ٥٢٧ ، وابن السني رقم (٤٤٥) وإسناده صحيح ، وصححه الحاكم في « المستدرك » ١/ ٤٩٢ ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . وقد تقدم تخريجه ص (٧٤) رقم (٢) .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٤٩٧) في الدعوات : باب رقم ٨٣ ، ورواه أيضا ابن السني رقم (٤٤٦) ، والحاكم ١/ ٥٢٨ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

الفصـــل التاسع والأربعون
فيما يقال ويفعل عند الغضب

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللَّهِ إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦] .

وقال سليمان بن صرد(*) : كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبّان ، أحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي ﷺ : « إنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ ، لَوْ قَالَ : أَعُوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ عَنْهُ ما يَجِدُ » متفق عليه(1) .

وعن عطية بن عروة(**) قال: قال رسول اللّه ﷺ : « إنَّ

(*) هو أبو المطرف سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة بن أصرم الخزاعي ، كان خيراً فاضلاً عابداً ، كان اسمه في الجاهلية ياسراً ، فسماه رسول اللّه ﷺ : سليمان .

سكن الكوفة من أول ما نزل بها المسلمون وكانت له سن عالية وشرف في قومه ، وكان أميراً على التوابين الطالبين بثأر الحسين بن علي بن أبي طالب وكانوا أربعة آلاف، فقتل وقتلوا إلا قليلاً منهم برأس عين ، على يد أهل الشام ، سنة خمس وستين ، وله ثلاثة وتسعين سنة .

روى عنه أبو إسحاق السبيعي ، وعدي بن ثابت وعبد اللّه بن يسار .

(1) رواه البخاري ١٠/ ٣٨٩ في الأدب : باب ما ينهى من السباب واللعن ، ومسلم رقم (٢٦١٠) في البر : باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٤٧٨١) في الأدب : باب ما يقال عند الغضب ، والترمذي رقم (٣٤٤٨) في الدعوات : باب ما يقول عند الغضب .

(**) هو أبو محمد عطية بن قيس، وقيل : ابن سعد ، وقيل: ابن عمرو ، وقيل : ابن عروة ، وقيل : ابن عامر بن عميرة من بني سعد بن بكر بن هوازن السعدي ، له صحبة ورواية . =

الغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ ، وَإِنَّما تُطْفَأُ النَّارُ بِالماءِ ، فَإذا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ » رواه أبو داود[1] .

وفي حديث آخر « أنَّه أَمَرَ مَنْ غَضِبَ إذا كَانَ قَائِماً أَنْ يَجْلِسَ ، وَإِذَا كَانَ جَالِساً أَنْ يَضْطَجِعَ »[2] .

الفصل الخمسون
فيما يقال عند رؤية أهل البلاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ رَأَى مُبْتَلَىً فَقَالَ : الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ ، وفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً ، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلاَءُ » . قال الترمذي : حديث حسن[3] .

= روى عنه أهل اليمن وأهل الشام .
روى عنه عروة بن ابنه محمد . قال ابن عبد البر : والأكثر أن عطية هو ابن عروة .

(1) رقم (٤٧٨٤) في الأدب : باب ما يقال عند الغضب ، وفي سنده عروة بن محمد السعدي ، لم يوثقه غير ابن حبان وقال فيه : كان يخطىء ، وهو عامل عمر بن عبد العزيز على اليمن ، وروى عنه غير واحد ، وله شاهد من حديث معاوية عند أبي نعيم ، ذكره الحافظ ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » ص ١٣٧ فهو حسن به .

(2) رواه أبو داود رقم (٤٧٨٢) في الأدب : باب ما يقال عند الغضب ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥ / ١٥٢ ، وابن حبان رقم (١٩٧٣) « موارد » من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٠٧) .

(3) رواه الترمذي رقم (٣٤٢٨) في الدعوات : باب رقم ٣٨ ، وهو حديث حسن بشواهده . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٦٠٢) .

الفصـــل الحادي والخمسون
في الذكر عند دخول السوق

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ » رواه الترمذي(١) .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال : « بِسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هٰذِهِ السُّوقِ وَخَيْرَ مَا فِيهَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُصِيبَ بِهَا يَمِيناً فَاجِرَةً ، أَوْ صَفْقَةً خَاسِرَةً »(٢) .

الفصـــل الثاني والخمسون
في الرجل إذا خدرت رجله

عن الهَيْثَم بن حَنَشٍ قال : كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فخَدِرَتْ رجله ، فقال له رجل : اذْكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ

---

(١) رقم (٣٤٢٤) في الدعوات : باب ما يقول إذا دخل السوق ، ورواه الحاكم ١/ ٥٣٨ و ٥٣٩ ، وابن السني رقم (١٨٢) وهو حديث حسن بطرقه. تقدم تخريجه ص (٩٢) .

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (١٨١) ، والحاكم في « المستدرك » ١/ ٥٣٩ ، واسناده ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٣٩٦) .

إِلَيْكَ ، فذكر محمداً ، فكأنما نشط من عقال(١) .

وعن مجاهد(*) رحمه الله قال : خَدِرَتْ رِجْلُ رَجُلٍ عند ابن عباس رضي الله عنهما فقال : اذْكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ ، فقال : محمد رسول الله ، فذهب خَدره(٢) .

الفصل الثالث والخمسون
في الدابة اذا عثرت

عن أبي المليح(**) عن رجل قال: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ ،

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (١٧٠) ، وإسناده ضعيف .

(*) هو مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج ، مولى عبد الله بن السائب المخزومي من الطبقة الثانية من تابعي مكة وفقهائها وقرائها ، والمشهورين بها ، وأحد الأعلام المعروفين .
قال حماد : لقيت عطاء وطاووساً ومجاهداً وشاممت القوم ، فوجدت أعلمهم مجاهداً .
قال مجاهد : كان ابن عمر يأخذ لي الركاب ويسوي عليّ ثيابي إذا ركبت .
سمع ابن عباس وابن عمر .
روى عنه أيوب ، وابن عون ، ومنصور ، والحكم ، وابن أبي نجيح . وأخذ عنه القراءة أبو عمرو بن العلاء .
مات سنة مائة ، وقيل : سنة اثنتين ومائة ، وقيل : سنة أربع ومائة .

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (١٦٩) ، وإسناده ضعيف جداً .

(**) هو عامر بن أسامة بن عمير الهذلي ، البصري ، وقيل : اسمه زيد بن أسامة .
سمع أباه ، وبريدة ، وعوف بن مالك ، وعمران بن حصين ، وجابراً ، وأنساً ، وغيرهم .
روى عنه ابناه : زياد ومبشر ، وعبيد الله بن أبي حميد .

فَعَثَرَتْ دابَّتُهُ ، فقلت : تَعِسَ الشَّيْطَانُ ، فقال : « لا تَقُلْ : تَعِسَ الشَّيْطَانَ ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذٰلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ البَيْتِ ، وَلَكِنْ قُلْ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذٰلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ »(١) .

الفصل الرابع والخمسون
فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقة فدعا له ، ماذا يقول ؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت : أُهْدِيتْ لرسول الله ﷺ شَاةٌ فقال : « اقْسِمِيها » ، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا رجعت الخادم تقول : ماذا قالوا ؟ تقول الخادمُ : قالوا : بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ ، تقول عائشة رضي الله عنها : وَفِيهِمْ بَارَكَ اللَّهُ ، نَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا قَالُوا ، وَيَبْقَى أَجْرُنَا لَنَا »(٢) .

وقد روي عنها في الصدقة مثل ذلك .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٩٨٣) في الأدب : باب لا يقال : خبثت نفسي ، ورواه أيضاً ابن السني رقم (٥٠٩) باسناد لا بأس به عن أبي المليح عن أبيه أسامة ، وهو صحابي وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٢٧٨) .

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٢٧٨) ، وإسناده صحيح .

الفصل الخامس والخمسون
فيمن أميط عنه أذى

عن أبي أيوب(*) رضي الله عنه ، أنه تناول من لحية رسول الله ﷺ أذى ، فقال رسول الله ﷺ : « مَسَحَ اللَّهُ عَنْكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ مَا تَكْرَهُ » .

وفي لفظ آخر : « لا يَكُنْ بِكَ السُّوءُ يَا أبا أَيُّوبَ »(١) .

وعن عمر رضي الله عنه ، أنه أخذ عن رجل شيئاً ، فقال الرجل : صرف الله عنك السوء ، فقال عمر رضي الله عنه : صَرَفَ اللَّهُ عَنَّا السُّوءَ مُنْذُ أَسْلَمْنَا ، وَلَكِنْ إِذَا أُخِذَ عَنْكَ شَيْءٌ فَقُلْ : أَخَذَتْ يَدَاكَ خَيْراً »(٢) .

(*) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري الخزرجي .
شهد بدراً والعقبة الثانية والمشاهد كلها ، وهو ممّن غلبت عليه كنيته ، وكان مع علي بن أبي طالب في حروبه كلها .
ومات بالقسطنطينية مرابطاً سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة اثنتين وخمسين ، وقيل : سنة خمسين ، وذلك مع يزيد بن معاوية لما أغزاه أبوه القسطنطينية ، خرج معه فمرض ، فلما ثقل قال لأصحابه : إذا أنا مت فاحملوني ، فإذا صادفتم العدو فادفنوني تحت أقدامكم ، ففعلوا ، وقبره قريب من سورها معروف إلى اليوم .
روى عنه البراء بن عازب ، وجابر بن سمرة ، وعبد الله بن يزيد الخطمي ، وعطاء ابن يزيد الليثي .

(١) رواه ابن السني رقم (٢٧٦) و (٢٧٧) ، وإسنادهما ضعيف .

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٢٨٤) من حديث محمد بن كليب عن حسان بن إبراهيم عن عبد الله بن بكر الباهلي قال : أخذ عمر عن لحية رجل . . . الحديث ، وفي السند انقطاع .

الفصل السادس والخمسون
في رؤية باكورة الثمرة

قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان الناس إذا رأوا [أَوَّلَ] التَّمرِ جَاؤُوا به إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: « اللَّهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنا . . . » ثم يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الوِلْدَانِ . رواه مسلم[1] .

الفصل السابع والخمسون
في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ** ﴾ [الكهف : **٣٩**] .

وقال النبي ﷺ : « العَيْنُ حَقٌّ ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ القَدَرَ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ » حديث صحيح[2] .

---

(١) رقم (١٣٧٣) في الحج : باب فضل المدينة ، والترمذي رقم (٣٤٥١) في الدعوات : باب ما يقول إذا رأى الباكورة من الثمر ، وابن السني رقم (٢٨٠) . والزيادة من مسلم .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ١/ ١٧٤ و ٢٩٤ ، ومسلم رقم (٢١٨٨) في السلام : باب الطب والمرض والرقى ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وتتمته : « . . . وإذا اسْتُغْسِلْتُمْ فأغسلوا » وانظر ما قاله الامام النووي ١٤/ ١٧١ ـ ١٧٣ حول الحديث .

ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال : « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُعْجِبُهُ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ فَلْيُبَرِّكْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ العَيْنَ حَقٌّ »(١) .

ويذكر عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ رَأَى شَيْئاً فَأَعْجَبَهُ فَلْيَقُلْ : مَا شَاء اللَّهُ ، لاَ قُوَّةَ إِلاَّ باللَّهِ [لَمْ تُصِبْهُ العَيْنُ] »(٢) .

وَيُذْكَرُ عَنْهُ ﷺ فِيمَنْ خَافَ أَنْ يُصِيبَ شَيْئاً بِعَيْنِهِ قَالَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَلاَ تَضُرَّهُ »(٣) .

وقال أبو سعيد : « كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ ، وَعَيْنِ الإِنْسِ ، حَتَّى نَزَلَتْ المُعَوِّذَتَانِ ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَـرَكَ مَا سِوَاهُمَا » . قال الترمذي : حديث حسن ، ورواه ابن ماجة في « سننه »(٤) .

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٢٠٥) ، وأحمد في « المسند » ٤٨٦/٣، والحاكم في «المستدرك»، ٤١١/٣ و ٤١٢، من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، وأصله في « الصحيحين » ، ورواه أيضاً بمعناه ابن السني رقم (٢٠٦) وأحمد ٣/ ٤٤٧ من حديث عامر بن ربيعة .

(٢) رواه ابن السني رقم (٢٠٧) وفي سنده أبو بكر الهذلي ، وهو متروك كما قال الحافظ في «التقريب». والزيادة من ابن السني .

(٣) اسناده ضعيف ، رواه ابن السني رقم (٢٠٨) من حديث حزام بن حكيم بن حزام ، وهو مرسل ، فإن حزام بن حكيم تابعي ، لم يوثقه غير ابن حبان .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٠٥٩) في الطب ، باب الرقية بالمعوذتين ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو كما قال . ورواه باسناد جيد النسائي ٨/ ٢٧١ ، وابن ماجة رقم (٣٥١١) في الطب : باب من استرقى من العين .

الفصـــل الثامن والخمسون
في الفأل والطيرة

قال النبي ﷺ: « لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيـرَةَ ، وَ أَصْدَقُهَـا الفَأْلُ »(١) قيل: وما الفأل؟ قال: « الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ يَسْمَعُهَا الرَّجُلُ »(٢).

وكان النبي ﷺ يعجبه الفأل .

كما كان في سَفَرَ الهِجْرَةِ فلقيهم رجل فقال: « مَا اسْمُكَ » ؟ قال بريدة . قال « بَرُدَ أَمْرُنا »(٣) .

وقال ﷺ : « رَأَيْتُ فِي مَنَامِي ، كَأَنِّي فِي دَارِ عُقْبَةَ بنِ رَافِعٍ ،

---

(١) قوله : « الفأل » قال العلماء : يكون الفأل فيما يسر وفيما يسوء ، والغالب في السرور ، والطيرة لا تكون الا فيما يسوء . قالوا : وقد يستعمل مجازاً في السرور ، يقال : تفاءلت بكذا ـ بالتخفيف ـ وتفأّلت ـ بالتشديد ـ وهو الأصل ، والأول مخفف منه ومقلوب عنه .

(٢) رواه البخاري ١٠/ ١٨١ و٢٠٦ في الطب : باب الفأل ، ومسلم رقم (٢٢٢٤) في السلام : باب الطيرة والفأل . وأبو داود رقم (٣٩١٦) في الطب : باب في الطيرة ، والترمذي رقم (١٦١٥) في السير : باب في الطيرة ، وابن ماجه رقم (٣٥٣٧) في الطب : باب من كان يعجبه الفأل . . . الخ ، وأحمد في « المسند » ٣/ ١١٨ و ١٥٤ و١٧٣ و١٧٨ و٢٥١ و ٢٧٦ و٢٧٨ .

(٣) ذكره الزرقاني في شرح « المواهب اللدنية » ١/ ٤٠٥ ونسبه للبيهقي من حديث بريدة ابن الحصيب قال : لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبي ﷺ ، حملني الطمع ، فركبت في سبعين من بني سهم ، فلقيته ، فقال : من أنت ؟ قلت : بريدة ، فالتفت ﷺ إلى أبي بكر وقال : « برد أمرنا وصلح » ثم قال : « ممن أنت » ؟ قلت : من أسلم ، قال : « سلمنا » ، ثم قال : « ممن » ؟ قلت : من بني سهم ، قال : « خرج سهمك يا أبا بكر » فقال بريدة للنبي ﷺ : من أنت ؟ قال : « أنا محمد بن عبد الله رسول الله » فقال بريدة : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فأسلم بريدة ، وأسلم من كان معه جميعاً . قال بريدة : الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين ، فلما أصبح بريدة قال : يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا =

وَأُتِينا[برُطَبٍ] مِنْ رُطَبِ ابن طَابٍ ، فَأَوَّلْتُهَا الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا ، وَالعَاقبَةَ لَنَا فِي الآخِرَةِ ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ »(١) .

وأما الطِّيَرَةُ . فقال معاوية بن الحكم(*) ، قلت : يا رسول الله ، منا رجال يَتَطَيَّرُونَ . قال : « ذٰلِكَ شَيْءٌ تَجِدُونَهُ في صُدُورِكُمْ فَلاَ يَصُدَّنَّكُمْ »(٢) وهذه الأحاديث في « الصحاح »(٣) .

= ومعك لواء، فحمل عمامته ثم شدها في رمح ، ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة »

أقول : ولم نجده في الصحاح ، كما ذكر المصنف رحمه الله . لكن ذكره في « تحفة المودود» من رواية ابن عبد البرّ بإسناده : قال : أبو عمر حدثنا عبد الوارث حدثنا قاسم أحمد بن زهير ثنا حسين بن حريث عن الحسين بن واقد عبد الله بن بريدة عن ابيه فذكره بتمامه كرواية البيهقي .

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣/ ٢١٣ و ٢٨٦ ، ومسلم رقم (٢٢٧٠) في الرؤيا : باب رؤيا النبي ﷺ ، وأبو داود رقم (٥٠٢٥) في الأدب : باب في الرؤيا من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه . والزيادة من مسلم وأبي داود .

(*) هو معاوية بن الحكم بن خالد بن صخر بن الشريد ، من بني بهثة بن سليم السلمي .

كان ينزل المدينة ويسكن في بني سليم ، وعداده في أهل الحجاز .

روى عنه ابن كثير ، وعطاء بن يسار ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وهذا معاوية بن الحكم قد روى مالك بن أنس في « الموطأ » حديثه ، فقال : عمر بن الحكم ، ولم يختلف الرواة عنه في ذلك ، وهو وهم عند جميع أهل العلم ، وليس في الصحابة من يقال له : عمر بن الحكم ، وإنما هو معاوية بن الحكم ، كذلك قال فيه كل من روى حديثه في الجارية التي سألها النبي ﷺ فقال : « أين اللَّه» .

وأما عمر بن الحكم فهو من التابعين ، وهو عمر بن الحكم بن أبي الحكم من بني عمرو بن عامر ، وقيل : هو حليف للأوس .

مات سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل : هو أخوه معاوية بن الحكم .

(٢) رواه مسلم رقم (٥٣٧) في المساجد ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ، في جملة حديث طويل وأبو داود رقم (٩٣٠) في الصلاة : باب تشميت العاطس في الصلاة ، والنسائي ٣/ ١٤ ـ ١٨ في السهو : باب الكلام في الصلاة ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٤٤٨ .

(٣) ما عدا حديث « برد أمرنا » فانا لم نجده في الصحاح .

وعن عقبة بن عامر(*) قال : سئل رسول الله ﷺ عن الطِّيَرَةِ فقال : « أَصْدَقُها الفَأْلُ ، وَلاَ تُرَدُّ مُسْلِماً ، وَإذَا رَأَيْتُمْ مِنَ الطِّيَرَةِ شَيْئاً تَكْرَهُونَهُ ، فَقُولُوا : اللَّهُمَّ لاَ يَأْتِي بالحَسَنَاتِ إلاَّ أنْتَ ، وَلاَ يُذْهِبُ بِالسَّيِّئاتِ إلاَّ أَنْتَ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ »(١) .

الفصل التاسع والخمسون
في الحمام

يذكر عن أبي هريرة أنه قال : « نِعْمَ البَيْتُ الحَمَّامُ يَدْخُلُهُ المُسْلِمُ ، إذَا دَخَلَهُ سَأَلَ اللَّهَ الجَنَّةَ ، وَاسْتَعَاذَ بِهِ مِنَ النَّارِ »(٢) .

(*) هو عقبة بن عامر الجهني صحابي مشهور ، ولي أمرة مصر لمعاوية ثلاثة سنين ، وكان فقيهاً فاضلاً ، مات في قرب الستين .

(١) رواه ابن السني رقم (٢٩٤) واسناده ضعيف ورواه أبو داود رقم(٣٩١٩) في الطب باب في الطيرة من حيث عروة بن عامر ، قال الحافظ : مختلف في صحبته ، روى عن النبي ﷺ مرسلاً في الطيرة .

(٢) لم يصح في المرفوع ، رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » من حديث أبي هريرة رقم (٣١٦) وفي سنده يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب ، وهو متروك ، وأبو عبيد الله بن موهب مجهول الحال ، لم يوثقه غير ابن حبان ، ورواه ابن منيع في « مسنده » من حديث أبي هريرة بلفظ « نعم البيت الحمام ، فإنه يذهب بالوسخ ويذكر الآخرة » وفي سنده أيضاً يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب ، ورواه ابن عدي من حديث ابن عباس بلفظ « بئس البيت الحمام ترفع فيه الأصوات ، وتكشف فيه العورات » وفي سنه صالح بن أحمد القيراطي البزاز ، قال الدارقطني : متروك كذاب ـ وقال ابن عدي : يسرق الحديث .

وقد ثبت في الحمام حديث « اتقوا بيتاً يقال له الحمام ، فمن دخله فليستتر » رواه الطبراني في « الكبير » والحاكم ، والبيهقي في « شعب الإيمان » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

الفصل الستون
في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه

في « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال : « اللَّهُمَّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبْثِ وَالخَبَائِثِ »(١) . وزاد سعيد بن منصور « بِسْمِ اللَّهِ »(٢) .

وفي « مسند الإمام أحمد » عن زيد بن أرقم(*) قال : قال

= وقد اختلف السلف والخلف في حكم دخول الحمام ، والأصح أنه مباح للرجال بشرط الستر والغض ، مكروه للنساء إلا لحاجة ، ولذلك فالأشبه أن حديث الباب موقوف كما قال المؤلف رحمه الله .

(١) رواه البخاري ١/ ٢١٢ في الوضوء : باب ما يقول عند الخلاء ، ومسلم رقم (٣٧٥) في الحيض : باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٤) و (٥) في الطهارة : باب ما يقول الرجل اذا دخل الخلاء ، والترمذي رقم (٥) في الطهارة ، والنسائي ١/ ٢٠ في الطهارة باب القول عند دخول الخلاء ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٩٩ و١٠١ و٢٨٢ .

(٥) قال الحافظ في « الفتح » : وقد روي العمرى هذا الحديث من طريق عبد العزيز بن المختار عن عبد العزيز بن صهيب بلفظ الأمر قال : « اذا دخلتم الخلاء فقولوا : بسم الله ، أعوذ بالله من الخبث والخبائث » واسناده على شرط مسلم ، وفيه زيادة التسمية ، ولم أرها ي غير هذه الرواية .

أقول : وقول « بسم الله » عند دخول الخلاء ، جاء في حديث علي وأنس رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن .

(*) هو أبو عمرو، وقيل: أبو سعد، وقيل: أبو حمزة، زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغر بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، من بني الحارث بن الخزرج ، يعد في الكوفيين ، وسكنها ، ومات بها أيام المحتار سنة ست وستين، وقيل: سنة ثمان وستين .

روى عنه ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وابن أبي ليلى ومحمد بن كعب .

رسول اللّه ﷺ : « إِنَّ هٰذِهِ الحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ ، فَإِذَا أَتَىٰ أَحَدُكُمْ الخَلاءَ فَلْيَقُلْ : أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الخُبْثِ وَالخَبَائِثِ »[١] .

وفي « سنن ابن ماجه » عن أبي أمامة أن رسول اللّه ﷺ قال : « لاَ يَعْجَزُ أَحَدُكُمْ إِذَا دَخَلَ مِرْفَقَهُ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ النَّجِسِ الخَبِيثِ المُخْبِثِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ »[٢] .

وفي الترمذي عن علي رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « سِتْرُ مَا بَيْنَ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ الكَنِيفَ أَنْ يَقُولَ : بِسْمِ اللّهِ »[٣] .

وقالت عائشة : كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الغَائِطِ قَالَ : « غُفْرَانَكَ » رواه الإمام أحمد وأهل السنن[٤] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ٣٦٩ و٣٧٣ ، وأبو داود رقم (٦) في الطهارة : باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ، وابن ماجه رقم (٢٩٦) وإسناده صحيح .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٢٩٩) في الطهارة : باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ، واسناده ضعيف ، ولكن له شواهد يقوى بها ، انظر « شرح الأذكار » لابن علان ١/ ٣٨٥ .

(٣) رواه الترمذي رقم (٦٠٦) في الصلاة : باب ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء ، وابن ماجة رقم (٢٩٧) في الطهارة : باب ما يقول اذا دخل الخلاء ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب ليس اسناده بذاك القوي وما أورده المصنف هو رواية ابن ماجة لا الترمذي وهو حديث صحيح بمجموع طرقه ، كما قال الألباني في « الارواء » رقم (٥٠) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ٦/ ١٥٥ ، وأبو داود رقم (٣٠) في الطهارة : باب ما يقول اذا خرج من الخلاء ، والترمذي رقم (٧) في الطهارة : باب ما يقول اذا خرج من الخلاء، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٩٣) ، وابن السني رقم (٢٣) والبيهقي ١/ ٩٧ وابن ماجة رقم (٣٠٠) في الطهارة : باب ما يقول إذا خرج من =

وفي « سنن ابن ماجه » عن أنس رضي اللّه عنه : كَانَ النَّبيَّ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الخَلاَءِ قَالَ : « الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الأَذَىٰ وَعَافَانِي »(١) .

الفصــل الحـادي والسـتون
في الـذكر عند إرادة الوضـوء

ثبت في النسائي عنه ﷺ أنه وضع يده في الجفنة وقال : « تَوَضَّؤُوْا بِبِسْمِ اللَّهِ »(٢) .

وفي « صحيح مسلم » عن جابر رضي اللّه عنه في حديثه الطويل ، وفيه : « يَا جَابِرُ نَادِ بِوُضُوءٍ » فقلت : ألا وَضوء ؟ ألا وضوء ؟ [ألا وَضُوء ؟] وفيه فقال : « خُذْ يا جَابِرُ فَصُبَّ عَلَيَّ وَقُلْ :

= الخلاء ، والدارمي رقم (٦٨٦)في الطهارة : باب ما يقول إذا خرج من الخلاء ، والحاكم ١/ ١٥٨ وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الترمذي ، وهو كما قال ، وصححه ابن خزيمة رقم (٩٠) ، وقال النووي في « شرح المهذب » : هو حديث حسن صحيح . انظر « الإرواء » رقم (٥٢) .

(١) رواه ابن ماجه رقم (٣٠١) في الطهارة ، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء ، وإسناده ضعيف ، ورواه ابن السني من حديث أبي ذر موقوفاً في « عمل اليوم والليلة » رقم (٢٢) ، وإسناده ضعيف أيضاً . وقال الحافظ في « تخريج الأذكار » كما في ابن علان ١/ ٤٠٥ : وحديث أبي ذر حسن ، وقال : وجاء عن أنس حديث آخر يأتي في شواهد حديث ابن عمر ، ثم قال : وله ولحديث أبي ذر شاهد من حديث حذيفة وأبي الدرداء ، أخرجه ابن أبي شيبة عنهما موقوفاً بلفظ حديث أبي ذر .

(٢) النسائي ١/ ٦١ في التسمية في الوضوء ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٢٧) من طريق النسائي نفسها ، ورواه الدارقطني في الطهارة باب التسمية على الوضوء رقم (١) وسنده صحيح ، قلت : ويشهد له الحديثان التاليان .

بِسْمِ اللَّهِ » فصببت عليه ، وقلت : بسم اللّه ، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول اللّه ﷺ[1] .

وفي « المسند » و « السنن » من حديث سعيد بن زيد[*] عن النبي ﷺ : « لاَ وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ »[2] .

قال البخاري : هذا أحسن شيء في هذا الباب .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لاَ

---

(١) هو جزء من حديث طويل رواه مسلم رقم (٣٠١٣) في الزهد : في حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليسر . والزيادة من « صحيح مسلم » .

(*) هو أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى العدوي القرشي ، وقد مر تمام النسب في اسم عمر بن الخطاب .

وأمه فاطمة بنت بعجة بن أمية من خزاعة ، أسلم قديماً قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ فانه كان مع طلحة بن عبيد اللّه يطلبان خبر عير قريش ، وضرب له النبي ﷺ بسهم .

كان آدم طوالاً أشعر ، مات بالعقيق قريباً من المدينة ، فحمل ودفن بها سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة اثنين وخمسين ، وله بضع وسبعون سنة .

وقيل مات بالكوفة ودفن بها .

يلقى آباء النبي ﷺ في كعب بن لؤي .

روى عنه عمرو بن حريث ، وعروة بن الزبير ، وقيس بن أبي حازم ، وعباس بن سهل بن سعد .

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/ ٧٠ و ٥/ ٣٨١ و ٦/ ٣٨٢ من حديث جدة رباح بن عبد الرحمن رضي الله عنها عن أبيها ، ورواه الترمذي رقم (٢٥) في الطهارة : باب ما جاء في التسمية عند الوضوء ، وابن ماجة رقم (٣٩٨) وإسناده ضعيف ، وفي الباب أحاديث لا تخلو من مقال ، قال المنذري في « الترغيب والترهيب » ١/ ١٦٤ : ولا شك أن الأحاديث التي وردت فيها وإن كان لا يسلم شيء منها عن مقال ، فإنها تتعاضد بكثرة طرقه ، وتكتسب قوة ، والله أعلم . أقول : وقد جاء نحو هذا الكلام عن العز بن جماعة والحافظ ابن حجر كما في « شرح الأذكار » لابن علان ٢/ ١٥ ويشهد للحديث ما قبله وما بعده ، قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٤٤٤) : صحيح .

وُضُوءَ لَهُ ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ » رواه الإمام أحمد وأبو داود(١) .

وفي « المسند » من حديث أبي سعيد رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ « لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ »(٢) .

الفصـــل الثاني والستون
في الذكر بعد الفراغ من الوضوء

روى مسلم في « صحيحه » عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ »(٣) .

وزاد فيه الترمذي بعد ذكر الشهادتين « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ »(٤) .

---

(١) رواه أحمد « في المسند » ٢ / ٤١٨ وأبو داود رقم (١٠١) في الطهارة : باب التسمية على الوضوء وابن ماجه رقم (٣٩٩) ، وإسناده ضعيف ، ولكن يقوى بشواهده ، منها الذي قبله والذي بعده . انظر « الإرواء » رقم (٨١) .

(٢) رواه أحمد ٣ / ٤١ وابن ماجه رقم (٣٩٧) في الطهارة : باب ما جاء في التسمية في الوضوء ، وهو حديث حسن بالشواهد التي قبله .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٣٤) في الطهارة : باب الذكر المستحب عقب الوضوء ، وابن ماجه رقم (٤٧٠) في الطهارة : باب ما يقال بعد الوضوء .

(٤) رواه الترمذي رقم (٥٥) في الطهارة: باب ما يقال عند الوضوء، وهي زيادة صحيحة بشواهدها ، انظر « شرح الأذكار » لابن علان ٢ / ١٩ .

وفي بعض طرقه ذكرها أبو داود والإمام أحمد « فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ رَفَعَ نَظَرَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَقَالَ . . . » وذكره[1] .

وفي لفظ للإمام أحمد « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . . . » .

وفي «سنن النسائي» عن أبي سعيد الخدري قال: «مَنْ تَوَضَّأَ فَفَرَغَ مِنْ وُضُوئِهِ وَقَالَ : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، طُبِعَ عَلَيْهَا ، بِطَابِعٍ ، ثُمَّ رُفِعَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَلَمْ تُكْسَرْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . هكذا رواه من قول أبي سعيد رضي اللّه عنه[2] . ورواه بقي بن مخلد[*] في « مسنده » من حديثه أيضاً مرفوعاً .

وأما الأذكار التي يقولها العامة على الوضوء عند كل عضو فلا أصل لها عن رسول اللّه ﷺ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة الأربعة ، وفيها حديث كذب على رسول اللّه ﷺ .

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٧٠) في الطهارة : باب ما يقول الرجل إذا توضأ ، وأحمد في « المسند » ٤ / ١٥١ وإسناده ضعيف .

(٢) النسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم ٨٣ وابن السني رقم (٣٠) موقوفاً على أبي سعيد الخدري ، ومن رفعه فقد أخطأ ، والصواب موقوف . وانظر « شرح الأذكار » لابن علان ٢ / ٢٠ و ٢١ وما قاله الحافظ في تخريجه . انظر « صحيح الجامع » رقم (٦٠٤٦) .

(*) بقي بن مخلد بن يزيد ، أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي ، حافظ مفسر محقق له « تفسير » قال ابن بشكوال : لم يؤلف مثله في الإسلام ، وكتاب في « الحديث » رتبه على أسماء الصحابة ، ومصنف في « فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم » وكان إماماً مجتهداً ، انتشرت كتبه أيام حياته ولد سنة ٢٠١ وتوفي سنة ٢٧٦ .

الفصل الثالث والستون
في ذكر صلاة الجنازة(*)

في « صحيح مسلم » عن عوف بن مالك قال : صلى رسول اللّه ﷺ على جنازة ، فحفظت من دعائه وهو يقول : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِالمَاءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبَ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ » قال : حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذٰلِكَ المَيِّتُ ، لِدُعَاءِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ . وفي لفظ : « وَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ »(١) .

وفي « سنن أبي داود » عن أبي هريرة قال : صلى رسول اللّه ﷺ على جنازة فقال : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا ، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا ، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا ، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا ، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا ، فَأَحْيِهِ عَلَىٰ الإِسْلَامِ ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَىٰ الإِيْمَانِ ، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ »(٢) .

(*) من أراد التوسع فليرجع إلى كتاب « أحكام الجنائز وبدعها » للألباني فهو كتاب جامع .

(١) رواه مسلم رقم (٩٦٣) في الجنائز : باب الدعاء للميت في الصلاة ، والترمذي رقم (١٠٢٥) في الجنائز : باب ما يقول في الصلاة على الميت ، والنسائي ٤/ ٧٣ في الجنائز : باب الدعاء ، وابن ماجه رقم (١٥٠٠) في الجنائز باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٢٣ و ٢٨ .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٢٠١) في الجنائز : باب الدعاء للميت ، والترمذي رقم (١٠٢٤) في الجنائز : باب ما يقول في الصلاة على الميت ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٣٦٨ ، وابن ماجه رقم (١٤٩٨) في الجنائز : باب ما جاء في الدعاء في الصلاة =

وفي « سنن أبي داود » أيضاً عن واثلة بن الأسقع(*) قال : صلى رسول اللّه ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول : « اللَّهُمَّ إنَّ فُلَانَ بْنُ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ ، فَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ ، وَأَنْتَ أَهْلُ الوَفَاءِ وَالحَمْدِ ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ »(١) .

وسأل مروان أبا هريرة : كيف سمعت رسول الله ﷺ يصلي على الجنازة ؟ قال : « اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّها ، وَأَنْتَ خَلَقْتَهَا ، وَأَنْتَ هَدَيْتَهَا لِلإِسْلَامِ ، وَأَنْتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا ، جِئْنَاكَ شُفَعَاءُ فَاغْفِرْ لَهُ » رواه الإمام أحمد وأبو داود(٢) .

= على الجنازة ، وصححه ابن حبان رقم (٧٥٧) « موارد » ، والحاكم ١/ ٣٥٨ ووافقه الذهبي ، وهو كما قالوا ، وأعل بما لا يقدح .

(*) هو أبو الأسقع ، ويقال : أبو قرصافة، ويقال : أبو محمد ، واثلة بن الأسقع بن عبد العزى ، بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن علي ابن كنانة الليثي ، وقيل : واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر ، والأول أكثر وأصح ، أسلم والنبي ﷺ يجهز إلى تبوك ، ويقال : إنه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين وكان من أهل الصفة ، نزل البصرة ، ثم نزل الشام ، وكان منزله على ثلاث فراسخ من دمشق بقرية يقال لها : البلاط ، ثم تحول إلى بيت المقدس ومات بها وهو ابن مائة سنة ، وقيل : بل مات بدمشق سنة خمس ، أو ست وثمانين وله ثمان وتسعون سنة .

روى عنه مكحول وعبد اللّه بن عامر اليحصبي ، وأبو المليح بن أسامة الهذلي .

(١) رواه أبو داود رقم (٣٢٠٢) في الجنائز : باب الدعاء للميت ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (١٤٩٩) في الجنائز ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٤٩١ ، واسناده حسن ، كما قال الحافظ في « تخريج الأذكار » ، وصححه ابن حبان رقم (٧٥٨) « موارد » .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٢٥٦ و ٣٤٥ و ٣٦٣ و ٤٥٩ ، وأبو داود (٣٢٠٠) في الجنائز : باب الدعاء للميت ، ورواه أيضاً الطبراني في الدعاء ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » كما قال ابن علان ٤/ ١٧٦ .

الفصل الرابع والستون

في الذكر إذا قال هجراً أو جرى على لسانه ما يسخط ربه عز وجل

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ : وَاللَّاتِ وَالعُزَّى ، فَلْيَقُلْ : لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ : تَعَالَ أُقَامِرْكَ ، فَلْيَتَصَدَّقْ »[1] .

فكل من حلف بغير اللّه فهذه كفارته ، لأن النبي ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ » حديث صحيح[2] .

وكفارة الشرك : التوحيد ، وهو كلمة « لا إله إلا الله » . ومن قال : تعال أقامرك ، فقد تكلم بهجر وفحش يتضمن أكل المال وإخراجه بالباطل ، وكفارة هذه الكلمة بضد القمار ، وهو إخراج

---

(١) البخاري ١١/ ٤٦٧ في الايمان : باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت ، و٨/ ٤٧١ في تفسير سورة والنجم ، وفي الأدب : باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً ، وفي الاستئذان : باب كل لهو باطل إذا شغله عن طاعة الله ، ومسلم رقم (١٦٤٧) في الايمان : باب من حلف باللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله ، وأبو داود (٣٢٤٧) في الايمان والنذور : باب الحلف بالأنداد ، والترمذي رقم (١٥٤٥) النذور والإيمان : باب رقم (١٧) ، والنسائي ٧/ ٧ في الإيمان : باب الحلف باللات ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٣٠٩ .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٢٥١) في الإيمان: باب في كراهية الحلف بالآباء. والترمذي رقم (١٥٣٥) في الإيمان: باب رقم (٨) ، وأحمد في « المسند » ١/ ٤٧ و٢/ ٣٤ و٦٧ و ٦٩ و٨٧ و٩٨ و١٢٥ و١٤٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، والحاكم ٤/ ٢٩٧ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الترمذي ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « الإرواء » رقم (٢٥٦١) .

المال في أحق مواضعه وهو الصدقة .

وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص(*) عن أبيه : حلفتُ باللَّات والعُزَّى ـ وكان العهد قريباً ـ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : « قَدْ قُلْتَ هُجْراً(١) ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَانْفُثْ عَنْ يَسَارِكَ سَبْعاً(٢) ، وَلَا تَعُدْ »(٣) .

الفصل الخامس والستون
فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم

يذكر عن النبي ﷺ : أن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » ذكره البيهقي في كتاب « الدعوات الكبير » وقال : في إسناده ضعف .

وهذه المسألة فيها قولان للعلماء ـ هما روايتان عن الإمام أحمد ـ وهما : هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب ، أم لا بد من إعلامه وتحليله ؟

(*) هو أبو زرارة مصعب بن سعد بن أبي وقاص القرشي .
سمع أباه ، وعلي بن أبي طالب ، وابن عمر .
روى عنه عبد الملك بن عمير ، وسماك بن حرب ، وعاصم بن بهدلة .

(١) جملة « قد قلت هجراً » ليست من قول رسول الله ﷺ ، وإنما هي من قول الصحابة لسعد .

(٢) الذي عند أحمد والنسائي : واتفث عن يسارك ثلاثاً .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ١/ ١٨٣ و ١٨٦ ، والنسائي ٧/ ٧ و ٨ في الايمان ، باب الحلف باللات والعزى ، وابن ماجه رقم (٢٠٩٧) ، وابن حبان رقم (١١٧٨) ، واسناده حسن . انظر « الارواء » رقم (٢٥٦٣) .

والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه ، بل يكفيه الاستغفار له وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها . وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره .

والذين قالوا : لا بد من إعلامه ، جعلوا الغيبة كالحقوق المالية ، والفرق بينهما ظاهر ، فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه ، فإن شاء أخذها ، وإن شاء تصدق بها .

وأما في الغيبة ، فلا يمكن ذلك ، ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع ﷺ ، فإنه يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمي به ، ولعله يهيج(*) عداوته ولا يصفو له أبداً ، وما كان هذا سبيله ، فإن الشارع الحكيم ﷺ لا يبيحه ولا يجوزه ، فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به ، ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها ، لا على تحصيلها وتكميلها ، والله تعالى أعلم .

الفصل السادس والستون
فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس وخسوف القمر

في « الصحيحين » عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا ، وَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا »[1] .

(*) في نسخ ينتج .

(1) رواه البخاري ٢/ ٤٥١ في صلاة الكسوف ، باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته ، ومسلم (٩٠١) في الكسوف : باب صلاة الكسوف ، انظر « جامع الأصول » ٦/ ١٥٦ - ٢٦٤ .

وفي « صحيح مسلم » عن عبد الرحمن بن سمرة قال : بَيْنَمَا أنا أرمي بِأَسْهُمٍ لي في حياة رسول اللّه ﷺ ، إذ كسفت الشمس ، فنبذتهن وقلت : لأنظرنَّ إلى ما يحدث لرسول اللّه ﷺ في انكساف الشمس اليوم ، فانتهيت إليه وهو رافع يديه يَدْعُو وَيُكَبِّرُ ويحمد ويهلل ويدعو ، حتى جُلِّي عن الشمس ، فقرأ بسورتين وركع ركعتين »(١) .

والنبي ﷺ أمر في الكسوف بالصلاة ، والعتاقة ، والمبادرة إلى ذكر اللّه تعالى ، والصدقة ، فإن هذه الأمور تدفع أسباب البلاء .

الفصـل السابع والستون
فيما يقول من ضاع له شيء ويدعو به

ذكر علي بن المديني عن سفيان عن ابن عجلان عن عمر بن كثير بن أفلح قال : كان ابن عمر يقول للرجل إذا أضل شيئاً : قل : اللَّهُمَّ رَبَّ الضَّالَةِ ، هَادِيَ الضَّالَةِ ، تَهْدِي مِنَ الضَّلاَلَةِ ، رُدَّ عَلَيَّ ضَالَتِي بِقِدْرَتِكَ وَسُلْطَانَكَ ، فَإِنَّهَا مِنْ عَطَائِكَ وَفَضْلِكَ .

وفي وجه آخر : سئل ابن عمر رضي اللّه عنه عن الضالةِ فقال : يتوضأ ويصلي ركعتين ، ثم يتشهد ، ثم يقول : اللَّهُمَّ رادَّ

---

(١) رواه مسلم رقم (٩١٣) في الكسوف : باب صلاة الكسوف ، وأبو داود رقم (١١٩٥) في الصلاة : باب من قال : يركع ركعتين في الكسوف ، والنسائي ١٢٥/٣ في الكشوف : باب التسبيح والتكبير والدعاء عند كسوف الشمس .

الضَّالَةِ ، هَادِي الضَّلَالَةِ ، تَهْدِي مِن الضَّلَالِ ، رُدَّ عَلَيَّ ضَالَّتِي بِعِزّكَ وَسُلْطَانَكَ ، فَإِنَّهَا مِن فَضْلِكَ وَعَطَائِكَ ، قَال البيهقي : هذا موقوف ، وهو حسن[1] .

وقد قيل : إن من ضاع له شيء فقال : يَا جَامِعَ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ رُدَّ عَلَيَّ ضَالَّتِي ، ردها اللّه تعالى عليه .

الفصل الثامن والستون

في عقد التسبيح بالأصابع وأنه أفضل من السبحة

روى الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد اللّه بن عمرو قال : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ بِيَمِينِهِ » . رواه أبو داود[2] .

وروت يُسَيْرة[3] إحدى المهاجرات رضي اللّه عنها قالت : قال رسول اللّه ﷺ : « علَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ ،وَلَا تَغْفُلْنَ

---

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/ ١٣٣ مرفوعاً وقال : رواه الطبراني في الثلاثة ، وفيه عبد الرحمن يعقوب بن أبي عباد ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) رقم (١٥٠٢) في الصلاة : باب التسبيح بالحصى ، عن عبد الله بن عمرو ، وأخرجه أيضاً الترمذي (٣٤٠٨) ، والحاكم ١/ ٥٤٧ وصححه الذهبي ، وهو كما قال ، وليس عند الترمذي والحاكم قوله : بيمينه .

(٣) قال الحافظ في « التقريب » : يسيرة ، ويقال : أسيرة ، بألف : أم ياسر ، صحابية من الأنصار .

فَتَنْسَيْنَ الـرَّحْمَـةَ ، وَاعْقِـدْنَ بِـالأَنَـامِـلِ فَـإِنَّهُنَّ مَسْؤُولَاتٌ وَمُسْتَنْطَقَاتٌ »[1] .

الفصـــل التاسع والستون
في أحب الكلام إلى اللّه عز وجل بعد القرآن

ثبت في « صحيح مسلم » عن سمرة بن جندب قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَىٰ اللّهِ تَعَالَىٰ أَرْبَعٌ ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ : سُبْحَانَ اللّهِ ، وَالحَمْدُ لِلّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ ، وَاللّهُ أَكْبَرُ » .

وفي أثـر آخر « أَفْضَلُ الكَلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ أَرْبَعٌ وَهُنَّ مِنَ القُرْآنِ : سُبْحَانَ اللّهِ ، وَالحَمْدُ لِلّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ ، وَاللّهُ أَكْبَرُ » .

وفي أثر آخر « أَفْضَلُ الكَلَامُ مَا اصْطَفَىٰ اللّهُ لِمَلَائِكَتِهِ : سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ »[2] .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمٰنِ : سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللّهِ العَظِيمِ »[3] .

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٥٠١) في الصلاة : باب التسبيح بالحصى ، والترمذي رقم (٣٥٧٧) في الدعوات : باب رقم ١٣١ ، والحاكم ١/ ٥٤٧ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه مسلم (٢١٣٧) في الآداب : باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة .

(٣) رواه البخاري ١١/ ١٧٥ في الدعوات : باب فضل التسبيح ، وفي الأيمان : باب إذا قال : والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ ، وفي التوحيد : باب قول الله تعالى : =

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال : « لأَنْ أَقُولُ : « سُبْحَانَ اللّهِ ، وَالحَمْدُ لِلّهِ ، وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ ، وَاللّهُ أَكْبَرُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ »[1] .

الفصل السبعون
في الذكر المضاعف

في « صحيح مسلم » عن جويرية أم المؤمنين أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة ، فقال : « مَا زِلْتِ عَلَىٰ الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُك عَلَيْهَا » ؟ قالت : نعم . فقال النبي ﷺ : « لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاَث مَرَّات ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْم لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ اللّهِ [وَبِحَمْدِهِ] عَدَدَ خَلْقِهِ ، سُبْحَانَ اللّه رِضَىٰ نَفْسِهِ ، سُبْحَانَ اللّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ ، سُبْحَانَ اللّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ »[2] .

وعن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول اللّه ﷺ على امرأةٍ وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال : « أُخْبِرُكَ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِن هٰذَا وَأَفْضَلُ » فقال : « سُبْحَانَ اللّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ ، سُبْحَانَ اللّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْض ، سُبْحَانَ اللّهِ عَدَدَ مَا

= ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ ، ومسلم رقم (٢٦٩٤) في الذكر والدعاء : باب فضل التهليل والتسبيح ، والترمذي رقم (٣٤٦٣) في الدعوات : باب رقم (٦١) ، وابن ماجة رقم (٣٨٠٦) في الأدب : باب فضل التسبيح ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٢٣٢ . وهذا الحديث آخر حديث في « صحيح البخاري » رحمه الله تعالى .

(١) رواه مسلم (٢٦٩٥) في الذكر : باب فضل التسبيح والتهليل والدعاء ، والترمذي رقم (٣٥٩١) في الدعوات : باب رقم ١٣٩ تقدم تخريجه ص (٩١)

(٢) تقدم تخريجه ص (١٧٩) رقم (٢) . والزيادة من صحيح مسلم .

بَيْنَ ذٰلِكَ ، سَبْحَانَ اللّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ ، وَاللّهُ أَكْبَرُ مِثْلَ ذٰلِكَ ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللّهُ مِثْلَ ذٰلِكَ ، وَالحَمْدُ لِلّهِ مِثْلَ ذٰلِكَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ مِثْلَ ذٰلِكَ » . رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن(١) .

الفصل الحادي والسبعون

فيما يقال لمن حصل له وحشة

روينا في « معجم الطبراني » عن البراء بن عازب(*) أن رجلاً اشتكى إلى رسول اللّه ﷺ الوحشة ، فقال : « قُلْ : سُبْحَانَ اللّهِ المَلِكِ القُدُّوسِ ، رَبِّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ، جُلِّلَتِ السَّمٰوَاتُ

(*) هو أبو عُمَارة ، وقيل : أبو عمرو ، وقيل أبو عمر ، وقيل : أبو الطفيل ، والأشهر الأول ، البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جُشَم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن النبيت ، وهو عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري الحارثي الأوسي .

أول مشهد شهده الخندق ـ لأنه اسْتُصْغِرَ قبل ذلك ـ من المشاهد . نزل الكوفة ، وافتتح الري سنة أربع وعشرين في قول . وشهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان . ومات بالكوفة أيام مصعب بن الزبير .

روى عنه أبو جُحَيْفَة ، وعبد اللّه بن يزيد الأنصاري ، وبنوه : الربيع ، ويزيد ، وعبيد ، وأبو إسحاق السبيعي .

(١) أبو داود رقم (١٥٠٠) في الصلاة : باب التسبيح بالحصى ، والترمذي رقم (٣٥٦٣) في الدعوات : باب دعاء النبي ﷺ وتعوذه في دبر كل صلاة ، ورواه أيضاً ابن حبان رقم (٢٣٣٠) « موارد » في الأذكار : باب في فضل التسبيح والتهليل والتحميد ، والحاكم ١/ ٥٤٨ وصححه الذهبي ، وهو حديث حسن بشواهده ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وانظر « شرح الأذكار » لابن علان ١/ ٢٤٤ . تقدم تخريجه ص (١٧٩) رقم (٣) .

وَالأَرْضُ بِالْعِزَّةِ وَالجَبَرُوتِ » فقالها الرجل ، فأذهب اللّه عنه الوحشة[1] .

الفصل الثاني والسبعون
في الذكر الذي يقوله أو يقال له
إذا لبس ثوباً جديداً

عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول اللّه ﷺ إذا استجدَّ ثوباً سماه باسمه قميصاً أو إزاراً أو عمامة يقول : « اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ » .

قال أبو نضرة : وكان أصحاب رسول اللّه ﷺ إذا رأى أحدهم على صاحبه ثوباً قال: تبلي ويخلف اللّه تعالى[2]. ذكره البيهقي .

وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول اللّه ﷺ قال : « مَنْ لَبِسَ ثَوْبَاً جديداً فقال : الحَمْدُ للَّهِ الَّذي كَسَانِي هٰذَا

---

(١) ذكره النووي في « الأذكار » رقم (٣٨٦) من طبعتنا ـ مكتبة دار البيان بدمشق ـ من رواية ابن السني رقم (٦٣٩) ، وقال ابن علان في « شرح الأذكار » ٤/ ٣١ : قال الحافظ بعد تخريجه : هذا حديث غريب وسنده ضعيف .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٠٢٠) في اللباس : في فاتحته ، والترمذي رقم (١٧٦٧) في اللباس : باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً ، وهو حديث صحيح ،حسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » ، ١/ ٣٠٤ ، ورواه ابن حبان رقم (١٤٤٢) « موارد » في اللباس : باب ما يقول إذا استجد ثوباً ، والحاكم ٤/ ١٩٢ وصححه ووافقه الذهبي . انظر « صحيح الجامع » رقم (٤٥٤٠) .

وَرَزَقْنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ »(١) .

الفصل الثالث والسبعون
فيما يقال عند رؤية الفجر

روى ابن وهب عن سليمان بن بلال عن سهيل بن أبي صالح(*) عن أبيه عن أبي هريرة قال : كان رسول اللّه ﷺ إذا كان في سفر فبدا له الفجر قال : « سَمَّعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللّهِ وَنِعْمَتِهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا ، رَبَّنَا صَاحِبْنَا فَأَفْضِلْ عَلَيْنَا عَائِذاً بِاللّهِ مِنَ النَّارِ » يقول ذلك ثلاث مرات ، ويرفع بها صوته . هذا إسناد صحيح على شرط مسلم(٢) .

---

(١) رواه ابن السني هكذا مختصراً رقم (٢٧٢) في « عمل اليوم والليلة » ، وليس عنده « وما تأخر » . وهو جزء من حديث طويل رواه أبو داود رقم (٤٠٢٣) في اللباس : في فاتحته ، وإسناده حسن ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » كما في ابن علان ١/ ٣٠٠ و٣٠١ ، ورواه أيضاً الحاكم ١/ ٥٠٧ وصححه ووافقه الذهبي ، وليس عنده « وما تأخر » لا في الطعام ، ولا في اللباس .

(*) هو أبو يزيد سهيل بن أبي صالح ، واسم أبي صالح : ذكوان السمان الزيات المدني .
سمع أباه ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء بن يزيد ، وعبد اللّه بن دينار .
روى عنه مالك ، والثوري ، وشعبة ، وموسى بن عقبة .
أخرج عنه البخاري حديثاً واحداً في باب فضل الصوم في سبيل اللّه مقروناً بيحيى ابن سعيد الأنصاري ، وأكثر عنه مسلم وغيره .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ورواه مسلم رقم (٢٧١٨) في الذكر والدعاء: باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، وليس عنده في آخره : « يقول ذلك ثلاث مرات ، ويرفع بها صوته » ، وأبو داود رقم (٥٠٨٦) في الأدب : باب ما يقول إذا أصبح .

الفصل الرابع والسبعون

في التسليم للقضاء والقدر ، بعد بذل الجهد في تعاطي ما أمر به من الأسباب

قال تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا في الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً في قُلُوبِهِمْ واللَّهُ يُحْيي ويُمِيتُ واللَّهُ بما تَعْمَلُونَ بَصِير ﴾ [آل عمران : ١٥٦] . فنهى سبحانه عباده أن يتشبَّهوا بالقائلين : لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه بخلافه .

وقال النبي ﷺ : « وَإِيَّاكَ واللَّوُ ، فإِنَّ اللَّوَ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ »[1] .

وقال أبو هريرة : قال النبي ﷺ : « المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ[2]

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٣٦٦ من حديث أبي هريرة وإسناده حسن وهو جزء من الحديث الذي بعده ، قال الحافظ في « الفتح » ١٣/ ١٩٢ في التمني : باب ما يجوز من اللو : كذا وقع عند بعض رواة مسلم : « إياك واللو ، فان اللو من الشيطان » ، والمحفوظ : إياك ولو .

(٢) قوله : « المؤمن القوي خير » المراد بالقوة ، هنا ، عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة ، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه ، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على الأذى في كل ذلك ـ واحتمال المشاق في ذات الله تعالى ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات ، وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها ونحو ذلك .

وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللّٰهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرَصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللّٰهِ ، وَلاَ تَعْجِزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَآءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » رواه مسلم(١) .

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قضى بين رجلين ، فقال المقضي عليه لما أدبر : حسبنا اللّٰه ونعم الوكيل ، فقال النبي ﷺ : « إِنَّ اللّٰهَ يَلُومُ عَلَىٰ العَجْزِ ، وَلٰكِنْ عَلَيْكَ بِالكَيْسِ ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ : حَسْبِيَ اللّٰهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ »(٢) .

فنهى النبي ﷺ أن يقول : عند جريان القضاء ما يضره ولا ينفعه ، وأمره أن يفعل من الأسباب ما لا غنى له عنه ، فإن أعجزه القضاء قال : حسبي اللّٰه ونعم الوكيل، فإذا قال : حسبي اللّٰه بعد تعاطي ما أمر به من الأسباب قالها وهو محمود فانتفع بالفعل والقول ، وإذا عجز وترك الأسباب وقالها ، وهو ملوم بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة اللّٰه عز وجل ، فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن فعل ما أمر به .

---

(١) رقم (٢٦٦٤) في القدر : باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/ ٣٦٦ و ٣٧١ ، وابن ماجه رقم (٧٩) في المقدمة : باب في القدر ، ورقم (٤١٦٨) في الزهد : باب التوكل واليقين .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٦٢٧) في الأقضية : باب الرجل يحلف على حقه ، وإسناده ضعيف .

الفصل الخامس والسبعون
في جوامع من أدعية النبي ﷺ وتعوذاته لا غنى للمرء عنها

قالت عائشة : كان النبي ﷺ يحب الجوامع من الدعاء ويدَع ما بين ذلك(١) .

وفي « المسند » والنسائي وغيرهما : أن سعداً سمع ابناً له يقول : اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَغُرَفهَا(٢) وكذا وكذا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَأَغْلَالِهَا وَسَلَاسِلَهَا ، فقال سعد رضي اللّه عنه : لَقَدْ سألت اللّه خيراً كثيراً ، وتعوَّذْتَ من شرٍّ كثير ، وإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ » وبحسبك أن تقول : اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ »(٣) .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٦/ ١٤٨ و١٨٩ ، وأبو داود رقم (١٤٨٢) في الوتر : باب الدعاء ، وصححه ابن حبان رقم (٢٤١٢) « موارد » وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٨٢٥) .

(٢) في « المسند » و« سنن أبي داود » : إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها ، وفي رواية في « المسند » : أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ١/ ١٧٢ و١٨٣ ولم نجده في « سنن النسائي » ، ولعله في « الكبرى » ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (١٤٨٠) في الصلاة : باب الدعاء ، وفي سنده جهالة . أقول : ولكن للفقرة الثانية من الحديث : « سيكون قوم يعتدون في الدعاء » شاهد عند أحمد ٥/ ٨٦ و٨٧ من حديث عبد الله بن مغفل ، فهو حديث حسن ، وللفقرة الأخيرة وهي قوله : « اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم » شاهد عند ابن ماجة من حديث عائشة ، وعند الطبراني من حديث سمرة بن جندب ، فهو حديث صحيح .

وفي « مسند الإمام أحمد » ، و « سنن النسائي » عن ابن عباس قال : كان من دعاء النبي ﷺ : « رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّاراً ، لَكَ ذَكَّاراً ، لَكَ رَهَّاباً ، لَكَ مِطْوَاعاً ، لَكَ مُخْبِتاً ، إِلَيْكَ أَوَّاهاً مُنِيباً ، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي ، وَأَجِبْ دَعْوَتِي ، وَثَبِّتْ حُجَّتِي ، وَاهْدِ قَلْبِي ، وَسَدِّدْ لِسَانِي ، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي » . هذا حديث صحيح ورواه الترمذي وحسنه وصححه[1] .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس بن مالك قال : كنت أخدم النبي ﷺ ، فكنت أسمعه يكثر أن يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ ، وَضَلَعِ[2] الدَّيْنِ ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ »[3] .

---

(١) وهو كما قال ، رواه أحمد في « المسند » ١/ ٢٢٧ ولم نجده عند النسائي ولعله في « الكبرى » ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (١٥١٠) في الصلاة ، باب ما يقول الرجل إذا سلم ، والترمذي رقم (٣٥٤٦) في الدعوات : باب من أدعية النبي ﷺ وابن حبان رقم (٢٤١٤) « موارد » ، في الأدعية : باب أدعية رسول الله ﷺ .

(٢) الضلع بفتح الضاد واللام : الثقل .

(٣) البخاري ١١/ ١٥٠ في الدعوات : باب التعوذ من فتنة المحيا والممات ، وباب الاستعاذة من الجبن والكسل ، وباب التعوذ من أرذل العمر ، وفي الجهاد : باب ما يتعوذ من الجبن ، ومسلم رقم (٢٧٠٦) في الذكر والدعاء : باب التعوذ من العجز والكسل ، والترمذي رقم (٣٤٨٠) و (٣٤٨١) في الدعوات : باب الاستعاذة من الهم والدين ، وأبو داود رقم (١٥٤٠) و (١٥٤١) في الصلاة : باب الاستعاذة ، ورقم (٣٩٧٢) في الحروف والقراءات ، والنسائي ٩/ ٢٥٧ و ٢٥٨ في الاستعاذة من البخل ومن الهم ومن الحزن ، وأحمد في « المسند » ٣/ ١١٣ و ١١٧ و ١٢٢ و ١٥٩ و ٢٠٨ و ٢١٤ و ٢٢٠ و ٢٢٦ و ٢٣١ .

وفي « صحيح مسلم » عن زيد بن أرقم رضي اللّه عنه قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول اللّه ﷺ يقول : كان يقول : « اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ وَالجُبْنِ والبُخْلِ ، وَالهَرَمِ وَعَذابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَ زَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاها ، وَأَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعْ ، وَنَفْسٍ لاَ تَشْبَعْ ، وَعِلْمٍ لاَ يَنْفَعْ ، وَدَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا »(١) .

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي اللّه تعالى عنها أن رسول اللّه ﷺ كان يدعو : « اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وأَعُوذُ بكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وأَعُوذُ بكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا وَالمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ » فقال له قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول اللّه ! فقال : « إنَّ الرَّجُلَ إذَا غَرِمَ ، حَدَّثَ فَكَذَبَ ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ »(٢) .

وفي « صحيح مسلم » عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال : كان من دعاء النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَمِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَمِنْ جَمِيعِ سَخَطِكَ »(٣) .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٢٢) في الذكر : باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، وفيه تقديم وتأخير في آخره في الدعاء ، والترمذي رقم (٣٥٦٧) في الدعوات : باب في انتظار الفرج ، والنسائي ٨/ ٢٦٠ في الاستعاذة : باب الاستعاذة من العجز .

(٢) رواه البخاري ٢ / ٢٦٣ و٢٦٤ في صفة الصلاة : باب الدعاء قبل السلام ، ومسلم رقم (٥٨٩) في المساجد : باب ما يستعاذ منه في الصلاة . تقدم تخريجه ص (٢٣٢) رقم (٣) .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٧٣٩) في الذكر : باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأبو داود رقم (١٥٤٥) « في الصلاة » : باب في الاستعاذة .

وفي الترمذي عن عائشة قالت : قلت : يا رسول اللّه [أرأيت](*) إن وافقت ليلة القدر ما أسأل ؟ قال : « قُولِي : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » قال الترمذي : صحيح(۱) .

وفي « مسند الإمام أحمد » عن أبي بكر الصديق ، عن النبي ﷺ أنه قال : « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّهُ مَعَ البِرِّ وَهُمَا فِي الجَنَّةِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ ، فَإِنَّهُ مَعَ الفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ ، وَسَلُوا اللّهَ المُعَافَاةَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ رَجُلٌ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْراً مِنَ المُعَافَاةِ »(۲) .

وفي « صحيح الحاكم » عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « مَا سُئِلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ العَافِيَةَ »(۳) .

وذكر الفريابي في كتاب « الذكر » من حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أي الدعاء أفضل ؟ قال : « تَسْأَلَ اللّه العَفْوَ والعَافِيَةَ ، فإذَا أُعْطِيتَ ذٰلِكَ فَقَدْ أَفْلَحْتَ »(٤) .

(*) الزيادة من الترمذي وابن ماجة والمسند .

(۱) وهو كما قال ، رواه الترمذي رقم (۳٥۰۸) في الدعوات : باب رقم (۸۹) وأخرجه أيضاً أحمد في « المسند » ٦/ ۱۷۱و ۱۸۲ و۱۸۳ و ۲۰۸ و ۲٥۸ ، وابن ماجه رقم (۳۸٥۰) في الدعاء : باب الدعاء بالعفو ، والنسائي في « الكبرى » والطبراني في الدعاء ، والحاكم وغيرهم وصححه النووي في « الأذكار » رقم (٥۸۷) من طبعتنا ـ مكتبة دار البيان بدمشق وأورده الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤۳۹۹) .

(۲) رواه أحمد في « المسند » ۱/ ۳ و ٥ ، وإسناده صحيح ، ورواه ابن حبان في « صحيحه » رقم (۲٤۲۰) « موارد » في الأدعية : باب رقم ۱۳ .

(۳) ورواه أيضاً الترمذي رقم (۳٥٤۲) في الدعوات : باب رقم ۱۱۲ ، وفي سنده عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة ، وهو ضعيف . وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي ، وهو ضعيف في الحديث .

(٤) ورواه أيضاً الترمذي رقم (۳٥۰۷) في الدعوات : باب رقم ۸۹ : وابن ماجه رقم =

وفي « الدعوات » للبيهقي عن معاذ بن جبل قال : مَرَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِرَجُلٍ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ ، قَالَ : « سَأَلْتَ اللّهَ البَلاَءَ ، فَسَلْ العَافِيَةَ » وَمَرَّ بِرَجُلٍ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ ؟ فَقَالَ : « وَمَا تَمَامُ النِّعْمَةِ » ، قَالَ : سَأَلْتُ وَأَنَا أَرْجُو الخَيْرَ ، قَالَ لَهُ : « تَمَامُ النِّعْمَةِ الفَوْزَ مِنَ النَّارِ ، وَدُخُولَ الجَنَّةِ »(١) .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه رضي اللّه تعالى عنه قال : كان رسول اللّه ﷺ يعلِّم من أسلم أن يقول : « اللَّهُمَّ [اغْفِرْ لِي ، وَ] اهْدِنِي ، وَارْزُقْنِي ، وَعَافِنِي ، وَارْحَمْنِي »(٢) .

وفي « المسند » عن بسر بن أرطأة (*) رضي اللّه تعالى عنه

= (٣٨٤٨) في الدعاء : باب الدعاء بالعفو والعافية ، وفي سنده سلمة بن وردان ، وهو ضعيف ، ومع ذلك فقد حسنه الترمذي .

(١) ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/ ٢٣١ و٢٣٥ ، والترمذي رقم (٣٥٢٤) في الدعوات : باب رقم ١٩ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو كما قال .

(٥) رواه مسلم رقم (٢٦٩٧) في الذكر والدعاء : باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٤٧٢ و٦/ ٣٩٤ والزيادة من صحيح مسلم .

(*) هو أبو عبد الرحمن ، بشر بن أبي أرطأة ، ويقال : ابن أرطاة ، وقال ابن عبد البر : بشر بن أرطاة بن أبي أرطاة ، واسم أبي أرطاة : عمير ، وقيل : عمرو بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب العامري القرشي ، قيل : إنه لم يسمع من النبي ﷺ لصغره ، وأهل الشام يثبتون له سماعاً .

قال الواقدي : ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين .

روى عنه أيوب ويونس ابنا ميسرة ، ويقال : إنه خرف في آخر عمره . وكان يحيى ابن معين يطلق القول فيه .

مات زمن معاوية ، وقيل : زمن عبد الملك بن مروان .

قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا ، وَأَجِرْنَا مِن خِزِّيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ »(١) .

وفي « المسند » و« صحيح الحاكم » عن ربيعة بن عامر(*) عن النبي ﷺ : « أَلِظُوا بِيَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ »(٢) أي : الزموها وداوموا عليها .

وفي « صحيح الحاكم » أيضاً عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال لهم : « أَتُحِبُّون أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ » ؟ قَالوا : نعم يا رسول الله . قال : « قُولُوا : اللَّهُمَّ أعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ »(٣) .

وفي الترمذي وغيره : أن النبي ﷺ أوصى معاذاً أن يقولها ، في دبر كل صلاة »(٤) .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ١٨١ ، ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٤٢٤) « موارد » في الأدعية : باب رقم ١٣ ، والطبراني في « الكبير » والحاكم ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » : وإسناد أحمد وأحد إسنادي الطبراني ثقات . قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٢٦٧) : ضعيف .

(*) هو ربيعة بن عامر بن بجاد ، يعد في أهل فلسطين ، قاله ابن مندة وأبو نعيم . وقال أبو عمر : ربيعة بن عامر بن الهادي الأزدي ، ويقال : الأشدي ، وقيل : إنه ديلي ، من رهط ربيعة بن عباد . «من أسد الغابة » .

(٢) إسناده صحيح ، ورواه أحمد في « المسند » ٤/ ١٧٧ ، والحاكم ١/ ٤٩٩ ، وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه ايضاً الترمذي من حديث أنس .

(٣) رواه الحاكم ١/ ٤٩٩ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

(٤) ليس هو عندي الترمذي ، وإنما الحديث عند أبي داود رقم (١٥٢٢) في الصلاة : =

وفي « صحيحه » أيضاً[١] : عن أنس قال : كنا مع النبي ﷺ في حلقة ، ورجل قائم يصلي ، فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال في دعائه : اللهم إنِّي أَسْأَلُكَ بأَنَّ لَكَ الحَمْدُ ، لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، فقال النبي ﷺ : « لَقَدْ سَأَلْتَ باسْمِهِ الأَعْظَمْ الَّذِي إذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى »[٢] .

وفي « المسند » و« صحيح الحاكم » أيضاً ، عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله : « يا شَدَّادُ ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ، فَاكْنُزْ هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ : اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيماً ، وَلِسَاناً صَادِقاً ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تعْلَمْ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ »[٣] .

وفي الترمذي : أن حصين بن عبيد بن خلف[٤] الخزاعي

= باب في الاستغفار ، والنسائي ٣/ ٥٣ في السهو : باب نوع آخر من الدعاء ، وإسناده صحيح .

(١) أي صحيح الحاكم .

(٢) رواه الحاكم ١/ ٥٠٣ و٥٠٤ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، ورواه ايضاً أبو داود والترمذي والنسائي ، وإسناده صحيح .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرك » ١/ ٥٠٨ وصححه ، ووافقه الذهبي ، مع أن في سنده محمد بن سنان القزاز ، وهو ضعيف ، وقد تقدم الحديث في الصفحة ٢٣٣ ـ ٢٣٤ من طريق آخر رواه أحمد والنسائي والترمذي وابن حبان ، وإسناده صحيح .

(٤) في النسخ المطبوعة : حصين بن المنذر الخزاعي وهو خطأ ، والتصحيح من « سنن الترمذي » وكتب الرجال ، وحصين هذا هو والد عمران بن حصين .

رضي الله عنه ، قال له النبي ﷺ : « كَمْ تَعْبُدِ إلَهاً » ؟ قال : سبعةً : ستةً في الأرض ، وواحداً في السماء . قال : « فأَيُّهُمْ تُعِدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ » ؟ قال : الذي في السماء . قال : « أَمَا لَوْ أَسْلَمْتَ لَعَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ » ، فلما أسلم قال : يا رسول الله ، علِّمني الكلمتين [اللتين وعدتني]، قال : « قُلْ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي ، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي » حديث صحيح(١) .

وزاد الحاكم فيه في « صحيحه » : « اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي ، وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدَ أَمْرِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَخْطَأْتُ وَمَا تعَمَّدْتُ ، مَا عَلِمْتُ وَمَا جَهِلْتُ » وإسناده على شرط « الصحيحين »(٢) .

وفي « صحيح الحاكم » : عن عائشة قالت : دخل عليَّ أبو بكر رضي الله عنه فقال: هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاءً علَّمنيه؟ قلت : ما هو؟ قال : كان عيسى بن مريم ﷺ يعلمه أصحابه ، قال : « لو كان على أحدكم جبل ذهب ديناً ، فدعا اللّه بذلك لقضاه الله عنه : « اللَّهُمَّ فَارِجَ الهَمِّ ، كَاشِفَ الغَمِّ ، مُجِيبَ دَعْوَةِ المُضْطَرِينَ ، رَحْمَنَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَرَحِيمِهِمَا ، أَنْتَ تَرْحَمْنِي فَارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ »(٣) .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٤٧٩) في الدعوات : باب رقم ٧٠ ، وقال الترمذي ، هذا حديث حسن غريب ، وقال الألباني في « تخريج المشكاة » رقم (٢٤٧٦) : ضعيف . والزيادة من الترمذي .

(٢) رواه الحاكم ١/ ٥١٠ ، وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤/ ٤٤٤ وقال الحافظ في « الإصابة » رقم (١٧٣١) : إسناده صحيح .

(٣) رواه الحاكم ١/ ٥١٥ وفي سنده الحكم بن عبد الله الأيلي ، قال الذهبي في =

وفي «صحيحه»(١) أيضاً عن أم سلمة عن النبي ﷺ: هذا ما سأل محمد ربه : « اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المَسْأَلَةِ ، وَخَيْرَ الدُّعَاءِ ، وَخَيْرَ النَّجاحِ ، وَخَيْرَ العَمَلِ ، وَخَيْرَ الثَّوابِ ، وَخَيْرَ الحَيَاةِ ، وَخَيْرَ المَمَاتِ ، وَثَبِّتْنِي ، وَثَقِّلْ مَوَازِينِي ، وَحَقِّقْ إِيْمَانِي ، وَارْفَعْ دَرَجَتِي ، وَتَقَبَّلْ صَلاَتِي ، وَاغْفِرْ خَطِيئَتِي ، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجاتِ العُلَىٰ مِنَ الجَنَّةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَوَاتِحَ الخَيْرِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ، وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ ، وَالدَّرَجَاتِ العُلَىٰ مِنَ الجَنَّةِ آمين .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا آتِي ، وَخَيْرَ مَا أَفْعَلُ ، وَخَيْرَ مَا بَطَنَ ، وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ والدَّرَجَاتِ العُلَى مِنَ الجَنَّةِ آمين .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرِي ، وَتَضَعَ وِزْرِي ، وَتُصْلِحَ أَمْرِي ، وَتُطَهِّرْ قَلْبِي ، وَتُحَصِّنْ فَرْجِي ، وَتُنَوِّرْ لِي قَلْبِي ، وَتَغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ العُلَىٰ مِنَ الجَنَّةِ آمين .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُبَارِكَ لِي فِي نَفْسِي ، وَفِي سَمْعِي ، وَفِي بَصَرِي ، وَفِي رُوحِي ، وَفِي خَلْقِي وَفِي خُلُقِي وَفِي أَهْلِي ، وَفِي مَحْيَايَ ، وَفِي مَمَاتِي ، وَفِي عَمَلِي ، وَتَقَبَّلْ حَسَنَاتِي ، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَات العُلَىٰ مِنَ الجَنَّةِ آمين »(٢) .

= « الميزان » : قال أحمد : أحاديثه كلها موضوعة ، وقال السعدي وأبو حاتم : كذاب ، وقال النسائي والدارقطني وجماعة : متروك الحديث .

(١) اطلاق لفظه « الصحيح » على « المستدرك » فيه تسامح ظاهر . وغالب المحدثون يقولون : رواه الحاكم في « المستدرك » وذلك لكثرة الأحاديث الضعيفة ، بل وبعض الموضوعات .

(٢) رواه الحاكم ١/ ٥٢٠ وصححه ووافقه الذهبي ، مع أن سنده عاصم بن أبي عبيد ؛ =

وفي « صحيحه » أيضاً من حديث معاذ قال : أبطأ عنا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت أن تدركنا الشمس ، ثم خرج ، فصلى بنا فخفف ، ثم انصرف فأقبل علينا بوجهه فقال : « عَلَى مَكَانِكُمْ ، أُخْبِرُكُمْ مَا أَبْطَأَنِي عَنْكُمُ اليَوْمَ ؟ إِنِّي صَلَّيْتُ فِي لَيْلَتِي هٰذِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ مَلَكَتْنِي عَيْنِّيَّ فَنِمْتُ ، فَرَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَأَلْهَمَنِي أَنْ قُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفِعْلَ الخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ المَسَاكِينَ ، وَأَنْ تَتُوبَ عَلَيَّ ، وَتُغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِي خَلْقِكَ فِتْنَةً فَنَجِّنِي إِلَيْكَ مِنْهَا غَيْرَ مَفْتُونٍ ، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي[1] إِلَى حُبِّكَ » ثم أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : « تَعَلَّمُوهُنَّ وَادْرُسُوهُنَّ ، فَإِنَّهُنَّ حَقٌّ »[2] ورواه الترمذي والطبراني وابن خزيمة وغيرهم بألفاظ أُخر[3] .

في « صحيح الحاكم » أيضاً : عن ابن عباس قال : كان النبي

= ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، والحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » ورجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن زنبور ، وعاصم بن أبي عبيد ، وهما ثقتان .

(١) في النسخ المطبوعة لهذا الكتاب : « يبلغني » .

(٢) رواه الحاكم ١/ ٥٢١ وسكت عنه هو والذهبي . قلت : وهو حديث صحيح بشواهده ، وانظر التعليق الذي بعده .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٢٣٣) في التفسير : باب من سورة ص ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/ ٢٤٢ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال . وللحافظ ابن رجب الحنبلي كتاب في شرح هذا الحديث سماها « اختيار الأولى في شرح اختصام الملأ الأعلى » وقد طبعناها ـ مكتبة دار البيان بدمشق .

ﷺ يدعو : « اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي ، وَبَارِكْ لِي فِيهِ ، وَأَخْلِفْ عَلَىٰ كُلِّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ »[1] .

و«فيه» عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي ،وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي ،وَارْزُقْنِي عِلْماً يَنْفَعُني»[2] .

و«فيه» أيضاً عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أمرها أن تدعو بهذا الدعاء : « اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ،وَأَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَداً »[3] .

و «فيه» عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ أوصى سلمان الخير[4] فقال له : « إنِّي أريد أَنْ أَمْنَحكَ كَلِمَاتٍ تَسْأَلُهُنَّ الرَّحْمٰنَ ، وَتَرْغَبَ

---

(١) رواه الحاكم ١/ ٥١٠ من حديث عمرو بن أبي قيس عن عطاء بن السائب ، وصححه ووافقه الذهبي . أقول : ورواية عمرو عن عطاء بعد الاختلاط .

(٢) رواه الحاكم ١/ ٥١٠ وصححه ووافقه الذهبي ، أقول : وإسناده ضعيف ، رواه بمعناد الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف أيضاً. انظر «ضعيف الجامع» رقم (١٢٨١) .

(٣) رواه الحاكم ١/ ٥٢٢ وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٣٨٤٦) ، وابن حبان رقم (٢٤١٣) ، وأحمد في « المسند » ٦/ ١٣٤ ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٥٤٢) .

(٤) هو سلمان الفارسي رضي الله عنه .

إِلَيْهِ فِيهِنَّ ، وَتَدْعُو بِهِنَّ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صَحَّةً فِي إِيمَانٍ ، وَإِيماناً فِي حُسْنِ خُلُقٍ ، وَنَجاحاً يَتْبَعُهُ فَلاَحٌ ، وَرَحْمَةٌ مِنْكَ وَعَافِيَةً ، وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَاناً »(1) .

و«فيه» أيضاً: عن أم سلمة عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهؤلاء الدعوات : « اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ لاَ شَيْءٌ قَبْلَكَ ، وَأَنْتَ الآخِرُ لاَ شَيْءٌ بَعْدَكَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَةٍ نَاصِيَتُهَا بِيَدِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الإِثْمِ وَالكَسَلِ ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الغِنَىٰ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ ، اللَّهُمَّ نَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ بَعِّدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطِيئَتِي كَمَا بَعَّدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ »(2) .

وفي « مسند الإمام أحمد » و « صحيح الحاكم » أيضاً ، عن عمار بن ياسر رضي الله عنه ، أنه صلى صلاة أوجز فيها ، فقيل له في ذلك ، قال : لقد دعوت الله فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الخَلْقِ ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْراً لِي وَتَوَفَّنِي إِذا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لِي ، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَى ، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً

---

(1) رواه الحاكم ١/ ٥٢٣ وصححه ، وفي سنده عبد الله بن الوليد بن قيس التجيبي البصري ، وهو لين الحديث كما قال الحافظ في « التقريب » وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٢٩٣) : رواه الطبراني في « الأوسط » والحاكم : وهو حديث ضعيف .

(2) رواه الحاكم ١/ ٥٢٤ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

لاَ يَنْفَدُ ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَى بَعْدَ القَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ ، مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيْمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ »[1] .

وفي « صحيح الحاكم » أيضاً : عن ابن مسعود قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، والسَّلاَمَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، وَالفَوْزَ بِالجَنَّةِ ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ »[2] .

وفيه أيضاً : عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو : « اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بالإِسْلاَمِ قَائِماً ، وَاحْفَظْنِي بالإِسْلاَمِ قَاعِداً ، وَاحْفَظْنِي بالإِسْلاَمِ رَاقِداً ، وَلاَ تُشَمِّتْ بي عَدُوّاً حَاسِداً ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ »[3] .

وعن النواس بن سمعان(*) : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ٢٦٤ ، والحاكم ١/ ٥٢٤ و٥٢٥ وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه أيضاً النسائي ٣/ ٥٥ في السهو ، باب الدعاء بعد الذكر وهو حديث صحيح . تقدم تخريجه ص (٢٣٥) رقم (٢) .

(٢) رواه الحاكم ١/ ٥٢٥ وصححه ووافقه الذهبي . قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٢٨٢) : ضعيف .

رواه الحاكم ١/ ٥٢٥ وصححه ، وهو حديث حسن كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٥٤٠) .

(*) هو النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قريط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب الكلابي ، سكن الشام ، وهو معدود فيهم .

روى عنه جبير بن نفير ، وأبو إدريس الخولاني .

« مَا مِنْ قَلْبٍ إلاَّ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِن أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ ، إنْ شَاءَ أَقَامَهُ ، وَإنْ شَاءَ أَزَاغَهُ »(١) .

وَكَان رسول الله ﷺ يقول : « يَا مُقَلِّبَ القُلُوب ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ، وَالمِيزَانِ بِيَدِ الرَّحْمٰنِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَرْفَعُ أَقْوَاماً وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ » حديث صحيح رواه الإمام أحمد والحاكم في « صحيحه »(٢) .

وفي « صحيح الحاكم » أيضاً عن ابن عمر ، أنه لم يكن يجلس مجلساً ـ كان عنده أحد أو لم يكن ـ إلا قال : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِن طَاعَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ ، وَارْزُقْنِي مِن خَشْيَتِكَ مَا تُبَلِّغُنِي بِهِ رَحْمَتَكَ ، وَارْزُقْنِي مِنَ اليَقِينِ مَا تَهَوِّنُ بِهِ عَلَيَّ مَصَائِبَ الدُّنْيَا ، وَبَارِكْ لِي فِي سَمْعِي وَبَصَرِي ، وَاجْعَلْهُمَا الوَارِثَ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ ثَأْرِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ عَادَانِي ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِي ، اللَّهُمَّ لَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي » . فسئل عنهن ابن عمر فقال : كان رسول الله ﷺ يختم بهن مجلسه(٢) .

***

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ١٨٢ والحاكم ١/ ٥٢٥ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٨٦٥) .

(٢) رواه الحاكم ١/ ٥٢٨ وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا .

[الخاتمة]

والحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله ، ملء سمواته وملء أرضه ، وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد ، حمداً لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنى ، عدد ما حمده الحامدون ، وعدد ما غَفل عن ذكره الغافلون . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله ، وخيرته من بريته ، وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ، فاتح أبواب الهدى ، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، الذي بعثه للإيمان منادياً، والى الصراط المستقيم هادياً ، وإلى جنات النعيم داعياً ، وبكل معروفٍ آمراً ، وعن كل منكر ناهياً ، فأحيا به القلوب بعد مماتها ، وأنارها بعد ظلماتها ، وألف بينها بعد شتاتها ، فدعا إلى الله عز وجل على بصيرةٍ من ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجاعد في الله تعالى حق جهاده ، حتى عُبد الله وحده لا شريك له ، وسارت دعوته سير الشمس في الأقطار ، وبلغ دينه الذي ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار .

وصلى الله عز وجل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرّف بالله تعالى ودعا اليه = وسلم تسليماً .

* * *

(*) زيادة ليست في الأصل .

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

تم والحمد للّه تعالى أولاً وآخراً

فهرس الأعــلام

* * *

فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب

فهرس الموضوعات